الكوكب الشاهق

فى

الفرق بين المريد الصادق وغير الصادق

للإمام عبدالوهاب الشعرانى

تحقيق وتعليق ودراسة

دكتور

حسن محمد الشرقاوى

أستاذ الفلسفة الإسلامية

جامعة الاسكندرية

١٩٩١

دار المعارف

دار المعارف

الكوكب الشاهق

بسم الله الرحمن الرحيم

ن والقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ * مَا أَنْتَ بِنعمةَ رَبّكَ بِمجنُونٍ وَإِنَّ لَكَ لأَجْراً غَيْرَ مَمْنُونٍ ، وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظيم فَستُبصر ويُبْصرُونَ * بِأَييكُم المَفْتُونُ * إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبيله وَهُوَ أَعْلَمُ بِالُمهتَدينَ * فَلاَ تُطع المُكَذّبِينَ * وَدُّوا لَو تُدْهن فَيُدهنُون وَلاَ تُطع كُلّ حَلاَّف مَّهِينٍ * هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ مَنَّاعٍ لِلخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ .

صدق الله العظيم

(سورة القلم من ١ : ١٢)

مقدمة الطبعة الثانية

نفذت الطبعة الأولى من هذا المخطوط ، ولم أكن أحسب عند نشره أنه سيلقى هذا الإهتمام من القراء بعامة وأهل التصوف بخاصة ، فقد صور المؤلف مئات المرات بعد نفاذه وتبادله القراء وطلب منى أن أغير طبعه مرارا وتعاقدت مع دار المعارف من سنوات ، ولكن لظروف خارجة عن إرادة الدار تأخر طبعه إلى أن تغيرت الظروف ووفقهم الله لإعادة طبعه مرة أخرى لينتفع به المسلمون .

وجدير بالذكر أن هذا الكتاب عبارة عن الرابطة بين الشيخ والمريد وبالمفهوم العادى بين الأستاذ وتلميذه أو بين الطبيب المربى والسالك إلى الله ، وهناك نوع من القيم والمفاهيم والسلوكيات والأخلاقيات المتوارثة من علماء الأمة مأخوذة من الكتاب والسنة وأئمة الصوفية .

ولقد لاحظت أثناء تحقيقى لهذا الكتاب سبق الإمام الشعرانى فى ريادته «لعلم الإنسان الإجتماعى» الذى يسمى بعلم الانتروبولوچى الحديث ويزعمون أن مؤسسى هذا العلم هما إيفانز بريتشارد وراد كليف براون الانجليزى ، إلا أن هذا الكتاب يثبت بالحجج والأسانيد والأدلة على أن للشعرانى الفضل الأول فى هذا التخصص .

وعلاوة على ذلك فان الانثربولوچيا الحديثة قد غفلت عن جانب هام فى دراستها إذ اهتمت فحسب بالمعامل الظاهرى وغفلت عن المعامل الباطنى الذى أكده الشعرانى فى دراسته فجمع بين المعاملين جمعا مفيدا طيبا لتصبح دراسته نظرية وذوقية ، وهذه دراسة متكاملة لم تحظ بها الانثروبولوچيا الحديثة فى جميع فروعها .

ان لدى المسلمين تراثا حضاريا عظيما مازال مدفونا فى دهاليز المكتبات العربية والإسلامية يحتاج إلى باحثين مهرة ومفكرين أكفاء

ليزيلوا عنه تراب النسيان وينفعوا به العامة والخاصة من الناس من مسلمين وغير مسلمين ...

ولقد حددت لنفسى هذه المهمة منذ أن عينت مدرسا بكلية الآداب وأخرجت بعض هذه الكنوز من مناجمها مثل علم النفس الإسلامى والأخلاق الإسلامية والتربية الإسلامية ، وتاريخ المسلمين فى العلوم الحياتية والمسخرة ، وفى الحكومة الباطنية والشريعة والحقيقة ، وغير ذلك كثير .

ومايزال هناك آلاف من المؤلفات للأئمة المسلمين لم تُبْحَثْ ولم تحقق إلى الآن ، ونحن فى أشد الحاجة إليها فى الوقت الراهن الذى نزمع فيه إنشاء مكتبة الاسكندرية ، ونرى أنه من الأهمية بمكان أن نبدأ فى تحقيق هذه المخطوطات المنتشرة فى أنحاء العالم دون إبطاء لتكون ركيزة لمكتبة الاسكندرية فى التراث العربى والإسلامى ... والله ولى التوفيق .

المؤلف

حسن الشرقاوى

تصدير

يعالج الشيخ عبدالوهاب الشعرانى ٩٧٢هـ فى هذا المخطوط الأخلاق التى يجب أن يكون عليها المريد فى الطريق الصوفى ، وما يتحلى به أهل الله من صدق وإيثار وتسامح وإخلاص وإحسان .

ويقرر أن الأخلاق فى عصره ـ القرن العاشر الهجرى ـ قد انحدرت عما كانت عليه فى العصور السابقة ، حتى أنه يرى أن أخلاق المريدين فى الأزمنة السابقة ، أضحت هى أخلاق مشايخ عصره ، وهذا نفس ما قرره الإمام أبوحامد الغزالى ٥٠٥هـ فى الاحياء ، وبرغم اختلاف مشايخ عصر كل من الغزالى والشعرانى ، فانه يبدو أن الأخلاق تنحدر بإستمرار كلما ابتعدت مع الزمن عن صدر الإسلام .

وواضح من دراسة مخطوط الكوكب الشاهق أنه اعتمد فى تأليفه على المسح الاجتماعى لشرائح من المجتمع الصوفى فى عصره ، فهى دراسة حقلية كان مجالها مدينة القاهرة إلا أنها مركزة على فئة محددة ، إذ تنصب على دراسة المريدين والمشايخ فى الطريق .

وكان الشعرانى قد سبق عصره بقرون عندما استخدم الطريقة العلمية فى الدراسة وهو ما يعرف الآن بالانثروبولوجيا أو علم الإنسان الاجتماعى ، والتى تنصب دراستها وتضع جل اهتمامها على دراسة المجتمعات الصغيرة والبسيطة والمحدودة دراسة تحليلية وموضوعية يقصد منها الوصول إلى نظرية متكاملة تفسر المجتمع المدروس .

وقد قام الشعرانى بوضع فرض حاول امتحان صدقه من كذبه مفاده أن أخلاق المريدين فى الزمن الماضى (على عصره) صارت أخلاق الأشياخ فى زمانه .

واعتمد الشعرانى فى جمع معلوماته عن طريق اللقاءات المستمرة بأهل الطريق مستخدماً فى ذلك الملاحظة المباشرة وغير المباشرة ، تلقاها كما يقول[١] عن نحو مائة شيخ مما أدركهم فى أوائل القرن العاشر فى مصر وقراها ، بعضها شاهده من أفعالهم وبعضها اقتبسه من نور أخلاقهم .

ومما هو جدير بالذكر أن الشعرانى قد وقف على أحوال الصوفية فى عصره وتعرف على مشاربهم ، وتذوق مواجيدهم ، وتفهم رموزهم وإشاراتهم وإصطلاحاتهم وتعبيراتهم ، والتمس دقائقهم ورقائقهم ولطائفهم ، وعاين مجالسهم ، فتكشف له بذلك صادقهم من كاذبهم .

وأما السبب الرئيسى فى إهتمام الشعرانى بهذه الدراسة الفريدة والتى يورد فى مؤلفه أنه لم يجد أحد قد اعتنى بشئ منها ، يرجع إلى خوفه من أن تندرس أخلاق الصوفية باندراس تلاميذهم ثم يقول : فوضعتها فى هذا الطروس لينفع الله بها من يشاء[٢] .

ولا نظن أنه من قبيل الصدفة أن يكون هدف الدراسات الانثروبولوچية الحديثة هو نفس الهدف الذى أذاعه الشعرانى قبل عدة قرون ، فالدراسات الانثروبولوچية الحديثة تعلن دائماً أنها تهتم بدراسة المجتمعات الصغيرة والبسيطة أو ما تسميه بالمجتمعات البدائية أو المتخلفة ، خوفاً من ضياع معالمها ، وإندثارها نتيجة للتقدم التكنولوجى والعمرانى وما يستتبع ذلك من تغيير فى البناء والوظائف الإجتماعية الأمر الذى يفقد التقاليد المرعية وجودها ، ومن ثم العادات والشمائل والآداب وأخلاقيات الجماعة .

---

(١) ص ١ المخطوط .

(٢) ص ١ من المخطوط .

ومما يؤكد على صدق ما استخلصناه من أن الشعرانى يعد من رواد الانثروبولوچيا الحديثة أنه قد اتبع فى دراسته نفس المنهج العلمى الذى يتبعه ، علماء الانثروبولوچيا فى دراساتهم الحقلية والمسحية ، فهو لا يألوا جهداً فى فحص وتمحيص ما يسمعه ويلقاه ويشاهده أو ينقل إليه ، ويعتمد على موازين دقيقة فى إصدار الحكم على الأحداث والوقائع والمشاهدات وهو فى ذلك يقول :

«وهى كالسيف القاطع لعنق كل من يدعى الصلاح فى هذا الزمان بغير حق لأنها تفسله وتسلخه من طريق الصلاح كما تنسلخ الحية من جلدها ، ولقد حررتها على الكتاب والسنة تحرير الذهب والجوهر بحسب فهمى ومقامى»[١] .

وقد اهتم الشعرانى بالدراسة المقارنة كما اهتمت الدراسات الانثروبولوچية الحديثة من بعده بالدراسات المقارنة بين المجتمعات البسيطة ، بغية الوصول إلى نظرية متكاملة تفسر الحياة فى تلكم المجتمعات .

لذلك نجد الشعرانى يعقد مقارنة بين المجتمع المدروس وهو موضوع تحقيقنا وبين مجتمع آخر أدركه الشعرانى فى أوائل القرن العاشر وأخرج لنا ثمرة هذه الدراسة فى مؤلف آخر أسماه «تنبيه المغترين»[٢] ويحوى الكتاب على دراسة مائة وستة وثلاثون خلقاً إستخلصها الشعرانى من أخلاقيات الصوفية مما أسماهم بالسلف الصالح ، وأوضح أن هذه الأخلاق تميزهم عن غيرهم إذ هى صفات ملازمة لهم وأوصاف لأشخاصهم .

(١) ص ١ من المخطوط .

(٢) مطبوع نشرته المكتبة التجارية الكبرى بمصر ، وبهامش كتاب الكشف والتبيين للإمام الغزالى .

وأوضح الشعرانى فى دراسته لمجتمع السلف الصالح فى كتابه «تنبيه المغتربين» ودراسته للمجتمع الصوفى فى مصر فى عصره «الكوكب الشاهق» ، أن المؤلفين يتبعان منهجاً واحداً فى الدراسة وكأن أحدهما يكمل الآخر إذ يستخدم الشعرانى طريقة واحدة فى العرض وأسلوباً متماثلاً فى تصنيف موضوعات كل من الكتابين فيبدأ كل موضوع بقوله «ومن أخلاقهم» ، وهذا لا نجده فى بقية كتبه ومؤلفاته وتصانيفه(١) .

وربما يكون الفارق الظاهر بين الكوكب الشاهق ، وتنبيه المغتربين أن الأخير يركز إهتمامه فيه على السمات الأخلاقية فى السلف الصالح ويعرضها مسهباً ، بينما يهتم بالتركيز فى الكوكب الشاهق على إنحدار الأخلاق فى مريدى عصره مع عقد مقارنة فى كل موضوع بين تلكم الأخلاق والكمالات الأخلاقية التى كانت عند السلف الصالح من الصوفية قبل زمنه .

وهناك فارق آخر بين المؤلفين إذ يفتتح الكوكب الشاهق بقول الشعرانى أنه قصد فى تأليفه كشف المريد غير الصادق وإظهار كذب من يدعى الصلاح فى عصره ، بينما أراد من تأليف تنبيه المغترين الاقتداء بالسلف الصالح والتخلق بأخلاقهم وأنه بدأ بنفسه أولا ولولا ذلك ما ألف هذا الكتاب .

وعلى العموم فإن المؤلفين يعالجان نفس الموضوع وهى الأخلاق التى يتوجب أن يكون عليها الصوفى وأن يتسم بها سلوكه وأفعاله وأعماله جميعا . وعلى هذا يمكن القول بأن المؤلفين يكمل بعضهما

---

(١) مطبوع نشرته المكتبة التجارية الكبرى بمصر ، بهامش كتاب الكشف والتبيين للإمام الغزالى .

بعضا مع وجود اشتراك فى بعض الأحيان فى المعنى وهذا يقطع الشك باليقين فى أن المؤلفين للشعرانى .

وفى هذا الكتاب الذى بين أيدينا ، يحاول الشعرانى أن يصف وصفا دقيقا حال المجتمع الصوفى بجميع أبعاده دون أن يضيف إليه من عنده صورا جمالية أو يتدخل تدخلا ذاتيا يشوه حقيقة الواقع ، ولهذا فاننا نرى أنها دراسة موضوعية لهذا المجتمع ، قد اتبع فيها المنهج العلمى الحديث من حيث إتباعه أسلوب الملاحظة المباشرة وغير المباشرة وإستخدامه للاستقراء العلمى فقد درس أكثر من مائة مريد ـ كما سبق القول ـ اختارهم من المجتمع الصوفى كعينات عشوائية ممثلة ، ثم عقد مقارنة بين النتائج التى توصل إليها فى دراسته لصوفية عصره وبين السلف الصالح ، حتى أكد على صدق الغرض الذى وضعه أول الدراسة وهو أن الأخلاق الصوفية قد انحدرت فى عصره ودلل على ذلك بالأمثلة والشواهد والواقع الماثل أمامه .

والحقيقة أن دراسة الشعرانى للمجتمع الصوفى فى عصره وما توصل إليه من نتائج تؤكد انحدار الأخلاق ، قد عززتها كتب التاريخ وما أرخه المؤرخون لهذا العصر الذى حكم فيه المماليك مصر ثم أذن مع بداية القرن العاشر الهجرى للرحيل ليستقبل حكم العثمانيين ، وقد سبق ذلك الظلم والجهل والفقر والمرض والفساد ، وعمت الفوضى أرجاء البلاد ، واضطرب الأمن ، وجنحت أداة الحكم للانحلال وبدت مصر كأنها قد اعتزلت العالم إذ وافق ما تعانيه من ضنك أكتشاف رأس الرجاء الصالح الأمر الذى أزاد فى عزلتها .

ولم يكن حكم العثمانيين لمصر بأفضل من حكم المماليك لها ، فقد أفقدوها خلافة المسلمين ، وضيعوا عليها زعامتها على دولهم «وعملوا على ارهاقها بالسلب والنهب والمغانم ، وفرض الضرائب الجائرة ،

واغتصاب الخراج عنوة ، كما نقلوا خيرة صناعها إلى الاستانة ، وأهملوا الزراعة ، واخلفوا سنة المماليك فى رعاية العلم الا مالا يكاد يتجاوز علوم الدين النقلية ، ففسدت الحياة واستشرى الجهل بين الناس[١] .

وفى هذا الجو المشحون بالظلم والفساد نشأ عبدالوهاب الشعرانى ٨٩٨ ـ ٩٧٣هـ .

وقد صحب الشعرانى المماليك حتى بلغ الخامسة والعشرين من عمره ، قضى فى صحبة الحكم العثمانى خمسين عاما طوالا إرتبط بآلام مجتمعه وبيئته وأخوانه .

وقد تلقى العلم عن صفوة من علماء عصره من رجال الشرع وأرباب التصوف وكأنه جمع فيضا من المعلومات لترتد فيضا من الكتب والمؤلفات التى فى شتى العلوم والفنون فانه بمثابة روح عصره[٢] .

ولقد كان من بين المؤلفات العديدة التى ألفها الشعرانى هذا المخطوط الذى يترجم ترجمة صادقة مجتمع الصوفية ، ويبين إلى أى حد أنحدرت الأخلاق فى عصره فيما يتعلق بالمتصوفين أهل الله ، فكيف يكون ـ والحال هذه ـ عامة الناس الذين لا يميلون إلى التدين أو التمسك بأهدابه .

وفى مقدمة المخطوط يوضح لنا الشعرانى سبب تأليفه فيقول :

«وقد سميت هذا الكتاب بمنهج الصدق والتحقيق فى تفليس غالب المدعين للطريق» ولكنه يذكر بعد ذلك أن هدفه من الكتاب هو إظهار

---

(١) توفيق الطويل ، أعلام الإسلام ـ الشعرانى ، دائرة المعارف الإسلامية ص ٥ وما بعدها .
(٢) المرجع السابق ص ٦ وما بعدها .

المريد الصادق من غير الصادق ، وعلى كل حال فان الهدف فى العنوانين واحد إذ أن كشف المريد غير الصادق وهو سمة عصره إنما يوضح تفليس غالب المدعين للطريق .

وفى ثنايا الكتاب إشارات عديدة لمدعى الولاية فى عصره ، فقد انتشر المشايخ فى البلاد من أقصاها إلى أقصاها والذين يرثون المشيخة كما يورث المال والمتاع وانحرف الكثير منهم عن طريق أهل الله وخرجوا على آداب الطريق أما لجهلهم وأما لفسقهم كما يورد الشعرانى فى مؤلفه .

وينتقد الشعرانى هذا الأسلوب فى وراثة المشيخة فيورد على لسانه قول شيخه محمد الشرولى الذى جاء فيها :

«لا تتعبوا أنفسكم فى تسليك المتمشيخين بالآباء والجدود ، إلا أن ينسلخوا من جميع الدعاوى فإن أحدهم يفتح عينيه على تعظيم جماعة والده له فيقول : «قد صرت شيخا كوالدى» .

ولقد عالجت فى تحقيقى للمخطوط الموضوعات التى بحثها المؤلف وقد ذيلت بحثى بفهرست يشتمل عليها وأعطيت لكل موضوع رقما وضعته بين قوسين هكذا ( ) .

هذا وقد أعددت ثبتا للأسماء والأعلام الواردة فى المخطوط مرتبا ترتيبا ابجديا وزيلت التحقيق بالمراجع والمصادر التى اعتمدت عليها فى تحقيق هذا المخطوط .

سيرة الشعرانى :

تتصل سلسلة نسب عبدالوهاب الشعرانى[١] إلى الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، وينحدر عن قبيلة زغلة من أعمال المغرب العربى ، أما جد الشعرانى فهو أبو عبدالله أحمد الزغلى سلطان تلمسان بالمغرب ، وقد تصوف ابنه موسى أبوالعمران وآثر التصوف على السلطنة وأخذ الطريق على يد الإمام أبى مدين التلمسانى الذى أرسله إلى صعيد مصر لتكتمل تربيته حيث مات هناك عام ٧٠٧هـ ، وكان ابنه أحمد والد الشعرانى بصحبته مهاجرا بعد موت والده إلى ساقية أبى شعرة وهى قرية بالمنوفية تجاه النيل وإليها ينتسب الشعرانى ، وقد كان على حظ كبير من العلم الذى شاع فى عصره وقد طلب إلى جلال الدين السيوطى أن يجيز ابنه عبدالوهاب فأجازه وهو مازال فى غضون العاشرة من عمره وألبسه خرقه الصوفية فى روضة المقياس بالقاهرة وهو ولايزال صبياً . وقد توفى أحمد والد عبدالوهاب عام سبع وتسعمائة للهجرة ودفن مع والده فى زاويته بساقية أبى شعرة .

وقد كفل عبدالوهاب أخوه عبدالقادر + ٨٥٦هـ وكان ورعاً منصرفاً عن الدنيا متزهداً فيها مشغولا بخدمة المحتاجين والمعوزين .

أما ميلاده فقد كان عام ٧٩٨هـ بقرية قلقشندة ثم انتقل بعد أربعين يوماً إلى قرية أبيه وإليها اشتهر باسمه الشعرانى أو الشعـراوى .

---

(١) ورد عن المناوى أنه ولد ٢٧ رمضان ٧٩٨هـ وكذلك على مبارك والمستشرق شاخت ويقول د. توفيق الطويل فى كتابه أعلام الإسلام عن الشعرانى أنه لا صحة لما جاء فى المناقب الكبرى وغيرها مما يخالف ذلك فيما يتعلق بميلاده .

وقد غادر قريته إلى القاهرة طلباً للعلم حيث استفاد من كثرة من شيوخ القاهرة وأقام بالجامع الأزهر ملازماً شيخه وأستاذه نورالدين الشونى + ٩٤٠هـ . نحو خمس سنين ثم غادر الأزهر إلى الجامع الغمرى عام ٩١٩هـ ولبث به سبعة عشر عاماً . ثم تحول بعدها إلى مدرسة أم خوند حيث اشتهر شهرة كبيرة .

وفى هذه الفترة اتصل بأساتذة العلم منهم جلال الدين السيوطى وزكريا الأنصارى وناصر الدين اللقانى والسمنودى وغيرهم كثير .

حفظ القرآن وهو ابن سبع سنين ، والتزم القيام بالفرائض وهو ابن ثمان ويقول دكتور توفيق الطويل عنه فى ترجمته[١] «أنه كان يتلو القرآن كله فى الركعة الواحدة قبل أن يبلغ سن الرشد وأنه كان معصوماً من آفات عصره ، ويعلق على ذلك بقوله : «إلى آخر ما يرويه عن نفسه ، مما يبدو إغراقاً لا يساغ فى رأى العقل» .

وللشعرانى مؤلفات عديدة فى شتى العلوم والفنون مما يدل على الالمام الواسع بعلوم عصره والأحاطة التامة بما وقع له من كتب البارزين من أهلها من القدامى والمعاصرين ، فقد كتب فى التصوف والفقه والتفسير والحديث والسير واللغة والقواعد والأصول .. وغيرها ..[٢] .

عاش الشعرانى ٧٥ عاماً وقد ذكر أنه خلف فيها ثلاثمائة كتاب فى النحو والطب والفقه والتفسير والتصوف وغيره .. بعضها فى خمسة مجلدات فإذا أسقطنا فترة الصبا من عمره فانه يكون قد كتب أكثر من خمسة كتب فى العام الواحد وهذا شئ كثير يدعو إلى الدهشة والعجب .

---

(١) د. توفيق الطويل : الشعرانى ، اعلام الإسلام ـ دائرة المعارف الإسلامية .

(٢) المرجع السابق : ص ٢٠ وما بعدها .

استقى الشعرانى علمه من خيرة من عرف فى عصره ونزع إلى مزاولة التصوف قبل أن يسلك على أرباب الطريق ، فراض نفسه على احتمال المكاره ، وعانى فى كبح شهواته ورد رغباته حتى عن الحلال المباح ، وأسرف فى ذكر الله حتى علق فى سقف خلوته حبلا يطوق عنقه متى جلس منذ العشاء حتى مطلع الفجر مدة سبع سنين ـ ليأمن سنات النوم وغفلاته ، فانه أن غالبه النعاس أنزل الماء البارد بثيابه أو ضرب بالسياط أفخاذه(١) .

وقد لزم الزهد فى مأكله وملبسه واتصاله بالناس واشتد فى محاسبة نفسه ، وطعم التراب شهرين ، وقيل أن حالة قد اشتد به ذات يوم فصاح باسم «الله» صيحة ارتجت لها جدران المسجد ، وكاد يتصدع منها بيت الشيخ أبى الحسن الغمرى + ٩٣٩هـ وكان قريبا منــه .

ولقد كان للشعرانى زاوية يتعبد فيها أقامها له القاضى الارزبكى ، أصبحت رباطا للعباد ، ومدرسة لطلب العلم ، وملتمسا للمتهجدين ومسجداً للصلاة وتكية للفقراء ، وقد حبس عليها الأوقاف ، وأجرى عليها الأرزاق ، وعين لها القراء والأئمة والخطباء ، فضلا عن المؤذنين، واستطارت سمعة الشعرانى حتى بلغت الآفاق فتسابق أهل السعة واليسار بالعطايا والهدايا والهبات والأوقاف يخصوه بها ، واجتذبت شهرته آلاف المريدين والذى استقر مئات منهم فى رحاب الزاوية منهم المبصر والكفيف ، حيث أقاموا طاعمين لا يتحملون نفقات معيشتهم وقد أعد لهم فى كل صباح ما يحتاجون إليه من غذاء .

يقول د. توفيق الطويل فى وصف زاوية الشعرانى(٢) وهو يترجم لـه :

---

(١) لطائف المنن جـ ١ ص ٤٧ وما بعدها .

(٢) أعلام الإسلام ـ الشعرانى ، ص ٣٥ ، وما بعدها .

«فقد كان الشعرانى أوسع أهل عصره علما وأرسخهم فى التصوف قدما . فكان طبيعيا ما تحدث عنه مؤرخوه من شهرة زاويته بمزاولة العلم المعروف فى عصره ، ومباشرة العبادات على اختلاف صورها ، وقد فاخر الشعرانى بأن الذين يقرءون القرآن والحديث فى زاويته يواصلون القراءة ليلا ونهارا فلا يفرغ قارئ من القراءة فى التصوف ، ولا ينتهى هذا حتى يليه قارئ آخر فى كتب الفقه وهكذا سحابة النهار وطيلة الليل من غير انقطاع» .

ويورد د. توفيق الطويل نقلا عن مؤرخى عصره من أمثال المناوى والشبلى وصاحب طبقات الشاذلية قولهم بأن الناس كانوا يسمعون لزاويته دويا كدوى النحل ليلا ونهارا ، ما بين ذاكر وقارئ ومجتهد ومطالع فى الكتب ونحو ذلك .

ويعلق د. الطويل بقوله : «هكذا نرى أن زاوية الشعرانى كانت تحفل بالقراء فى الفقه والحديث والنحو وما إليها من أدوات العلوم الشرعية واكتظت بالقراء فى التصوف والمقيمين على ذكر الله أو قراءة الحزب ونحوه ، مما حمل أهل الفضل فى عصره على أن يصرحوا بأنهم لم يروا فى مشارق الأرض ومغاربها خيرا من زاويته علما وفضلا وتصوف وأدبا» .

غاص الشعرانى فى بحر العلم اللدنى العميق القاع وهو لا يقوم إلا على الكشف الصحيح والتعريف الالهى ولا يتصل بالفكر والنظر فى كثير ولا قليل ويقول الشعرانى فى لطائف المنن[1] أنه قد غطس فى هذا البحر خمس مرات فلما هم بالسادسة استحال البحر حجرا وقد وجد فى كل مرة غاص فيها صعيدا من خزائن العلم اللدنى ، ولم يكن الشعرانى يكشف عن جميع ما اهتدى إليه من علم الباطن خوفا من الفتنة وتهيبا من خصومه من علماء الظاهر .

---

(١) المنقب الكبرى ٥٤ ، ٥٨ .

شيوخـه :

للشعرانى أشياخ تتلمذ عليهم وأخلص فى خدمتهم وتأدب بآدابهم ويذكر لنا فى الطبقات الكبرى هؤلاء المشايخ بشئ من التمجيد والاعزاز .

الشيخ نورالدين الشونى – ٩٤٤هـ :

يقول عنه الشعرانى(١) : هو شيخى ووالدى وقد وفى الشيخ نورالدين الشونى وهو أطول أشياخى خدمة ، خدمته خمسا وثلاثين سنة لم يتغير على يوما واحدا ، وقد داوم الشعرانى على حضور مجلس الشيخ الشونى نحو سبع سنين بعدها إذن له فى ترتيب مجلس خاص به ويقول الشعرانى أن مجلسه لم ينقطع إلى هذا الوقت .. ويروى الشعرانى عن شيخه أنه كان يرى بعرفات فى الموقف مرارا لا تحصى وهو مقيم بمصر لم يغادرها ، وأنه كان ينكر على من يقول له ذلك ، ويروى الشعرانى عن شيخه الشونى مناقب كثيرة وكان يمنى النفس أن يفردها فى كتاب إلا أن المنية عاجلته قبل أن يحقق ذلك .

الشيخ على الخواص(٢) :

«يقول عنه الشعرانى هو شيخى وأستاذى سيدى على الخواص البرلسى رضى الله عنه ورحمة ، وكان أميا لا يكتب ولا يقرأ إلا أنه يتكلم على معانى القرآن العظيم والسنة المشرفة كلاما نفيسا تحير فيه العلماء» ، ويذكر الشعرانى أن الشيخ على الخواص إذا قال قولا لابد أن يقع ، وكان يعرف حاجة المريد قبل أن يتكلم ولا يرده خائبا وله طب غريب ، كما يقول الشعرانى يوصف للاستسقاء والجذام والفالج

---

(١) الطبقات الكبرى – الجزء الثانى ، ص ١٣٥ وما بعدها .
(٢) المناقب الكبرى – الجزء الثانى ، ص ١٣٥ وما بعدها .

والخواص المزمنة وكل شيء يشفى باستعماله يكون فيه الشفاء . ويرى الشعراني أن الخواص كان له اطلاع كبير على طب الأقدماء .

وقد صحبه الشعراني أكثر من عشر سنين يقول عنها «فكأنها ساعة» ويذكر محاسن الخواص فيقول «وله كلام نفيس رقمنا غالبه فى كتابنا المسمى بالجواهر والدرر»(١). وقد ذكر مناقبه وكراماته ومحاسنه فى أكثر من سبعة عشرة صفحة فى كتابه الطبقات الكبرى .

ويوضح د. توفيق الطويل(٢) أسباب اتصال الشعراني بأستاذه الخواص فيقول أن الشعرانى استشار أصحابه وشيوخه ممن يأخذ عنهم طريق التصوف فأرشدوه إلى الشيخ على الخواص الذى اشتهر عنه الاجتماع برسول الله ﷺ ابان يقظته ، حتى يتسنى له أن يأخذ عنه علم ما يجهل ، وقد عرف عن الخواص أنه كان يفيض فى الحديث عن علوم فيما يجهله كبار العلماء فى عصره ، وقد سلك الشعرانى على يديه الطريق .

يقول الشعرانى انه لما اجتمع بالخواص أول اجتماع أشار عليه أن يبيع كتبه وينفق ثمنها أحسانا على المعوزين ، فاستجاب لمطلبه ، لكنه كان يحن إليها فأشار عليه شيخه بالاستعاضة عنها بالتجرد لذكر الله حتى هيأ الله له سبيل الخلاص من همها .

وطلب إليه الشيخ الخواص أن يعتزل الناس وأن لا يشغله دون الله فأقام على ذلك بضعة أشهر ثم أمره بالزهد فى لذاذات الطعام فانصاع لأمره ، حتى وجد أن العلوم الوهبية تزاحم العلوم النقلية فى نفسه ، فنصحه بالتوجه إلى الله وفى التماس الأدلة الشرعية ، فلما أطلعه الله على علوم الباطن ومحى العلوم النقلية من لوح قلبه» ، أقبلت عليه العلوم الوهبية .

---

(١) ذكره صاحب معجم المؤلفين وكذلك الزركلى فى الاعلام .

(٢) أعلام الإسلام ـ ص ٤٧ وما بعدها .

الشيخ على نورالدين المرصفى :

أشار إليه فى كثير من كتبه ، وقد اعتبره الناس جنيد عصره ، وذكر أنه لم ينهض بتربية المريدين إلا بعد أن أذن الله له على لسان رسوله ﷺ . وقد لقن الشعرانى الذكر ويقول فى ذلك فى الطبقات الكبرى[١] :

«تلقنت عليه الذكر ثلاث مرات متفرقات أول مرة وأنا شاب أمرد فقلت لقنى الذكر فأطرق ساعة ، ثم قال لا إله إلا الله فما أتمها إلا وقد غبت عن احساسى ، وما أفقت إلا عند المغرب ولم أجد أحدا ، وظللت مطرودا خمسة عشر يوما لا أستطيع الاجتماع به لسوء أدبى معه ، لقولى له : لقنى الذكر بحال قوى ، ثم لقنه الثانية والثالثة بحال قــوى» .

يقول عنه : كان من الأئمة الراسخين فى العلم وله المؤلفات النافعة فى الطريق واختصر رسالة القشيرى . كان إذا تكلم فى دقائق الطريق وحضر أحد القضاة ينقل الحديث إلى مسائل الفقه حتى يقوم ، وكان يرى أن ذكر الكلام بين غير أهله عورة .

وقد أوصى المرصفى تلميذه الشعرانى ألا يسكن فى جامع أو زاوية لها وقف ومستحقون ولا يسكن إلا فى المواضع المهجورة التى لا وقف لها ، لأن الفقراء لا ينبغى لهم أن يعاشروا إلا من كان من حزمتهم وعشرة الضد تكدر نفوسهم .

وقد توفى المرصفى سنة نيف وثلاثين وتسعمائة بزاويته بقنطرة الأمير حسن بالقاهرة .

---

(١) الطبقات الكبرى ــ الجزء الثانى . ص ١١٦ .

الشيخ محمد الشناوى تم ٩٣٢هـ :

أخذ الشعرانى العهد ولبس الخرقة على يديه ، وأجازه فى تربية المريدين فى حضرة جمع من الناس فى ليلة وفاته فأقبل على الشعرانى الناس يلتمسون منه تلقينهم الذكر وأن يأخذ فى تربيتهم فاستشار شيخه الخواص فى ذلك فأبى عليه ذلك .

الشيخ محمد ابن أخت مدين :

معاصر للشعرانى وقد أخذ عنه واشتهر باسم ابن عبدالدايم المدينى ، وكانت له مجاهدات رائعة وظهر صدقه مع تلامذته وقد تخرج على يديه الشيخ محمد الحمائل السورى ، والشيخ نورالدين الحسنى بن عين النزال ، والشيخ نورالدين المرصفى الذى سبق الاشارة إليه . وكان رضى الله عنه ذا همة ومظهره بهى نظيف وأقبل عليه القوم كما ورد عن الشعرانى فى طبقاته الكبرى إلا أنه طردهم عن طريق القلب ، وصار يخرج وحده إلى السوق ليشترى حاجاته بنفسه ويحمل الخبز إلى الفرن بنفسه إلى أن توفى ودفن بجوار سيدى مدين رضى الله عنه .

زهد الشعرانى :

قد سبق الاشارة فى سيرته عن ورعه وبعده عن الناس وتقشفه فى المآكل والمشرب حتى طعم التراب ، ويروى أن الدفتر دار أحمد قدم إليه مبلغا من المال جهرا فرفضه الشعرانى ، فبعث به مرة أخرى عن طريق أحد مماليكه خفية عن الأنظار فقال الشعرانى للمملوك :

«كيف أقبله منك وقد رفضته من مولاك» وانطلق المملوك مشدوها يشيد بزهد هذا الرجل الغريب من فقراء مصر»[١] .

---

(١) المناقب ، ص ١١٥ .

وقدم المباشرون للشعرانى الذهب والفضة فى جامع الغمرى فالقاها فى صحن المسجد على مرأى منهم حتى تهافت لالتقاطها المجاورون[١] .

لقد كان يؤمن الشعرانى كل الإيمان أن الهدايا والعطايا والهبات التى يمن بها أهل السعة تفسد حال المجاورين فضلا عن أنها مجلبة للاستدانة والجهر بالشكوى فانها تعرضّ أهل الطريق الرياء والنفاق والذلة أمام هؤلاء المحسنين .

ويؤكد الشعرانى فى صراحة أنه إنما يستمد هذا الفيض من الخيرات مما يمنّ الله به ومما يفتح به الله عليه ، ولا يدخل فى ذلك الفتح الألهى مما يفيض به المحسنون من أوقاف وأرزاق ، ويكفى لأهل الطريق الاخلاص فى عبادة الله والانقطاع لذكره ليكون ذلك بابا مفتوحا للرزق من حيث لا يحتسبون .

كتبه :

كثيرة ومتعددة فى أنواع من العلوم ، يذكر منها صاحب معجم المؤلفين[٢] :

١ ـ الجوهر المصون والسر المرقوم فيما تنتجه الخلوة من الأسرار والعلوم .

٢ ـ الدرر المنثورة فى زبد العلوم المشهورة .

٣ ـ لواقح الأنوار فى طبقات الاخيار (ويعرف باسم طبقات الشعرانى الكبرى) .

٤ ـ المقدمة النحوية فى علم العربية .

---

(١) المرجع السابق .

(٢) معجم المؤلفين ـ محمد رضا كحالة جـ ٦ ص ٢١٩ .

٥ ـ شرح جمع الجوامع للسبكى فى أصول الفقه .

ويضيف الزركلى[1] إلى تصانيفه الكثيرة :

٦ ـ أدب القضاة ـ مخطوط .

٧ ـ الأجوبة المرضية عن أئمة الفقهاء والصوفية ـ مخطوط .

٨ ـ أرشاد الطالبين إلى مراتب العلماء العاملين ـ مخطوط .

٩ ـ الأنوار القدسية فى معرفة آداب العبودية ـ مطبوع .

١٠ ـ البحر المورود فى المواثيق والعهود ـ مطبوع .

١١ ـ البدر المنير ـ مطبوع .

١٢ ـ بهجة النفوس والأسماع والاحداق فيما تميز به القوم من الآداب والأخلاق ـ مخطوط بخطه .

١٣ ـ تنبيه المغترين فى آداب الدين ـ مطبوع .

١٤ ـ تنبيه المغترين فى القرن العاشر على ما خالفوا سلفهم الطاهر ـ مطبوع .

١٥ ـ الجواهر والدرر الكبرى ـ مطبوع .

١٦ ـ الجواهر والدرر الوسطى ـ مطبوع .

١٧ ـ حقوق أخوة الإسلام (فى المواعظ) مخطوط .

١٨ ـ درر الخواص (من فتاوى الشيخ على الخواص) مطبوع .

١٩ ـ ذيل لواقح الأنوار (جزء صغير) مخطوط .

٢٠ ـ القواعد الكشفية فى الصفات الالهية ـ مخطوط .

٢١ ـ الكبريت الأحمر فى علوم الشيخ الأكبر ـ مطبوع .

٢٢ ـ كشف الغمة عن جميع الأمة ـ مطبوع .

٢٣ ـ لطائف المنن (يعرف بالمنن الكبرى) مطبوع .

---

(١) الاعلام ـ الزركلى ، جـ ، ٣٣١ .

٢٤ ـ لواقح الأنوار القدسية فى بيان العهود المحمدية ـ مطبوع .

٢٥ ـ مختصر تذكرة السويدى (فى الطب) مطبوع .

٢٦ ـ مختصر تذكرة القرطبى (مواعظ) .

٢٧ ـ مدارك السالكين فى رسوم طريق العارفين ـ مطبوع .

٢٨ ـ مشارق الأنوار ـ مطبوع .

٢٩ ـ المنح السنية ـ مطبوع .

٣٠ ـ شرح وصية المتبولى .

٣١ ـ منح المنة فى التلبس بالسنة ـ مطبوع .

٣٢ ـ الميزان الكبرى .

٣٣ ـ اليواقيت والجواهر فى عقائد الأكابر ـ مطبوع .

ويذكر بروكلمان(١) أن للشعرانى أكثر من ستين كتابا توجد اليوم نسخا منها مخطوطة أو مطبوعة فى دور الكتب فى أرجاء العالم ـ لكن ما عثر عليه حتى الآن لا يزيد على أربعة وثلاثين كتابا مطبوعا ومخطوطا ـ وقد تضمنت كما يورد بروكلمان فيضا من المعلومات يشهد بقوة ذاكرة الشعرانى وقدرته على استيعاب مايقرأ أو مايسمع .

وصف المخطوط :

ليس هناك أحصاء دقيق لمؤلفات الشعرانى ، لكن الكتب المنسوبة إليه والتى أفردت الفهارس المختلفة لها بعض صفحاتها تربو على ثلاثة وثلاثين كتابا ليس بينها هذا المخطوط الذى بين أيدينا الآن .

فقد أحصى بروكلمان كتبه فوجدها أكثر من ستين كتابا ، وأما على مبارك فانه يقرر أن مؤلفاته قد بلغت السبعين ، وقيل أنه خلف ثلاثمائة كتاب تناولت الطب والنحو والتفسير والفقه والتصوف وغيره .

---

(١) بروكلمان جـ ٢ ص ٣٣٥ ـ ٨ والملحق جـ ٢ ص ٤٦٤ ـ ٦٠٠ .

ولما لم نهتد إلى نسخة أخرى من المخطوط غير النسخة التى بأيدينا والتى تم استعارتها من مكتبة محافظة الاسكندرية عن طريق كلية الآداب بجامعة الاسكندرية التى أتمت مشكورة عملية تصويرها «ميكروفيلم» ثم ساهمت جامعة الملك عبدالعزيز بمكة المكرمة بطبع «الميكروفيلم» والذى يسر لنا فحص المخطوط ودراسته دراسة دقيقة والتعليق عليه واستظهار ما غمض منه ، وتحليل ألفاظه ونصوصه .

حالة المخطوط :

والمخطوط معنون فى صفحته الأولى بالعنوان الآتى :

«الكوكب الشاهق فى الفرق بين المريد الصادق تأليف العارف بالله تعالى عبدالوهاب الشعرانى رحمه الله تعالى ورضى عنه بمنه وكرمه والحمد لله رب العالمين» .

وقد رقم المخطوط برقم $\frac{٦١٨٨}{١٢٢٨٥}$ ج تصوف ، وهو عبارة عن كتاب مجلد باللون الأزرق حديثا ، وأما الورق المصنوع منه فيميل إلى الاصفرار من النوع الخشن وغير المصقول وصفحاته غير مرقمة لكنها متماسكة وليس بها شوائب .

أما عن حجم المخطوط فطوله ٢٢ سم وعرض صفحته ١٦ سم ويبلغ سمك المخطوط ١ سم تقريبا ، وعدد الكلمات الأفقية فى الصفحة الواحدة ١٢ كلمة تقريبا فى المتوسط ، وعدد صفحاته ١٤٨ صفحة .

والخط المكتوب جميل والحبر المستخدم أسود ومدون باليد بالخط النسخ ، وحالته جيدة جدا ، وليس مقسما إلى موضوعات أو أبواب أو فصول ولا يحتوى فى أوله أو فى ذيله على فهرس للموضوعات التى يعالجها ، وإنما يبدأ كل موضوع بهذه الجملة «ومن أخلاقهم» حتى

نهاية الكتاب وهذه الجملة فقط محبرة باللون الأحمر غالبا وفي بعض الأحيان باللون الأخضر والفراغات على الكتابة في كل صفحة ٣ سم تقريبا من كل جانب .

وبالرجوع إلى الفهارس المختلفة أتضح أنه لم يذكر المخطوط ضمن كتب ومؤلفات الشعرانى رغم تواجده فى أكبر مكتبة حكومية بمدينة الاسكندرية وهى مكتبة محافظة الاسكندرية (البلدية سابقا) كما أننا رجعنا إلى كثير من دور الكتب فى البلاد العربية والإسلامية ، وإلى المعاجم والمصنفات التى ذكرت كتب الشعرانى المطبوع منها والمخطوط مثل معجم المؤلفين لمحمد رضا كحالة والاعلام للزركلى وكشاف الفنون للدكتور أحمد لطفى عبدالبديع والذى ساهم معنا فى العمل بجامعة الملك عبدالعزيز كأستاذ بقسم الدراسات العليا لكننا لم نعثر على إشارة تفيدنا فى وجود نسخة واحدة من هذا الكتاب .

نسبة المخطوط إلى الشعرانى :

وقد ترددت كثيراً فى نشر هذا المخطوط قبل أن أتحرى تماما من عدم وجود نسخة أخرى من المخطوط فرجعت إلى مكتبة جامعة ساربروكن بألمانيا الغربية وأرسلت مشكورة إلى مكتبة جامعة برلين تستفسر عن وجود نسخة من هذا المخطوط فجاء الرد بالإعتذار وكان نفس الرد بالنسبة لتركيا .

وقد رجعت إلى أستاذى الدكتور محمد على أبوريان وأخبرته بما قمت به وما أسفر عنه البحث ، فشجعنى على نشر المخطوط خدمة للتراث الإسلامى بعامة ومكتبة التصوف بخاصة ، وبناء عليه عزمت على اخراج هذا الكتاب ولقد شجعنى أيضا على نشره الأمور الآتية :

١ - أن المخطوط مكتوب بخط واضح سليم ولا يحتوى على صفحات مهترئة أو مطموسة .

٢ ـ أن المتمرس في قراءة كتب عبدالوهاب الشعراني يوقن أن كاتبه هو الشعراني نظراً لتميز أسلوبه ووضوح خصائصه وإستخدام تعبيرات ومصطلحات تشتمل عليها غالبية مؤلفاته .

٣ ـ أنه بالرجوع إلى كتابه المعروف بأسم «تنبيه المغترين» وهو مطبوع أكثر من مرة وبالمقارنة بينه وبين المخطوط الذى بين أيدينا ، نجد إتفاقا تاما فى طريقة الاخراج والعرض والصياغة بل وأسلوب التفكير واللغة والعصر ، كما أن الصياغة للجمل والأساليب موحدة ومتواترة بل ومكررة فى غالبية مؤلفاته . حتى أننا نجد أن كتابنا يبدأ فى كل موضوع بنفس البداية التى يبدأ بها كتاب تنبيه المغترين وهى جملة «ومن أخلاقهم» والفرق الواضح بين الكتابين أنه كان يعالج فى «تنبيه المغترين سير الخلفاء الراشدين والصحابة والتابعين ، أما فى الكوكب الشاهق فان جل اهتمامه ينصب على مريدى عصره ويركز عن طريق المقارنة ما انحدرت إليه الأخلاق فى زمانه «القرن العاشر» وما يجده من نقائص وعيوب ومثالب لم تكن موجودة عند أهل الله من السلف الصالح . وقد عمد الشعرانى إلى المقارنة بين أخلاق مريدى عصره وبين أخلاق السلف ووصل فى نهاية الأمر إلى نتائج منها أن الشيخ فى عصره يعد مريدا فى عصر السلف الصالح .

٤ ـ مما أكد أن المخطوط ينتسب إلى الشعرانى ـ ولو أنه يرجح أن كاتبه هو أحد تلامذته أو مريديه ، أنه يبدأ بالدعاء للشعرانى وبتمجيده باعتباره من الأولياء فيقول كاتبه : الكوكب الشاهق فى الفرق بين المريد الصادق تأليف العارف بالله تعالى عبدالوهاب الشعرانى رحمه الله تعالى ورضى عنه بمنه وكرمه والحمد لله رب العالمين .

٥ ـ من الشواهد التى تؤكد نسبة المخطوط إلى الشعرانى أنه دأب فى مؤلفه على الاستشهاد بأقوال أساتذته ومشايخه عندما

يعرض لمسألة من المسائل فيقول : وقال شيخي علي الخواص وقال شيخي علي المرصفي وشيخي محمد ابن أخت سيدي مدين وأخبرني شيخي الشناوي ، وكان شيخي الشوني يقول ... الخ . وجميع هؤلاء الذين ذكرهم أساتذته الذين لقن عنهم العلم وسلك على أيديهم الطريق ولبس الخرقة وأمر بتولي التربية والتعليم وعاش معهم وتذوق مشاربهم ، وحضر مجالسهم ولقن عنهم الذكر وعرف أحوالهم ومقاماتهم .

٦ ـ أنه واضح من أسلوب المخطوط أنه ينقل عن عصر الشعراني «القرن العاشر» ومن البيئة القاهرية التي عاش وتوفي بها فضلا عن ذكره بالتحديد للعلماء والأئمة والصالحين والأمراء ورجال الحكم الذين قابلهم وما تم بينه وبينهم من أحاديث وما رفع من الأولياء منهم من كرامات وما حدث لأرباب الحكم من وقائع وأحداث على يد أهل الله .

٧ ـ وينتهي المخطوط بقول ناسخه :

«وهذا آخر الكتاب المسمى الكوكب الشاهق في الفرق بين المريد الصادق وغير الصادق تأليف سيدنا وقدوتنا إلى الله سبحانه وتعالى سيدي الشيخ عبدالوهاب الشعراني صاحب الكرامات والعلوم والمعاني رحمة الله عليه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم» .

وافق الفراغ من هذه الكلمات الشريفة المباركة المبجلة المعظمة صبيحة الجمعة خامس شهر من شهور سنة سبعة وثلاثين بعد الألف الهجري .

وظاهر أن ناسخه من مريدي الشعراني أو تلامذته وربما يكون قد عاصره حيث أن المدة الزمنية بين وفاة الشعراني ونسخ هذا المخطوط لا تزيد عن ٦٥ سنة إذ نسخ المخطوط في عام ١٠٣٧هـ وتوفي الشعراني ٩٧٣هـ .

الكوكب الشاهق
فى الفرق بين المريد الصادق وغير الصادق
مخطوط من تأليف الشيخ العارف بالله تعالى
عبدالوهاب الشعرانى (رحمه الله)

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله سيد الأولين والآخرين ، اللهم فصلى عليه وسلم وعلى سائر(١) الأنبياء والمرسلين وعلى آلهم وصحبهم أجمعين . أما بعد ، فهذه أخلاق غريبة فى فقراء(٢) أهل هذا الزمان ، وكانت من أخلاق المريدين فى الزمن الماضى فصارت من أخلاق الأشياخ فى هذا الزمان(٣) تلقيتها عن نحو مائة(٤) شيخ ممن

(١) فى الأصل : (ساير) .

(٢) فقراء : جمع فقير ، والفقير الصوفى هو الفقير إلى الله تعالى الزاهد فيما عند الخلق، المحتاج إلى الله على الدوام ، الذاكر لله على الاستمرار الذى يعرف أن الله رب ، وأنه عبد ، فيفرق بين مقام العبودية وبين مقام الربوبية فلا يشعر بحوله ولا قوته ، وإنما تنعقد إرادته مع الله تعالى ، فلا يرضى إلا بما رضى الله عنه ، ولا يكره إلا ما ينهى الله عنه ، فهو عبد متوكل عليه بالكلية ، مسقط التدبير لا يجد لنفسه شيئا غير ما يعطيه الله سبحانه وتعالى له ، والفقير ليس بالضرورة فقيرا ماديا ، فلقد كان بعض هؤلاء الفقراء أمثال العارف بالله أبوالحسن الشاذلى شيخ الطريقة الشاذلية من أثرياء المال ، لكنهم من الفقراء إلى الله سبحانه وتعالى .

(٣) يقصد أن المريدين الأوائل فى صدر الإسلام من الصحابة والتابعين وتابعى التابعين كانت أخلاقهم هى القدوة الحسنة ، وذلك لقرب عهدهم من عهد رسول الله ، أما فى عصر الإمام الشعرانى ، وهو القرن العاشر الهجرى فقد تداخل المجتمع مع جنسيات وعناصر مختلفة من الإيمان الذى كان للمريدين الأوائل حتى أن ما وجده الشعرانى من حال الأشياخ فى عصره لا يختلف عما كان عليه حال المريدين الأوائل فى الحال والمقام .

(٤) فى الأصل «مايه» .

أدركتهم أوائل القرن العاشر فى مصر وقراها ، فبعضها شاهدته من أفعالهم وبعضها أقتبسته من نور أخلاقهم ، ولم أجد أحدا من أصحابهم من أعتنى بشئ منها ، فخفت أن تندرس باندراس تلامذتهم فوضعتها فى هذه الطروس لينفع الله بها من شاء ، وهى كالسيف القاطع لعنق كل من يدعى الصلاح فى هذا الزمان بغير حق لأنها تغسله وتسلخه من طريق الصلاح كما تنسلخ الحية من ثوبها ولقد حررتها على الكتاب والسنة تحرير الذهب والجوهر بحسب فهمى ومقامى .

ثم أعلم يا أخى أن الفقراء الصادقين قد اختفوا فى هذا الزمان ، وغالب من يتظاهر فيه الآن بالصلاح معدود من النصابين على تحصيل الدنيا ، كما يدل على ذلك مزاحمتهم على اعتقاد الأمراء والأكابر فيهم فكل من طلع له أمير يود أنه لا يطلع لغيره أبدا ، ومن شك فى قولى هذا فليجرب ، وقد سميت هذا الكتاب بمنهج الصدق والتحقيق فى تفليس المدعين للطريق[١] جعله الله خالصا لوجهه الكريم آمين .. إذا علمت ذلك فأقول وبالله التوفيق .

---

(١) بمراجعة هذا المخطوط الموجود بدار مكتبة محافظة الاسكندرية البلدية سابقا تحت رقم ٦١٨٨ والذى لم يسبق نشره حتى الآن ، وهو فى عدد مكتوب بخط اليد وليس به فهارس ، هو كتاب من الحجم الصغير ، مكتوب على ورق أصفر سميك ومجلد بجلد بنى اللون وبه فواصل للموضوعات تبدأ بكلمة ومن أخلاقهم أما العنوان المكتوب على فاتحة الكتاب فهو (الكوكب الشاهق فى الفرق بين المريد الصادق) ، ويظهر من ذلك أن كاتب هذا المخطوط هو أحد تلاميذ الأمام الشعرانى أو من مريديه إلا أنه لم يذكر أسمه ولا تاريخ نسخه أو تدوينه وهذا فى تصورنا راجع إلى أنه قد نقل عنه مشافهة ، أو أن هناك أصل نقل عنه ولم يمكننا الاستدلال عليه فى مكتبة دار الكتب أو فى المكاتب الأخرى ولم يسمع بهذا المخطوط أحد من الباحثين المهتمين بالتراث الإسلامى عامة والصوفى خاصة ، إلا أنه قد وجدنا كتابا آخر للأمام الشعرانى وهو قد سبق نشره بهامش كتاب الكشف والتبين طبعة المكتبة التجارية بمصر وأسمه تنبيه المغترين ، إلا أن هذا المخطوط يختلف عنه فى الموضوع حيث ينصب على أخلاق المريدين وعلاقتهم بأشياخهم من الصوفية .

وما يبين من معالجة الأمام الشعرانى لهذا الموضوع هو إنتشار مدعى الولاية فى =

(١) ومن أخلاق المريدين الصادقين أن لا يطلب أحدهم الدخول في طريق القوم إلا بعد تبحره في علوم الشريعة[1] حتى يؤذن[2] له إلى أمر آخر عن ما هو فيه ، وكان سيدى أحمد بن الرفاعى يقول لا يصح لعبد دخول طريق القوم إلا بعد تصوره أن يرى النقص في نفسه في سائر العبادات في الطريق[3] وكان يقول (سلكت)[4] بهذه

= عصره ودخول كثير من المستفيدين الذين يسميهم بالنصابين في الطريق الصوفي كما يبين أيضا أن الولاة والحكام في هذا العصر كانوا يتوددون إلى أهل الصوفية ويترددون إلى مجالسهم ولذلك تزاحم بعض المستفيدين من مدعى الولاية على مجالس الأمراء طامعين في أن لا يقترب أحد غيرهم إلى هؤلاء الأمراء أو الأكابر حتى لا يكون له حظوة عندهم مثلهم ، وهذا في واقع الأمر إنما يدل على إنشغال كثير من مدعى الصلاح والمستفيدين عن الطريق في ذلك العصر وأنهم كانوا من أهل الدنيا وذلك أمر مخالف تماما لما نعرفه عن الصوفية الأوائل من الصدق والاخلاص والتزهد ورفض التقرب لمجالس الحكام والأمراء أو التودد إليهم إلا إذا كان ذلك للنصح والارشاد أو لمصلحة العباد والبلاد .

(١) يمتاز المريد في الطريق الصوفي بالمامه بالفرائض والتكاليف والأحكام والمعاملات الشرعية مؤيدا بالصدق والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والتفريق بين الحلال والحرام ، فيعرف ماله وما عليه من حقوق وواجبات ويحاسب نفسه عن تقصيره ويؤدى واجباته نحو ربه ونفسه وبذلك تنصلح حاله لدخول طريق الصوفية بما يرقى بنفسه من التواضع والفقر لا التكبر والتشكك والاغترار ، هنا يتقدم الطريق ينصلح حاله بما يمن عليه من ثمرات جزاء لإخلاصه .

---

(٢) لم يرد ذلك في النص ، زيادة يقتضيها السياق ليستقيم المعنى .

(٣) سيدى أحمد الرفاعى (٥١٢ ـ ٥٧٠هـ) هو شيخ الطريقة الرفاعية وقطبها ولد في أم عبيدة وهى جزيرة قرب واسط من أعمال محافظة البصرة في العراق في خلافة المستظهر بالله في العصر العباسى الثانى ، وقد قام بتربيته خاله الشيخ منصور البطائحى ويمتد نسبه إلى سيدنا الحسين رضى الله عنه من ناحية أبيه وإلى سيدنا الحسن رضى الله عنه من ناحية أمه ، ومن أجل ذلك سمى بأبى العلمين وكان (رضى الله عنه) يعمل في مختلف الحرف حتى يضمن لنفسه لقمة العيش التى تمكنه من عدم الاعتماد على أحد وليتمكن من اللحاق بمجالس العلم في أى مكان وفى أى بلد ، وقد عاش ست وستين عاما وستة أشهر وستة ساعات ونقل عنه أنه ما رؤى قط وهو يأكل ولا هو نائم ولا عرف أحد مكان نومه ولا يفرح من أحد ولا يقابل أحدا وما كان يتكلم من غير سبب ولا موجب ولم يكن أحد يقدر أن يكلمه من غير سبب ومن كراماته المتواترة أنه صلى الجمعة يوما بدمشق وصلى السبت في طور سيناء وصلى صبح الأحد في البيت المعمور وصلى الاثنين في المدينة المنورة وصلى صبح الثلاثاء في جامع بعلبك وصلى الخميس ببيت المقدس وصلى صبح الجمعة في مكة المكرمة ، وهذا حاله كما ذكر على الترتيب المذكور .

(٤) هكذا في الأصل .

الثلاث كلمات وهى ملتفت لا يصل ، متشكك لا يفلح ، ومن لا يعرف عن نفسه النقصان ، فكل أوقاته نقصان ، فإذا سلكت الطريق ورأيت النقص فى نفسك بعد ذلك فقد دخلت إلى أول قدم فى الطريق فإياك أن يقع منك جهل أو جفاء[١] أو تكون بك علة تحجبك عن شهود ربك فى ليل أو نهار ، فما أقبح الجهل بالألبا[٢] والجفا بالأحبا والعلة بالأطبا[٣] ــ انتهى .

قال سيدى أحمد . فكان جميع سلوكى بهؤلاء الكلمات وبلغنا عن الشيخ أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه[٤] أنه كان يقول من لم يتبحر فى علوم الشريعة حتى يصير يقطع أكابر العلماء بالحجج الواضحة فى مجلس المناظرة فلا يطلب صحبتنا ، فاعرض ياأخى ما قررناه لك فى هذا الخلق على أكثر مريدى عصرك الذين أدعوا دخولهم فى الطريق تجد أحدهم لا يقدر أن يحل لك أخصر كتاب فى الفقه بل ولا يعرف شروط الوضوء فضلا عن الزيادة على ذلك فلذلك عدموا النفع وبعضهم فتح له باب من التوحيد فتزندق[٥] وصار يأكل

---

(١) وردت فى الأصل (جفا) ، وأغفال الهمزة شائع فى المخطوط .

(٢) يقصد الألباب .

(٣) هكذا فى الأصل .

(٤) هكذا أبوالحسن الشاذلى شيخ الطريقة الشاذلية (٥١٣ ــ ٦٥٦هـ) وهو قطب هذه الطريقة وعميدها ومؤسسها بدأ حياته باحثا فى المعرفة حافظا للكتاب والسنة ملازما لمجالس العلم حتى بهر الناس بعمله وأدبه وطلبوا منه أن يتولى التدريس لهم ، وقد ألتقى بالشيخ عبدالسلام ابن مشيش حيث أثر فيه تأثيرا كبيرا وقال له مرة حدد بصر الإيمان تجد الله فى كل شئ وعند كل شئ وفى كل شئ وقريبا من كل شئ .

(٥) ربما يقصد هنا أن من يستخدم الجدل والمناقشة وهم أصحاب النظر من العلماء والفقهاء ويظن أنه متمكن من الشريعة ، عالم بأسرارها ومتفهم لمعانيها لا يستطيع أن يدانيه فى سبر أغوارها أو منافسته فى العلوم الفقهية والشرعية فهو مغرور يستخدم لسان حسه وهواه ، ولا يستقتى قلبه ونقاءه لأن العالم الحقيقى عند الصوفية هو الذى يشعر بالنقص مهما سما علمه وارتفع فهمه ويحس بالعجز فى بحر علم الله الذى لا ينفد لذلك فان مدعى الكمال فى العلم لا يصلح ولا يصبر على التواضع والفقر والمعاناة والزهد والرياضة لأن هذه الأخلاق قوام الصوفى وخلقه فحسب .

الحرام والشبهات ويقول لا أحد يملك مع الله ، وصار على وجهه ظلمه حتى ربما ظهر ذلك الخاص والعام فاعلم ذلك ولا تنسى نصيبك والحمد لله رب العالمين .

(٢) ومن أخلاقهم إذا أراد أحدهم الأخذ عن أحد من مشايخ عصره أن يصوم ثلاثة أيام أو سبعة أيام ملازماً الصمت وقلة الأكل فيها ، فإذا انقضت صلى ركعتين[1] ، وسئل الله تعالى في سجوده وبعد سلامة منها[2] أن يجمعه على عارف الزمان ويرزقه الاعتقاد فيه والانقياد له ثم يتوجه إلى مشايخ عصره في بلاده أو غيرها بالقلب واحداً بعد واحد إلى أن يستوعبهم ، فكل من حصل له في قلبه أنه يجتمع به فان وديعته عنده[3] وقد خالف قوم هذا فقالوا أنهم ليسوا لهم عنده وديعة فلم يحصلوا على طائل ثم فارقوا شيخهم (قائلين) [4] للناس

= ويجوز أن يدعي بعض الناس العلم لما كشف له من الأسرار والفتوحات من باب الاستدراج التي تظهر في صورة كرامات أو خرق للعادات ، فيعتقد في نفسه أنه قد اطلع على الحقائق وبات عالما بحقائق الأمور وأن الله قدر قربه له ، فلا يحق لعبد أن يخالفه في ذلك . وهو في واقع الأمر مشرك ومرائي إذ أنه قد دخل باب الكفر والتزندق وأن الأصل في الصوفي التواضع وعدم المباهاة بما تكشف له من حقائق وتجليات ، فهي من باب الثمرات أو من باب الإستدراجات ، فإذا ما يقضي عن نفسه يقع في المعاصي المهلكات ، والذي يسير في هذا الطريق إنما يغويه الشيطان فيغتر ويقع في حبائله ، فتطب نفسه ويصير من الظالمين .

(١) يعتقد الصوفية أن الخلوة تدعيم للتوبة وتثبت للإخلاص وسير في طريق الله وهي أفضل اللحظات التي يقضيها الإنسان مع ربه وهي عزله عن الناس وقربه إلى الله وفيها يستغفر الإنسان عن ذنبه وينظر إلى نفسه ويصلح عيوبها ويداوي ما أعوج من أمرها فيتوب عما اقترف من ذنوب وآثام . ومن ثمار التوبة التواضع لأنه يرى نفسه صغير والله كبير فقيرا والله غنيا ضعيفا والله قويا ، وكلما ازداد صدقا وعيبة من الله ازداد تواضعا ....

(٢) بعد سلامه من صلاة الركعتين .

(٣) يعتبر ملاقاة المريد لشيخه ــ الذي هو من أولياء الله الصالحين ــ نعمة أنعم الله عليه بها وعلى المريد أن يشكر الله على هذه النعمة ويقوم بواجب الخدمة لشيخه ، وكما يقول الصوفية «وبالخدمة يبلغ المريد مبلغ الرجال ، ومن آداب الطريق أن يعتقد المريد في شيخه الكمال» .

(٤) في الأصل (قايليين) .

لو وجدنا عنده مددا أو خيرا ما فارقناه كما وقع ذلك لجماعة من مشايخ العصر وإيضاح ذلك أن الطريق عزيزة وأهلها أعز منها والطالب لها بصدق أعز من الكبريت الأحمر وربما راج حال بعض الكذابين النصابين على حال الصادقين كما أشرنا إليه فى خطبة هذا الكتاب فيأتى المريد المحجوب يطلب الطريق على يد هؤلاء الكذابين بحكم الصيت فلا يحصل على طائل ، فإذا استخار الله تعالى وسأله أن يدله على عارف الزمان الصادق دله عليه فيدخل فى صحبته على بصيرة وقد قال الراوى رحمه الله أن الشيخ المرشد فى كل عصر لم يزل مستوراً بين أولياء الله تعالى فضلا عن غيرهم من العوام فلا يعرفه إلا أرباب البواطن والبصائر دون أهل العمل الظاهر وذلك لأن غالب أعماله التى يتميز بها عن أقرانه تصير قلبية لا يظهر منها على ظاهرة إلا مالا يتميز به عن العامة من (الفرائض)[١] والسنن المؤكدة فيخفى بعد الشهرة ضرورة فمن أين يعرفه المريد المحجوب بسبعين ألف حجاب[٢] . وقد ورد فى الحديث القدسى أوليائى تحت قبائى لا يعرفهم غيرى أى وغير من عرفته أياهم ... إنتهى كلام على المرصفى رحمه الله .

وكان يقول[٣] كثيرا «سبب اختفاء الصادقين من أهل الله فى كل عصر وزمان قلة صدق الطالبين الطريق بصدق ، ولو أن المريدين

---

(١) وردت فى الأصل (الفرايض) .

(٢) هذا الأصل والمقصود أن بين المبتدئ والقطب أو الولى الكامل سبعون ألف مقام .

(٣) العارفون بالله لا يريدون نفعا ولا مصلحة دنيوية من خدمة تلامذتهم ومريديهم فى الطريق إلى الله لأنهم لا يهتمون بالحياة الدنيوية ، وإنما صلتهم كلها وشغلهم كله بالله سبحانه وتعالى ، فلا يهتمون ولا ينظرون إلا إلى من صدقت نيته وهم الذين يودون بإخلاص أن يسيروا فى طريق الصدق حتى يصلوا إلى القربى من الله تعالى أما المريدون الذين يهتمون بحظوظ النفس من مال وجاه وأغراض فاسدة فانهم لا يحظون بمقابلة شيخ من العارفين لأنهم خارجين عن الطريق لا يرجى شئ ، لذلك فلا رابطة يمكن أن توثقهم بأحد من المشايخ العارفين فى =

صدقوا لأظهروا لهم أنفسهم ، ولكنهم دخلوا بالحظوظ النفسية والأغراض الفاسدة[١] فكان من عقل الواصلين الأختفاء عنهم رحمة بهم ، فقلت له أن المريدين لم يزالوا يطلبوا الطريق بهذه الأمراض ولا يمنعهم الأشياخ بل يقبلونهم ويصيرون يصفون لهم الدواء المزيل لأمراضهم شيئا فشيئا حتى تنصلح أحوالهم ، فقال صحيح ؛ لو علم الصادقون من المريدين ما عندهم من العلل وطلبوا من الأشياخ دواءها[٢] لأغراض صحيحة ما منعوهم ولكنهم طلبوا إزالة أمراضهم ليتمشيخوا على الناس ، ويرون بذلك نفوسهم على اخوانهم ، ثم لا يطلبون الخروج عن ذلك بل يمكث أحدهم يدعى الصلاح ويعجب بحاله حتى يموت على ذلك ولا يقبل نصح ناصح أبداً ، فحكم هؤلاء حكم من يشترى العنب ليعصره خمراً أو الجارية ليوقفها مع الزانيات ، ومعلوم أن بيع ما ذكر حرام بالنظر لآخرة أمره فكذلك المريد الذى لم يخلص فى طلب الطريق .. فافهم .

وقد كثر هذا النوع فى مريدى هذا الزمان وادعو للمشيخة بغير حق ، وجلسوا لها بغير إذن من أشياخهم ، فضلوا وأضلوا ، وكان

= زمانهم ، لأنهم لا يريدون الوصول إلى محبة الله ورضوانه تعالى وإنما أمراضهم النفسية وقلوبهم المريضة تريد تصنع الصلاح ، وأدعاء التقوى والفلاح بقصد منافع مادية ومصالح دنيوية ليقال عنهم أنهم من تلامذة العارف بالله ، وهم بذلك يلبسون مسوح التقوى والورع ويحظوا بالمشيخة طمعا وجشعا ، وهم لا يستحقونها ولا يجدر بهم أن ينتسبوا إلى الطريق من قريب أو بعيد .

(١) ولذلك فان الاختفاء من جانب العارفين عن هؤلاء المريدين غير الصادقين إنما هو رحمة بهم حتى لا يستمروا على الضلال ويطمعوا فى حظوظ أكثر خطرا وأقرب إلى التهلكة ، أما إذا أرادوا ملاقاة العارفين بالله بقصد صادق وهو معاونتهم فى إزالة ما أصيبوا به من الأمراض وحتى يتمكنوا من اصلاح أحوالهم فهذا هو ما يقبله أئمة الصوفية ، ولكن إذا كان القصد أن يمكث المريد من شيخه فيغتر بهذه المصاحبة ويقال عنه أنه من الصالحين فهو يسير فى طريق الضلال ولا ينفع معه نصح ولا إرشاد .

(٢) وردت فى الأصل (دواها) .

عليهم اثم قاطع الطريق وقد قال الراوى رحمه الله[١] يجب على الطالب الصادق أن لا يصحب أكثر من يدعى المشيخة فى عصرنا هذا البتة إلا بعد ظهور امارات الصدق بإلهام من الله تعالى للطالب حيث يستخير الله تعالى أو بشهادة الصادقين من أهل الطريق[٢] لذلك الشيخ ، قال : واياك أن تصحب أحدا من المدعين للطريق بلبس الزى أو تدعهم يأخذون عليك العهد فانهم «أكثر أذى»[٣] من الثعبان ، وذلك لأنك تشهد الأذى من الثعبان فتأخذ منه حذرك ، ولا هكذا من تظاهر بالصلاح وهو فى الباطن شيطان فى زى إنسان[٤] .

---

(١) يقصد الشيخ الشعرانى الذى ينقل عنه ويظهر أن النسخ لهذا المخطوط قد تم بعد وفاته .

(٢) للولاية عند العارفين بالله من أهل الطريق علامات يصدق فيها الشيخ المربى تعتبر بمثابة المرجع الأساسى للطريق الصوفى ، وهى اثنتا عشر علامة :

١ ـ أن يكون عارفا بالله .
٢ ـ أن يكون مراعيا لأوامر الله .
٣ ـ أن يكون متمسكا بسنة النبى ﷺ .
٤ ـ أن يكون دائم الطهارة .
٥ ـ أن يكون راضيا عنه الله تعالى .
٦ ـ أن يكون موقنا فيما وعد الله به .
٧ ـ أن ييأس مما فى أيدى الناس .
٨ ـ أن يتحمل أذى الناس .
٩ ـ أن يكون مبادرا لأوامر الله .
١٠ ـ أن يكون متواضعا للناس .
١١ ـ أن يكون شفيقا على خلق الله .
١٢ ـ أن يكون عالما بأن الشيطان عدوا كما أخبر الله تعالى .

ويرى سيدى أبوالحسن الشاذلى أن للصوفى أربعة أوصاف ، التخلق بأخلاق الله عز وجل .. المجاورة لأوامر الله عز وجل وترك الانتصار للنفس حياء من الله عز وجل وملازمة البساط بصدق مع الله عز وجل .

(٣) وردت فى الأصل مطموسة ه والظاهر من السياق أنها «أكثر أذى» حتى يستقيم المعنى

(٤) ويشترط فى المريد الصادق أن يكون متصفا بهذه الخصال فإذا جردت عنه فهو مريد كاذب ومدعى منافق وجب طرده من الطريق وفتش أمره ، وهذه الخصال : تجريد التوحيد ، فهم السماع ، حسن العشرة ، إيثار الايثار ، ترك الاختيار ، سرعة الوجد ، الكشف عن الخواطر ، كثرة الاسفار ، طلق الاكتساب تحريم الإدخار .

قال وذلك كالجماعة الذين سموا نفوسهم بأسماء المشايخ الصادقين أو أنه من أتباعهم كالملامتية[١] والقلندرية والحيدرية والبسطامية[٢] وأشباههم فان الغالب على هؤلاء مخالفتهم لطريق من تلقبوا بلقبه أو انتسبوا إليه فان المنقول عن جميع أشياخ الخرق كلها التقيد بالكتاب كسيدى عبدالقادر الجيلى[٣] وسيدى أحمد بن الرفاعى وسيدى أحمد البدوى[٤] وسيدى ابراهيم الدسوقى[٥] وغيرهم من

---

(١) الملامتية هى فرقة من الفرق الصوفية وكان أصحابها على عهدها الأول يعتبرون من أكابر الصوفية وكانت تلك الفرقة لا تهتم بالمظاهر الكاذبة وإنما كان مجلى عبادتها فى النية والصدق مع الله ، وذلك خوفا من الفتنة ، وهم أهل فتوة وإخلاص وطاعة وقد انتسب إليهم فى العصور المتأخرة المستفدين الذين كانوا يقومون بضرب أنفسهم وتقطيع ثيابهم وجرح أعضائهم للادعاء بأنهم من الصوفية أو من أهل الملامة ، وهم فى واقع الأمر أهل دنيا وليس لهم فى الطريق قدم .

(٢) هو أبويزيد البسطامى رضى الله عنه وكان من أكابر الصوفية فى القرن الثالث الهجرى ناطقا بالشريعة والحقيقة على السواء وكان قبل إسلامه ماجوسياً وللبسطامى أخوة على الطريق هم آدم وطيفور وعلى وكانوا جميعا عبادا ونساكا ولقد كان أبويزيد أجلهم حالا وأعلاهم وقارا توفى سنة ٣٦٢هـ واشتهر بحكمته التى تسمى شطحات ولها قيمة علمية لا تقدر .

(٣) الجيلى أو الجيلانى (عبدالقادر) من نسل الحسن رضى الله عنه قال عنه صاحب الكواكب الدرية :

«أجمع الناس على أمانته وكان صريح اللسان ، ثابت الجاش والجنان ، وله إقدام ، وتمكن أقدام ، ملوكى الفتح ، عظيم المنزلة ، كثير الشطح ، ومواعظه مشحونة بلطائف ورقائق يرجى الرجاء منها ومجالسه يثنى عليها الأئمة ، كان فى الفقه أمام وفى التصوف لا يسامى ـ تضلع فى الأصول والفروع وتقدم على غيره فى كل فن مشروع ، مات سنة ٥٦٠هـ تقريبا رضى الله عنه فى بغداد ، وهو شيخ الطريقة القادرية وقطبها الأعظم» .

(٤) هو أبوالفتيان أحمد بن إبراهيم بن محمد بن بكر الفاسى المعروف بأبى اللثامين السطوحى نسبة إلى السطوح الذى أقام به اثنى عشر عاما ، ولد سنة ٥٩٦هـ وتوفى عام ٦٧٥هـ عن واحد وثمانين عاما ودفن بطنطا ، وهو شيخ الطريقة الأحمدية وقطبها ويمتد نسبه إلى الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه كما أجمع الكتاب على أن أسرته من أصل قرشى ولكنها انتقلت إلى مدينة فاس بالمغرب عام ٧٣هـ وأن أهل المغرب اعتقدوا فيه اعتقادا زائدا .

(٥) هو إبراهيم الدسوقى القرشى توفى عام ٦٧٠هـ عن ٤٣ عاما وهو شيخ الطريقة البرهامية وصاحب المحاضرات القدسية والعلوم الدينية وهو أحد الأئمة الذين أظهر الله لهم المغيبات وخرق العادات والولاية الراسخة ، وانتهت إليه الرياضة فى الكلام على خواطر الانام .

المشايخ حتى كان سيدى ابراهيم يقول «من لم يحبس نفسه فى قمقم الشريعة ويختم عليها بخاتم الحقيقة فليس هو منى وأنا برئ منه فى الدنيا والآخرة .

وكان سيدى أحمد بن الرفاعى – رضى الله عنه – يقول أجمع أهل الطريق على أن كل حقيقة ردتها الشريعة(١) فهى زندقة ، وقالوا الشريعة هى أحكام العبودية ، والحقيقة هى حقيقة العبودية ، وكان أبوالقاسم الجنيد(٢) رحمه الله – يقول طريقنا هذه مشيدة بالكتاب والسنة ، فمن لم يفهم القرآن والحديث لا يجوز الاقتداء به عندنا وكان يقول : إذا رأيتم شخصا قد ترفع فى الهوى فلا تلتفتوا إليه حتى تنظروا حالة عند الأمر والنهى .

وكان يقول من ادعى أن أحدا من أهل الله وصل إلى حالة يسقط عنه فيها أحكام الشريعة مع عقله فهو كاذب والذى يسرق ويزنى أحسن حالا من هذا(٣) .. انتهى .

---

(١) التصوف إنما يتبع أحكام الشريعة الإسلامية فى منهجه ومسلكه وغايته مقتديا بالحديث الشريف وهو أن الشريعة هى أن تعبده والحقيقة أن تشهده وكل من تحقق ولم يتشرع فقد تزندق وكل من تشرع ولم يتحقق فقد تفسق والشريعة بهذا المعنى تكون هى الموافقة لله تعالى فى العبودية كعبد وفى الربوبية لله سبحانه وتعالى كرب ، وتكون بهذا المعنى الحقيقى هى الاستسلام لله سبحانه وتعالى ظاهرا وباطنا والاحساس بالافتقار إليه على الاستمرار ، ولذلك سمى الصوفى بالفقير والفقر هنا بمعنى الحاجة ليست الحاجة إلى المال والجاه المؤقت ولا الفقر فى الدنيا وإنما الفقر لله تعالى ، والاحتياج إليه على الاستمرار ، فهو الصمد أى المستغنى الكامل – الذى لا يحتاج إلى أحد والكل يحتاج إليه .

(٢) هو شيخ الطائفة فى عصره ولقبه أبو القاسم الجنيد بن محمد الخزار كان أبوه بائعا للزجاج فلذلك كان يقال له القواريرى ، وأصله من (نهاوند) مواده منشأة بالعراق كان فقيها تتلمذ على أبى ثور وكان يفتى فى حلقته صحب السرى السقطى والحارث المحاسبى ومحمد بن على القصاب البغدادى وغيرهم .. وهو من أئمة القوم وساداتهم ومقبول عند الجميع ، توفى سنة ٢٩٧هـ – وسئل عن العارف فقال :

من نطق عن سرك وأنت ساكت ، وقال : ما أخذنا التصوف عن القيل والقال ، ولكن الجوع وترك الدنيا ، ويقول أيضا : عزفت نفسى عن الدنيا فاسهرت ليلى وأظمأت نهارى .

(٣) الشريعة والحقيقة بهما يكتمل البناء النفسى للانسان ، كما تكتمل حقيقة العبودية ==

وكان سيدى على الخواص(١) ـ رحمه الله ـ يقول ما وصل أحد إلى درج الحقيقة إلا وجب عليه التقيد بحقوق العبودية وحقيقتها وصار

= من علم ومعرفة وظاهر وباطن ، وفى ذلك يبين شيخ الطريقة أبوالقاسم الجنيد أنه لا عبرة بصاحب الكرامات أو خوارق العادات لأنه يقال عند أئمة الصوفية أن للأنبياء معجزات وللأولياء كرامات وللأعداء مخادعات ، والمخادعات هى التى تهمنا هنا كما يقول الامام الجنيد :

إذا رأيتم الشخص قد ترفع فى الهوى ، فهذا للشخص وأن كان يظهر بعض خوارق العادات لا يلتفت إليه عند أهل الحقيقة إلا إذا كان يتبع الشريعة من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر وايتاء الذكاة وإقامة التكاليف الشرعية ، فإذا كان على هذه الحال فهو من أهل الصدق . أما إذا ادعى أنه من أصحاب الحقيقة والأحوال والمقامات والكرامات دون أن يتبع أحكام الشريعة فهو مخادع كاذب لأن الحقيقة إنما تقوم أصلا على الشريعة ، فإذا انتفت الشريعة فلا حقيقة ولا كرامة .

ولبعض الأعداء استدراجات فيعطون بعض خوارق العادات لكى يقعوا فى التهلكة ويكشف أمرهم ، ولذلك لا يجب الاقتداء عند أئمة الصوفية بمدعى الولاية إلا إذا كانوا من أهل الصلاح والتقوى . فإذا رأيت الرجل يعمل الطيبات فاعلم أن طريقه التقوى وإذا رأيته يحدث بآيات الله فاعلم أنه على طريق الابدال .

ويقول أحد أئمة الصوفية : «يا من أراد منازل الأبدال من غير قصد منه للأعمال ... لا تطمعن بها فلست من أهلها إن لم تزاحمهم على الأحوال ، بيت الولاية قسمت أركانه : سادتنا فيه من الابدال . ما بين صمت واعتدال دائم : والجوع والسهر التزيه الغالى» .

لذلك فمن ادعى أنه من أصحاب الولاية ومن أهل الله وأنه قد وصل إلى منتهى غاية الواصلين فانه مدع كاذب إذا كان لا يقيم أحكام الشريعة ، ويقول فى ذلك الشعرانى : إن الذى يسرق ويزنى أحسن حالا من هذا وهو يؤكد هنا ما قاله الامام عبدالقادر الجيلانى شيخ الطريقة القادرية عندما سئل : هل يجدر أن يسرق الولى ؟.. فقال : يجوز .. وسئل : هل يجوز أن يزنى الولى ؟.. قال : يجوز .. ثم سئل : هل يجوز أن يكذب الولى ؟.. قال : لا .. لا يجوز .

ومعنى ذلك أن الولى يمكن أن يقع فى سقطة من السقطات بنظرة يعد فيها زانيا كما أنه يجوز أن يجد شيئا ليس هو صاحبه فيأخذه فيقع فى السرقة ، اما لطهارة قلبه ونقاوة سريرته فانه لا يستطيع أن يكذب لأنه دائم الصدق ، وهذه أولى مراتب الولاية .. أو لا يصدق مع نفسه ثم يصدق مع غيره وإلا انتفت عنه الولاية .

(١) هو شيخ الامام الشعرانى وأستاذه يسمى على الخواص البرلسى ، كان أميا لا يقرأ ولا يكتب ويتكلم فى معانى القرآن الكريم كلاما نفيسا يتحير فيه العلماء وإذا قال قولا لابد أن يقع ، ويقول الامام الشعرانى عنه أنه كان يرسل أصحاب الحاجات إليه ، ولم يكن يكلمهم وإنما يخبرهم بالموضوع الذى أتى من أجله ، ويعطيه الرأى فيه كأن يقول له اصبر أو سافر أو لا تسافر ، ويقول عنه الشعرانى أيضا أنه كان له طب غريب يداوى به مرضى الاستسقاء ومرضى هبوط القلب ، والجذام والأمراض الأخرى المزمنة ، وكان فى كل دواء منه شفاء .

مطالبا بآداب كثيرة ليس هى على غيره وكان أخى أفضل الدين ـ رحمه الله ـ يقول كل من خلع من عنقه رقبة التكليف فقد خامر باطنه الزيغ والتحريف وكان يقول كل من ادعى أنه أخلص مع الله ضميره وقال رتبته فى الحقيقة تنزه بها عن الحاجة إلى التقييد بظاهر الشريعة والوقوف على حد مراسمها وجعل التقيد بالشريعة إنما هو للعوام المنحصرين فى ضيق الاقتداء ، فاعلموا أنه مفتون فى دينه وهو من أهل الالحاد والزندقة فإياكم أن تصحبوا مثل هذا وتعتقدوه فان ظلمة أنفاسه سم قاتل لقلوب المريدين . أو لا يعلم هذا المغرور أن الشريعة هى ظاهر لب حقيقتها ولا تربو الحبة وتثمر وتنعقد إلا بالاستمداد من ظاهر الظاهر وأطال فى ذلك .

قال .. والضابط فى تمييز الصادقين عن بيان الكاذبين إقامة الأعمال كلها على قانون الشريعة (ومتابعتهم)(١) لآدابها والتأدب بآداب أهل الطريقة على وفق سير المشايخ من السلف الصالحين .. انتهى(٢) .

---

(١) فى الأصل : (ومتباعتهم) والظاهر أنها خطأ فى النقل .

(٢) أن من وصل إلى مراتب الولاية فانه ملتزم بواجبات الشريعة من حقوق أنه علاوة على تقيده بالأوامر الشرعية من نهى عن المنكر وأتيان المعروف والخير ، مطالب أكثر من غيره بآداب كثيرة أولها الصدق ، وثانيها الاخلاص ، وثالثها الطاعة ، فضلا عن العبادات الظاهرة مطلوب أيضا من الولى طهارة القلب ونقاء السريرة ، فالمراد هنا ألا يكون على شريعة العدل فحسب إذ العدل هو ميزان العقل ومحك الاختيار بين الحق والباطل ، والخير والشر وهذا مطالب به كل مسلم ، أما الأولياء فانهم مطالبون بالإخلاص والاحسان وهذه درجة أعلى فى سلم الحياة الروحية ، وذلك تأييدا لقوله تعالى : «إلا من أتى الله بقلب سليم» فالمراد هنا أن القلب أساس الإيمان كما ورد فى قوله تعالى : «إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد» وقوله تعالى أيضا : «فإنها من تقوى القلوب» ، وقوله تعالى : «الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ، والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون ، أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون» ، وبعض مدعى الولاية يعتقد أنه نال مرتبة عليا ومقامات عالية تنزلة بهذه المنن والعطايا والهبات الربانية عن التقيد بظاهر الشريعة ، وهؤلاء نفر من المنافقين كشف دعواهم حجة الإسلام الامام الغزالى فى كتابه «فضائح الباطنيه ، وفضائل المستظهرية» وبين أنهم أكثر من ٧٠ فرقة القرامطة والثعلبية والمحمرة =

فاعرض يا أخى ما ذكرته من أحوال الصادقين من المريدين والأشياخ تعرف حال أهل زمانك ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين(١) .

(٣) ومن أخلاقهم(٢) إذا كان أحدهم من أولاد المشايخ أن يطلب له شيخا يربيه ولا يكتفى بالعيشة فى حس والده فان الولاية والمشيخة

= والسبعية والمزدكية والزيدية والاسماعيلية .. وغيرهم ، وتدعى هذه الفرق جميعا نفس هذا الادعاء وهو قولهم بأن لظواهر القرآن بواطن . ويدعون أن الذين يهتمون بالظواهر هم العوام والأغبياء أما الذين يؤولون المعنى القرآنى وينفذون إلى الباطن فهم الأذكياء ، ويشبهون القرآن فى ظاهره بالقشر أما باطنه فهو اللب ، وهؤلاء جميعا قد خرجوا عن الشريعة الإسلامية بهذه البدع ودخلوا فى أهل الزندقة والإلحاد .

(١) يبين لنا الامام الشعرانى المعايير التى يحكم بها الشخص على الصادق والكاذب فى طريق الله لأن بعض الناس يستطهرون الطاعات ويزعم فى ادعاء أنه من أهل الله ولكنه فى واقع الأمر من أهل الضلالة والفحشاء وفرق بين الصالح والطالح ، وهذا الفرق إنما يتضح فى التمسك بالأخلاق والآداب التى أدبنا بها القرآن ، والتى نجدها فى القدوة الحسنة فى شخصية الرسول محمد ﷺ ، ثم فى الصحابة والتابعين وتابعى والتابعين من أهل الطريق المنتسبين المطبقين لأحكام الشريعة الإسلامية من أئمة الشريعة والحقيقة فهم جميعا يتمسكون بما كان عليه الرسول ﷺ من آداب ونجدها فى أفعالهم وأعمالهم الطيبة ، كما نجدها فى الايثار وفى الصدق والطاعة وفى التوكل واسقاط التدبير ، فلا يجد المؤمن إلا تدبير الله وإرادة الله ، وفعل الله لأن إرادته مع إرادة الله فما يراه خيرا فهو خير له وما يراه شرا فهو شر له .

هذه هى الأخلاق الجميلة التى يتصف بها الأئمة الصالحون الذين يقتدون بالرسول ص فى ظاهرهم وباطنهم .

(٢) يبين لنا هنا الامام الشعرانى أن الأحوال مواهب والمقامات مكاسب فإذا سعى العبد لقرابته من أب صالح دون أن يمن الله عليه بالمنن والعطايا والهبات والرحمات فانه لن يظفر بحال ولا بمقام لأنه لا يرث المقام كما تورث الأمتعة والأموال إنما يجب عليه ، ولو أن أباه شيخ صالح أن يبحث ويجتهد عن مرب صالح يوجهه ويرشده ليتعرف على مساليه ويربى نفسه ، ذلك أن الطريق إلى الله ليس ميراثا وإنما صدقا ومعاناة ومجاهدة ورياضة النفس لأن النفس إذا تركت لنعمة الانتساب اطمأنت ورضت وعافت عن المجاهدة والرياضة ، وبذلك تنتكس وتنحرف عن الطريق بما فتنت به من دعوى الاغترار ومدح الناس ومُداهنتهم فالذى لا يطلب هذا الطريق لأن أباه شيخ ويظن أنه بذلك يورثه قد ضل ضلالا كبيرا وأنحرف ووقع فى الرذيلة .

المعروفة ما هى بالآباء والجدود ، وإنما هى موهبة من الله على يد الأشياخ غالبا ، كما درج عليه السلف الصالحون كلهم خلاف ما عليه أولاد المشايخ فى هذا الزمان فيكتفى أحدهم بكونه ابن سيدى الشيخ، ولا يطلب أن يكون شيخا مثل والده فى الدين والمجاهدة والرياضة .

وذلك دليل على دناءة همتهم ؛ وقد كان سيدى يوسف العجمى[١] رحمه الله تعالى لا ينبغى للشيخ أن يأخذ العهد على أولاد المشايخ المتمشيخين بالآباء والجدود إلا بعد ظهور امارات صدقهم فى طلب الطريق على وجه المجاهدة والرياضة ، أى فان أحدهم ربما كان يعتقد أن ولد الشيخ شيخ كما حكى لى ذلك شيخى الشيخ محمد الشناوى[٢] رحمه الله .

ولقد مكثت نحو عشرين سنة وأنا أعتقد أن ولد الشيخ شيخ بالخاصية إلى أن[٣] جمعنى الله تعالى على شيخى الشيخ محمد السرولى ـ رحمه الله تعالى ـ وسمعته رضى الله عنه أيضا يقول لاتتبعوا أنفسكم فى تسليك المتمشيخين[٤] بالآباء والجدود إلا أن

---

(١) هو يوسف العجمى الكورانى ، ويقول عنه الشعرانى أنه أول من أحيا طريقة الشيخ الجنيد بمصر ، وكان له مريديون كثيرون وعدة زوايا توفى عام ٧٦٨هـ .

(٢) هو الشيخ محمد الشناوى رحمه الله ، أستاذ الشعرانى الذى يقول عنه أنه كان من الأولياء الراسخين فى العلم ومن أهل الإنصاف والأدب ، ومن أقواله : (ما دخلت على فقير إلا وأنظر لنفسى دونه ، وما امتحنت قط فقيرا) وكان رحمه الله يساعد المحتاجين ويسعى فى قضاء الحوائج للناس ليلا ونهارا ، وهو مدفون بضواحي طنطا وتوفى سنة ٩٣٢هـ ودفن فى زاويته بمحلة روح وقبره معروف يزار حتى الآن .

(٣) لم ترد فى الأصل وأزيدت ليتسق المعنى .

يعتقد أئمة الصوفية أنه لا يتبع وصول الأب إلى مقام المشيخة أن يرث ابنه من بعده هذا المقام لأن التصرف ليس ميراثا كما تورث الأمتعة والأموال وإنما هو مجاهدة ورياضة واجتهاد واخلاص وطاعة لله سبحانه وتعالى ظاهرا وباطنا ، فإذا من الله على العبد وأصبح من خاصته ، فليس بالضرورة أن يكون ابنه قد وصل إلى طريقة أو مقامه إلا إذا أخلص الابن وسار على طريق والده ، وحمل لواء العلم والمعرفة حتى صار مثل والده فى الورع والايمان ===

ينسلخوا من جميع الدعاوى فان أحدهم يفتح عينه على تعظيم جماعة والده له فيقول قد صرت شيخا كوالدي فيكون التعب فى مثل هذا (ضائع)[١] لا سيما أولاد شيخ الانسان فان نفوسهم لا تكاد تنكبس لأن يأخذوا الطريق عن تلميذ والدهم الذى أذن له والدهم أبداً ولو بلغ فى المقامات أقصى المراتب ويقولون أن هذا ما اكتسب الشرف إلا منا فيرون نفوسهم عليه ولايكاد أحد منهم يرى نفسه دونه أبداً . قال : وإن كان ولابد له من تسليكهم فلينصحهم بقوله كان والدكم يربى المريدين بكذا وكذا فلعلهم يصغوا إلى قول والدهم ، فاعلم ذلك يا أخى وأعرضه على مدعى الطريق من أولاد مشايخ عصرك تعرف حالهم ولاتنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(٤) ومن أخلاقهم[٢] إذا أراد أحدهم أن يدخل فى الطريق على يد شيخ أن يسيل من فضل شيخه أن يذكر له ما يجب على المريد إذا

= والتقوى ، أما إذا أدعى ابن الشيخ أنه قد صار شيخا كوالده فهذا غرور وادعاء كاذب ناتج من أنه نشأ فى بيت والده ووجد أفراد الطريق يعظمونه كتعظيمهم لشيخهم .

والقرابة الصوفية التى يمكن أن تتصل فيها البنوة بالأبوة تحدد فى القرابة الروحية إذ يجوز أن يحمل لواء الطريق بعد الشيخ من يوصى به الشيخ من المريدين الصادقين الذين وصلوا إلى المقامات العليا فى المجاهده والرياضة والتزهد فى الجاه والمال والمراكز وهذه القرابة الروحية إنما هى قرابة من نوع فريد لا ترتبط بالرابطة الدموية وإنما بالرابطة الروحية كرابطة الرسول ﷺ بأبى بكر الصديق .

(١) ورد فى الأصل (ضايع) .

(٢) معنى ذلك أنه إذا صحب المريد شيخه ليتتلمذ عليه فان عليه أن يصدقه بحال نفسه ، فلا يدخل مفتونا أو مغروراً أو راضياً عما وصل إليه من العلم والمعرفة ، أو أن يخفى عليه دواخل نفسه وخواطره فإذا ما صحب الشيخ وهو فى حال من هذه الأحوال أسرع إليه العطب والانتكاس ولم يظفر من شيخه بعلم أو حال لأن نفسه غير صادقة وقلبه غير مخلص ، لأن الأساس فى الطريق الصوفى ، الاخلاص والطاعة وهما بابان للصدق ، لذلك لابد للمريد الصادق أن يحدث شيخه بما فى نفسه من خواطر شيطانية كانت أو ملائكية حتى يتعرف شيخه على حاله ويوجهه إلى ما يصلح له ، أو أن ينصح له بترك الطريق لأنه لا يصلح له ، وهذا هو الأساس الذى يجمع عليه أئمة الصوفية فى دخول الطريق . ويقتدى أئمة الصوفية فى ذلك بالرسول ﷺ فى سؤال المرأة عن حق الزوج وجواب الرسول ﷺ فى أن تطيعه طاعة عمياء وأن تخلص له كل الاخلاص حتى أنه لو سال دم وقيح من أنفه فلا تأنف منه حتى ولو لحسته بلسانها ، وهذا هو موقف المريد من شيخه .

دخل فى صحبة الشيخ ليعرض ذلك على نفسه خوفا من الدخول فى صحبته بالجهل فيسرع إليه العطب وهذا من باب التعظيم لطريق أهل الله والاحتياط للنفس ويؤيد ذلك أن أمرأة جاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت يا رسول الله ما حق الزوج على المرأة فقال لها من حق الزوج على المرأة أن لو سال من منخره دم وقيح فلحسته بلسانها لم تؤد[1] حقه ، إلى آخر ما قال ﷺ فقالت والذى بعثك بالحق نبيا لا أتزوج ما بقيت الدنيا .. انتهى .

فمن شرط الشيخ على المريد[2] أن يعتقد فيه أنه عارف بالكتاب والسنة عارف بميزان الخواطر النفسية والشيطانية والملكية والرحمانية عارف بالأصل الذى تنبعث منه هذه الخواطر من حضرات الأسماء الالهية عارف بالعلل والأمراض المعوقة عن صحة الوصول إلى عين الحقيقة عارفا بأمزجة المريدين ليعطى كل انسان من العمل والطعام وغيرهما ما يقدر عليه عارفاً (بالعلائق)[3] الخارجة عن أعمال الطريق

---

(١) فى الأصل : (لم تؤدى) .

(٢) الأصل فى المريد أن يبحث عن شيخ عارف بالله ، عالم بالكتاب والسنة صادق فى ظاهره وباطنه «فإذا ما وجده سلم إليه قياد نفسه ، وأتبعه وأطاعه الله من غير الاخلاص والطاعة لشيخه فلن يتمكن من التقدم فى الطريق ، فإذا ماشك فى شيخه ظاهراً أو باطنا ، انحرف عن الطريق السليم ووقع فى القلق والاضطراب وأغواه الشيطان ، فاغتر بنفسه ، وربما وصل إليه ، واعترض على مقام شيخه وربما قال فى نفسه ، أنا أحسن منه مقاما ، وهنا الطامة الكبرى إذ يتردى هذا المريد فى السقوط والانتكاس ويخرج عن آداب الطريق ، فلا يصلح له حال ولا مقام .

الأصل إذن هو التصديق بكلام الشيخ وأفعاله ، وأنه يعرف مصلحة مريده وما يصلح له فى حاله ، وأنه قادر على تقديم ما يصلح له فى حاله من خير ومنفعة ومصلحة ، وأن كل ما يرشده شيخه يجب أن يسلم به تسليما دون اعتراض أو مجادلة ، وعند ذلك يصبح المريد صالحا للتقدم فى الطريق .

(٣) فى الأصل (العلايق) .

كالميل إلى الوالدين والأولاد والزوجة . والآمال والرياسة له قدرة على جذب المريد واستخلاصه من أفمام الشياطين وأيدى العوائق بواسطة رغبة المريد فى طريق الله وإلا فلا يقدر شيخ على استخلاصه من يد من ذكر أبداً ولو كان من أكبر الأولياء فإذا سمع مريد بهذه الصفات ، وعرضها على أحد من مشايخ عصره فوجدها مجموعة فيه وجب عليه الانقياد له ، والعمل بكل ما يأمره به بانشراح صدر ولو شق ذلك عليه .

ومأمورات الشيخ لا تنحصر ولكن نذكر للمريد منها طرفا صالحا تأنيسا له ، وليعلم أن الشيخ لم يبتدع له ما (حجر)[١] عليه وإنما هو تابع فى ذلك أشياخ الطريق الذين سلفوا ، ولو أن الشيخ ترك ذلك ورخص للمريد لعصى ربه عز وجل وكان من جملة الغاشين فى الطريق إذا علمت ذلك فمن شروط الشيخ[٢] الذى يجب عليه أن يأمر بها المريد أو ينهاه أن لا يتركه يبرح من منزله أو زاويته إلا لضرورة أو حاجة يوجهه فيها ، ومن (شروطه)[٣] أن يعاقب للمريد على كل هفوة تصدر منه ولو سهواً ونسياناً[٤] ولا سبيل إلى الصفح عنه فى زلة وقع فيها البتة ، وأن وقع أنه صفح فهو أمام غاش لرعيته غير (قائم)[٥]

---

(١) هكذا فى الأصل ويبدو أن المقصود هو ما افترضه عليه .

(٢) ويتمسك أئمة الصوفية فى محاسبة المريد على الأخطاء التى يقع فيها لعلمه انه إذا تساهل مع المريد فى الزلة البسيطة فإن المريد يقع فى زلة كبيرة وإذا وقع فى الزلة الكبيرة عصى ، وبذلك لا تصلح معه التربية ولا ترويض نفسه الامارة ، لذلك يجب على المريد أن يلقى شيخه بالسمع والطاعة ، فإذا أمره بشئ يجب أن يطيعه وإذا نهاه عن شئ يجب أن ينتهى عنه.

والمريد الصادق هو الذى يقبل محاسبة شيخه على هفواته حتى ولو كان سهوا أو نسيانا لعلمه أن ما يعاقبه شيخه به إنما هو لتربيته ولرعايته ولصلاح أمره وذلك اقتداء بالرسول ﷺ فى أنه كان يهجر صاحبه الذى يكذب كذبة واحدة لمدة شهرين أو ثلاثة وذلك نصحا وتربية وترويضا لنفسه ونصرة للشريعة الإسلامية .

(٣) وردت فى الأصل (شرطه) .

(٤) وردت فى الأصل (وتسيانا) .

(٥) وردت فى الأصل (قايم) .

بحرمة ربه مخل بحق المقام الذي هو فيه وقد قال ﷺ من أبدى لنا صفحته أقمنا عليه الحدود وكان يحجز على الكذبة الواحدة الشهرين أو الثلاثة نصحا لذلك الكاذب ونصرة الشريعة ربه عز وجل .

ومما يجب على الشيخ أيضا أن يشترط على المريد أن لا يكتمه شيئا مما يخطر له في نفسه ويستقر فيها أو شيئا (بطرأ)[1] عليه في حاله ، ومتى لم يكن الطبيب يميز أعيان الأعشاب كلها والعقاقير ويعرف تركيبة الأدوية فهو ممن يسرع بهلاك المريض فان العلم من غير معرفة العين لا يفيد ، فلابد من معرفة التمييز الا ترى أنه لو كان القشاب غرض في اهلاك المريض وقلده الطبيب في تلك الأعشاب من غير أن يعرفها من خارج ووصفها للمريض أهلكه ، واثم الطبيب والقشاب فإنه كان من الواجب على الطبيب أن لا يداوي المريض إلا بما يعرف عينه وشخصه ، وكذلك الشيخ إذا لم يكن صاحب ذوق وأخذ الطريق من بطون الكتب وأفواه الرجال وجلس يربي بذلك المريدين[2] طالبا للرياسة فهو مهلك لمن تبعه أجهله بمورد الطالب ومقاصده ، وقد أجمع القوم على أنه لا يجوز لأحد أن يتصدر للمشيخة إلا أن يكون

---

(١) وردت في الأصل (يطر) .

(٢) المريد الصادق هو الذي يشترط فيه الصدق والصراحة مع شيخه حتى يستطيع الطبيب المربي أن يصف له الدواء المناسب لحالته حتى لا يوسوس الخطب الى نفسه ويهلك لأنه من الضروري للمريض أن يعرض حالته على طبيبه عرضا صادقا وإلا وصف له الطبيب دواء لا يصلح له ربما زادة مرض وهنا تقع على الطبيب مسئولية الخطأ ، ولذلك يوصي أئمة الصوفية بألا يأخذ المريد العهد من الشيخ إلا بعد أن يجربه الشيخ ويعرف كل شيء عن شخصيته قبل أن ينضم إلى الطريق .

كذلك فإنه لا يمكن أن يكون الشيخ ذا قدم إلا إذا كان صاحب فراسة فيعرف مريده ببصيرة نافذة ناتجة عن صدقه وعلمه ، وأتباعه للقدوة المحمدية ومعرفة بالخواطر الشيطانية ، وسياسة الدين والدنيا وبذلك يمكن أن يقال عنه انه شيخ في الطريق .

عنده دين الأنبياء وتدبير الأطباء وسياسة الملوك (وحينئذ)[١] يصح أن يقال له أستاذ .

ومما يجب على الشيخ أيضا المحاسبة للمريد على أنفاسه وحركاته والمبالغة في التضييق عليه على قدر صدقه في اتباعه ، فان الطريق[٢] . القوم طريق شدة ليس للرخاء والترخص فيها مدخل ، قال الله تعالى «والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا» فما جعل الله تعالى وضوح السبل إلا بعد المجاهدة وحينئذ يكون السلوك عليها وهو سفر بالأرواح والسفر قطعة من العذاب فلايزال السالك في عذاب وتعب حتى (يلقى)[٣] . ربه عز وجل فإن نظر إلى مقاومة نفسه من شهوات الدنيا عذب وأن نظر إلى عدم لقاء ربه عذب ، فأين الراحة .

قال تعالى لنبيه محمد[٤] ﷺ «فإذا فرغت فانصب وإلى ربك فأرغب» أي إذا فرغت من أمر مشروع متعب ، فاشرع في أمر آخر

---

(١) في الأصل (وحينذ) .

(٢) الطريق الصوفي هو طريق الله تعالى ، والمريد المبتدئ عليه بالمجاهدة والرياضة ومخالفة طلب النفس كما عليه معاناة الجوع والتعب والزهد في أعراض الدنيا ، وذلك حتى يروض نفسه ويتكلف هذه المشاق حتى ينقاد إلى طريق الله .

فالطريق إذن تكلف من النفس البشرية ، وهو تخلية وتحلية ، تخلية من الأوصاف المذمومة وتحلية بالأوصاف المحمودة ، والتكلف هو السبيل الوحيد في الاتصاف بمكارم الأخلاق وتجنب الرذائل والشرور والآثام ، فهو سفر طويل وشاق لايزال المريد يجاهد ويعاني حتى يصل إلى المنة الالهية والنعم والعطايا الربانية ، أو يلقى ربه وهو في طريق المجاهدة .

والمريد الذي يضعف في المجاهدة وتستهويه الشهوات فانه ينحرف ويقع في الضلالات ، وتنتهي حياته بشقاء أبدي وجحيم مقيم .

والمريد الذي يجتهد ويتربص ثم يعترض بعد برهة ويقول : لماذا لم يكافئني الله ولماذا لم أصل كما وصل المجاهدون ، وهذا الاعتراض يعتبر انحرافا وكفرا وبذلك يكتب عليه العذاب لأنه لم يكن مخلصا ولا صادقا ولا مطيعا لربه وإنما كان كل همه أن يجتهد من أجل الجزاء ، وأن يعمل ليحظى بمكاسب الدنيا وشهواتها ، وليقال عنه أنه عارف وولي وعالم .

(٣) في الأصل (تلقيا) .

(٤) يقتدي أئمة الصوفية بالرسول ﷺ في مداومة المجاهدة في طريق الله تعالى ==

ولا تترك الاشتغال بما يقربك إلينا لمحة واحدة رغبة فى وصولك إلى حضرتنا الخاصة بك ، فأمره تعالى بمداومة السفر من غير فتور عن ذلك .. فافهم ذلك .

ومما يجب على الشيخ[1] زجر المريد إذا نازعه فى فهم (مسألة)[2] بل اخراجه برجله من الحلقة وطرده لأن علوم أهل الطريق لا تقبل المنازعة كطريق غيرهم فإنها وارثة نبوية فلا تذكر إلا للمؤمنين بها وقد كان النبى ﷺ يقول إذا تنوزع عنده عند نبى لا ينبغى التنازع[3] .. انتهى .

وايضاح ذلك أن المعارف الالهية والاشارات اللطيفة الربانية خارجة عن مدارك أى من حيث كون العقول ناظرة وباحثة لا من حيث كونها قابلة فلم يبق فيها إلا الكشف الصحيح لأنه اخبار عن حقائق الأشياء كما هى عليه فى نفسها فهو كالنص الصريح ومن كان يخبر عما يعاين ويشاهد فلايجوز للسامع أن ينازعه فيما أتى به بل يجب

= فلا يترك المريد دون الاشتغال بأمر من الأمور الدينية فهو سفر إلى الله تعالى من غير فتور ولا راحة ، لأن الراحة إنما توجب الغفلة فإذا غفل المريد تعود على ذلك واستمرأ الراحة ، فيأتيه الشيطان ويغويه فيضيع عليه جهاده وتعبه .

لذلك فإنه من الواجبات أن يشتغل المريد دواما بعمل من الأعمال الصالحات فى قراءة الورد أو الذكر أو الحكمة فلا خوان ، حتى يملأ وقته بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ولا يترك لنفسه سبيلا للخواطر الشيطانية وغواية إبليس .

(١) وعلوم الصوفية ليست ناتجة من القيل والقال ، ولا الجدل والحجاج ، وإنما من الصدق والاخلاص والطاعة لله والقدوة الحسنة فى شخصية الرسول ﷺ ، فهى علوم فوق أنها عقلية لها معان قلبية لا يمكن أن تدخل إلا قلب المؤمن الصادق ، لأن العقل إنما يهتم بالخطأ والصواب والرأى والجدل ، ولكن المؤمن هو الذى يصدق بقلبه ، وذلك فى قوله سبحانه وتعالى ، «إلا من أتى الله بقلب سليم» ، وقوله تعالى «أن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد» ، وقوله تعالى «فانها من تقوى القلوب ...» .

(٢) فى الأصل : (مسلة) .

(٣) هكذا الأصل ولم نر للحديث أثرا .

عليه التصديق أن كان مريدا أو التسليم أن كان أجنبيا وقد أجمع الشيوخ على أنه لا ينبغى للمريد[1] أن يتكلم بأحوال الطريق إلا فيما شاهده وعاينه وأن الصمت عليه فى حضرة شيخه واجب والكلام عليه حرام والنظر عليه فى الأدلة والمعارضة لكلام شيخه محظور ، وكل شيخ ترك مريده يبحث ويستدل عليه فهو ساع فى هلاكه وحجابه وطرده عن حضرة ربه «فالأولى بالشيخ إذا رأى المريد يجنح إلى استعمال عقله بالنظريات أن يطرده من حضرته لئلا يفسد عليه بقية أصحابه» ، فان المريدين لله تعالى حور مقصورات فى خيام شيخهم .

وأعلم يا أخى أن طريق الصوفية هو الصراط المستقيم وهو أجل الطرق وأسناها فان الطرق تشرق وتتضح بحسب غاياتها وهذا الطريق غايته معرفة الحق[2] جل وعلا ومعرفة الآداب المتعلقة بحضرته ومعلوم

---

(١) المريد الصادق كما سبق الاشارة إنما هو متواضع كل التواضع أمام شيخه فيجب عليه أن لا يجادل ولا يناقش فيما هو فوق علمه لأن العقل مهما علا وارتفع وبحث وحصل فانه لا يتفهم الكشوفات والفتوحات الملكية ولا التجليات الالهية ولا الالهامات القدسية ولا الحقائق الربانية ، ولكن عليه أن يصدق شيخه فيما يتكلم عنه فى هذه الفتوحات تصديقا لا ريب فيه لأن ذلك دليل الصدق والاستقامة كما عليه ألا يدعى لنفسه معرفة بأحوال العارفين فيتكلم عنهم كلام أصحاب الأحوال والمقامات ، وإنما يصمت أمام شيخه حتى يبدأ الشيخ بالكلام .

وهو إذا أراد أن يتكلم فعليه أن يتكلم عما ذاقه وشاهده من أحوال أما الاعتراض على غيره والنظر فى الحجج المختلفة ليدحض رأيا أو غيره فهذا مكروه وعلى الشيخ أن يحذر مريده من الكلام والحجج حتى لا يتأثر به اخوانه ويفقد المجلس توقيره وإحترامه بالإضافة إلى هلاك المريد وافساد اخوانه فى الطريق بما يعرضه من آراء وحجج عقلية ، ليس مجالها هذا المجلس . فإذا قام أحد المريدين بالاعتراض أو انكار فضل أحد من الصالحين أو الطعن فى رواية تم اقرارها من الشيخ وجب على الشيخ أن يطرده من مجلسه وذلك لسوء أدبه وتطاوله على من لا يعرف مقامهم .

(٢) تأييدا لقوله تعالى «وما خلقت الانس والجن إلا ليعبدون» أى إلا ليعرفوا والمعرفة بالله إذن طريق الدين الحق وهو فى نفس الوقت طريق الحكمة والحكمة مؤيدة بقوله تعالى «فمن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً» .

أن معرفة الحق أشرف العلوم ، كما أن معروفها أشرف واعز فى الوجود ، فلذلك كان الطريق إلى معرفته أشرف الطرق وأفضلها وكان الشيخ الدال عليه سيد الادلاء وأكملهم وأعظمهم ، والسالكون إليه أسعد السالكين وأنجاهم فينبغى لكل من نصح نفسه أن لا يسلك من الطرق سوى هذا الطريق لارتباطه بالسعادة الأبدية فانه حاو لعلم الشريعة والحقيقة(١) والعارف به(٢) هو الحقيق بمقام الشياخة والوراثة النبوية الكاملة ، ومن حصل فيه قيل له الشيخ والوارث والأستاذ أن كان تابعا ، والنبى إن كان فى زمن النبوة وقد جعل الله تعالى جبريل عليه الصلاة والسلام فى صورة مقام الأستاذ للأنبياء تعليما لنا وارشادا لاتخاذنا الواسطة بيننا وبين الله تعالى ، ولا يقنع بما يلقيه الله تعالى إلى قلوبنا من الوجه الخاص الذى بيننا وبين ربنا ، فكان الأنبياء فى مقام المتعلمين من أشياخهم ، وأشياخنا فى مقام المتعلمين من نبينا محمد ﷺ فهو الشيخ الحقيقى لنا ولأشياخنا ، ونحن جميعا تلامذته ﷺ .

---

(١) الشريعة أن تعبد الله والحقيقة أن تعرفه ، والظاهر هو إقامة التكاليف الشرعية والباطن هو الاخلاص والطاعة والنية فى آدائها فلا تعارض بين الشريعة والحقيقة وإنما بهما يتكامل المريد للوصول إلى مرتبة الصدق فى الطريق إلى الله .

(٢) العارف بالله هو العالم الذى صدق وأخلص وعدل فاصبح أهل المنة الالهية والرحمة الربانية ، وذلك كثمرة ومكافاة من الله .

والعلم علمان ، علم اكتسابى وعلم وهبى الهامى ، والكسبى يحصله بالدرس والتحصيل ، وبهذا العلم الكسبى يصبح الانسان عالما به أما الوهبى فينقسم إلى وحى والهام ، فالوحى يختص به الأنبياء أما الالهامى فيختص به أهل الحقيقة من الأولياء والصديقين وهو غير الوحى ، إذ أن الوحى على لسان جبريل عليه السلام ليؤيد به النبى فى دعوته . أما الالهام فهو فى لسان ملك إما كلاما أو رؤيا ولا يجتمع الكلام والرؤيا معا ، ويجوز أن يكون مخادعات من الشيطان إذا كان الالهام لا يؤيد بالشريعة أى لا يكون له أصل فى الشرع والاحكام الدينية ، ولذلك ليس علم الالهام دليلا على القرب من الله إلا إذا كان العبد زاهدا فى الدنيا قليل الكلام عن نفسه ، أى إذا كان حكيما .

ثم اعلم يا أخى أن هذا الطريق لما كان فى مقام العزة والشرف حفت به الافات من سائر الجهات فلا يسلكه الاشجاع مقدام على يد شيخ علام وحينئذ تقع (الفائدة)[١] ، فعلى الشيخ أن يوفى حق تربيته وعلى المريد أن يوفى حق طريقته بالسمع والطاعة ، وليس مقام الشيوخة هو الغاية بل الشيخ هو نفسه الطالب للمزيد من ربه على الدوام قال تعالى لأشرف المرسلين محمد ﷺ وقل «ربى زدنى علما» أى بك لا بزيادة الأحكام التكليفية فافهم وتأدب مع شيخك ، فانه (نائب)[٢] لرسول الله ﷺ فى هداية الأمة إلى الطريق التى جاء بها ﷺ فيوقظ المؤمنين من نومة الجهالة وينقذهم من شقاء صفات الحفره النارية التى هم عليها .

قال تعالى «وانذر عشيرتك الأقربين» ، والقرب على نوعين قرب طينى وقرب دينى ، والمعتبر فى الشرع القرب الدينى قال ﷺ لايتوارث أهل ملتين فلولا الدين ماورث صاحب قرابة الطين (شيئا)[٣] ثم لما كان الناس فى الدين على حالين مدع وصادق ، وطالب للآخرة ، وطالب لله انتدب الصوفية الناصحون للأمة وبينوا المريدين ما فى مقام من العلل، وبينوا لهم أن القرابة الصورية الطينية لا عبرة بها وإنما النافع لهم الجمع بين القرابة الصورية والحقيقة ، فيعمل أحدهم بالشريعة على وجه الحقيقة ليخرج عن النفاق ويكون ضميره مطابقا لأفعاله الظاهرة فى الإيمان واليقين ، فاعلم ذلك يا أخى وأعرضه على مريدى زمانك تعرف حالهم ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

---

(١) وردت فى الأصل (الفائدة)

(٢) ذكرت فى الأصل (نايب) .

(٣) فى الأصل (شيا) .

(٥) ومن أخلاقهم المبادرة[١] إلى امتثال أمر شيخهم أو نوابه ، فإن أذن أحدهم أن يأكل طعام الفقراء في الزاوية فعل وإن نهاه عن ذلك فليس له أن يأكل منه ولو سرا ، سواء كان ذلك في زاوية وقف ، أو كان الفقراء فيها على ما يفتح الله تعالى عليهم به ، وأن نهاه عن الاجتماع بأحد من فقراء الزاوية أو غيره فليس له الاجتماع به لا سرا ولا جهرا وأن حجبه عن مجالسته وجب عليه الانشراح (لذلك)[٢] وقد أجمعوا على أنه لا ينبغي للشيخ أن جالس تلامذته إلا لمصلحة يعود نفعها عليهم ، ومتى تركهم يجلسون معه بغير ضرورة فقد أساء في حقهم .

وكان سيدي يوسف العجمي[٣] لا يجالس أصحابه إلا للمناقشة والتربية أو في قراءة الورد ، وما عدا ذلك فلا يجتمع بهم وكذلك بلغنا عن سيدي أحمد الزاهد[٤] .

---

(١) الطاعة هي دستور العلاقة بين المريد وشيخه في الطريق الصوفي ، ويقول أحد أئمة الصوفية : لولا المربي ما عرفت ربي ، لأن الشيخ المربي هو الذي يدرب المريد ويعرفه فن العوم والسباحة حتى لا يغرق في البحر اللجي ، فإذا ما اكتمل تعليمه ظاهرا أو باطنا ، شريعة وحقيقة وتعرف على الطريق ، وابتعد عن المثالب فهنا يستطيع أن يشق وحده هذا الطريق الوعر ، أما قبل ذلك وبدون معونة وارشاد شيخ عارف بالخواطر الملائكية والشيطانية فانه يجوز أن يقع المريد في الأخطاء لعدم درايته بالطريق الموصلة وربما يشده الشيطان مما يظنه في نفسه من الرضا الالهي ، وكذلك فان الاغترار مما يكون سببا في السقوط والانتكاس والبعد عن الدين ، لذلك يقول بعض الصوفية ، «من لا شيخ له فالشيطان شيخه» أي أن المريد لابد له من موجه ومعين وإلا انحرف وسقط .

ولذلك كانت أوامر الشيخ العارف لمريده نافذة لا مرد لها ، مادامت لا تخالف شريعة الله ولا تتبع ضلالة ، فالمريد يصدق من شيخه ويتبعه لأنه يثق فيه وفي ارشاده وتوجيهه ، [illegible] أنه يعلم تماما أن لا عصمة للشيخ إلا أنه يعلم تمام العلم أن شيخه هو [illegible] أن يقبل على ما يأمره به وينتهي عما ينهاه عنه .

(٢) في الأصل غير واضحة .

(٣) سبق الاشارة إليه .

(٤) هو الامام العالم العامل الرباني شيخ الطريق وكان [illegible]

وسيدى مدين(١) وسيدى محمد العمرى(٢) وغيرهم فالشيخ فيما هو بصدده والمريد فيما أمره به شيخه وإذا منع الشيخ(٣) المريد من القرب منه فى الليل وجب عليه الامتثال ، ولا يجوز له التجسس على شئ من حركاته (وسكناته)(٤) من أكل أو نوم أو طهارة أو صلاة أو غير ذلك ، لأنه ربما نقصت حرمة الشيخ عنده إذا وقف على بعض أحواله ، وذلك لجهله بأحوال الكمل ومتى هجر الشيخ المريد ولو بلا سبب فتكدر المريد من ذلك فقد خرج عن الطاعة ، وإذا خرج عن الطاعة فقد خرج عن الطريق ، فاعرض يا أخى هذا الخلق على من يدعى الصدق من أخوانك تعرف حاله ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

= القوم وكان يتحدث فى الفقه ولم يسمع منه كلمة فى التصوف وصنف عدة رسائل فى أمور الدين .

يقول الشيخ الشعرانى أنه كان يعظ النساء فى المساجد ويعلمهن أحكام الدين ويقول أيضا أن عنده بخط سيدى أحمد الزاهد نحو ٦٠ كراسة فى المواعظ التى كان يعظها وكانت له كرامات كثيرة ، مات رضى الله عنه سنة ثمانمائة وعشرين تقريبا ودفن بجامعة فى مصر وقبره ظاهر يزار ليتبرك به الناس .

(١) هو الشيخ أبو مدين المغربى ـ رضى الله عنه ـ من أئمة صوفية المغرب وله شهرة عظيمة وأسمه شعيب وابنه يسمى مدين المدفون بمصر بجامع الشيخ عبدالقادر الدشطوشى .

أما الشيخ مدين فمدفون فى تلمسان بأرض المغرب ، توفى وقد ناهز الثمانين ، ويقول الشعرانى أنه توفى بعد سنة خمسمائة وثمانين بقليل ، وهو أستاذ للشيخ أبى الحسن الشاذلى شيخ الطريقة الشاذلية .

(٢) هو سيدى محمد الغمرى كان مثالا فى الأدب والاجتهاد ومن أصحاب سيدى أحمد الزاهد ـ رضى الله عنه ـ وكانت جماعته فى المحلة الكبرى ـ مات رضى الله عنه سنة ٨٥٠هـ تقريبا .

(٣) هذه الأخلاق نتاج التربية الصوفية إذ أن المريد يعرف مقام شيخه ومنزلته فيستجيب لأوامره لأنه يعرف أنها لصالحه فى الدنيا والآخرة وليس عليه إلا أن يمتثل لأمره ولا يعترض عليه حتى لا يفسد طريقه إلى الله .

(٤) وردت فى الأصل (وسكاناته) .

(٦) ومن أخلاقهم احتمالهم الأذى فى حق أنفسهم . دون احتمالهم ذلك فى حق غيرهم من المسلمين ، فإذا أذاهم شخص وبالغ فى (ايذائهم)[١] احتملوه ولم يصالحوه إلا لغرض صحيح شرعى كأن يريد حمايته من الوقوع فى الاثم أو عدم تأذى اخوانك من الأذى ، فان من يحبك لايكاد يحتمل ذمك ولاتنقيصك بين الناس ، فمن ابتلى بشخص ينقصه فى المجالس[٢] ، ويتأذى أصحابه بذلك فليسعى فى مصالحته (دفع) أذى عن المحسن له لا يضره لنفسه . ثم إذا بلغ مبلغ الرجال فيحينئذ يصير[٣] يرد عن نفسه من حيث أنها أمة الله وهى وديعة له عنده ولا حرج عليه فى ذلك بل هو مأمور به كما أوضحنا ذلك فى كتاب الأخلاق الكبرى ـ فاعرض يا أخى ما قررناه فى هذا الخلق على مريدى عصرك تعرف حالهم ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(٧) ومن أخلاقهم أن يكون أحدهم عونا لشيخه على ما يريده من جميع نظام الذكر[٤] ومجلس العلم والمناقشة وأن يحث كل واحد أخاه

---

(١) وردت فى الأصل (ايذاهم) .

(٢) وهذا نتاج عدم التوبة عن المعاصى والغضب الذى يدفع الانسان إلى طريق التهلكة ويبعده عن التعقل والحكمة ، ولذلك يلقن أئمة الصوفية طرق «كظم الغيظ» لأنه معاونة حسنة فى تربية النفس وترويضها ، ثم المنزلة الثانية وهى العفو عن المعتدى أو الظالم لهم اقتداء بقوله تعالى «والعافين عن الناس» ثم هناك المرتبة الثالثة وهى أجمل وأرحب «والله يحب المحسنين» أى أن يحسن المريد إلى المسئ والظالم عندما يكون فى مقام القدرة على البطش به ولكن هذا السلوك إنما يتعلق بالأذى الذى يلحق بشخص المريد ، أما إذا كان هذا الأذى وهذا الظلم يتعلق بالمسلمين أو بأمة الاسلام وجب الجهاد ودفع الأذى بكل صورة من الصور عن أخيه المسلم وهذا واجب على كل مريد .

(٣) أى اكتمل حاله .

(٤) يرى بعض مشايخ الصوفية أن الذكر ذكر الله والاشتغال برياضة النفس هو أساس الاشتغال بالطب النفسى الصوفى وبالذكر يحصل للمريد أنس فلا يغفل أبدا قلبه وينشغل بالله دوما فيرى الله بقلبه .

ويرى أئمة الصوفية أن المريد الصادق يهدف من الذكر التقرب إلى حضرة الله تعالى ومجالسته من غير حجاب وأن الملائكة يطوفون ويلتمسون أهل الذكر فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا «هلموا إلى حاجتكم» .

====

على (المواظبة)[١] على الحضور ولا يعكس أحدهم ذلك وقتا واحدا ، وإذا كان له ذلك اليوم حاجة خارج الزاوية مثلا فليحصلها قبل وقت مجلس الذكر ولا يترك الذكر ويسعى فى تحصيلها فإن ذلك معدود من جملة مقت الله تعالى للعبد ، بل عد ذلك بعضهم من أكبر المقت وقالوا ماقدم عبد أمر الدنيا على الآخرة إلاسقط من عين رعاية الله عز وجل ، فليحذر المريد من تعكيس مجلس الذكر فى الزاوية أو يرسل أحدا من الأولاد الحاضرين فى المجلس فى حاجة ويترك مجلس الذكر إلا أن تكون الحاجة تتعلق بعامة الفقراء لتحصيل الطعام وآلة الطبخ لمطبخ الفقراء ونحو ذلك .

أما الحاجة الخاصة لاحاد الفقراء فلاينبغى ارسال أحد المجاورين أو غيرهم فى حالة المجلس لحاجة إلا بإذن الشيخ ، والله انى لأرى المقت يلوح على الفقير إذا ترك مجلس الذكر وخرج لشئ من أمور الدنيا وربما (واظب)[٢] على الخروج من المجلس فاستحكم المقت فيه

= والذكر يؤدى إلى الطاعات وتجنب المعاصى ، ويقول بعض أئمة الصوفية أليس الذكر أفضل آلاف المرات من الجلوس على المقاهى وسماع المبغضات ورؤية المنكرات .

(١) أم مجلس الذكر للمريد فيه حلاوة الاتصال بالله حتى أن هذا الاتصال يجاوز قوانين الطبيعة ، والذكر صفات ثلاث :

١ ـ أن يكون بالقلب لا باللسان فقط .

٢ ـ أن يكون القلب أثناء الذكر حاضرا وإلا يكون فى واد والعقل فى واد آخر .

٣ ـ أن يحذر الذاكر من الغفلة ـ كالنوم ـ إلا لعذر قهرى لأن الغفلة تورث قسوة القلب .

ويقول تعالى «وأذكرونى أذكركم» ويقول تعالى أيضا «ألا بذكر الله تطمئن القلوب» وفى الحديث القدسى «إذا ذكرنى عبدى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير من ملأه» وقوله تعالى «أذكروا الله ذكرا كثيراً» البقرة ١٥٢ .

الذكر اقرار باللسان وتصديق بالقلب ، فإذا قال المريد لا إله إلا الله بلسانه ولم يصدق قلبه كان المريد مسلما عند الناس كافرا عند الله .

وإذا أذكر الله بقلبه خفية كان ذلك كاف لأن إبليس كان يذكر الله بقلبه ولم ينفعه حين أضره لسانه .

(٢) فى الأصل (واظب)

إلى أن يموت نسأل الله العفو والعافية فاعرض يا أخى ما قررته لك فى هذا الخلق على مريدى عصرك تعرف حالهم ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(٨) ومن أخلافهم[١] الخوف على شيخهم من كل شئ ينقص مقامه لا سيما فى المآكل والملابس ، فإذا أرسل الشيخ أحدهم فى حاجة بيع أو شراء فليحذر من البيع والشراء ممن يقع فى الربا أو القمار أو يغش فى صنعته أو حرفته ، فإن شيخه إذا أكل من ذلك الطعام أو لبس من ذلك اللباس الذى لا يتحذر صاحبه من الشبهات نقص مقامه وحجبه عن طريق القوم ، وإذا حجب عن طريقهم انقطع امداده للمريد وحرم النفع منه ، فإذا (رجحت)[٢] (منفعة)[٣] على الشيخ إلى منفعة المريد ، فإذا أطعم شيخه شبهات فقد ضر بحاله وحال شيخه فيحتاج من يشترى الحاجة للشيخ أن يكون له الاشراف على مقامه ليشترى له ما يناسب مقامه فى الأكل أو اللبس وإلا أطعم الشيخ الحرام المحض فان الحلال (بالنسبة)[٤] لقوم ربما يكون حراما بالنسبة لمقام قوم آخرين من باب حسنات الابرار (سيئات)[٥] المقربين .

---

(١) من أخلاق الصوفية عدم الاقبال على طعام أو شراب إلا إذا عرفوا صاحبه وذلك اتقاء للشبهات فلا يأكل المريد إلا من عند من يعتقد فيه الصلاح خوفا من الوقوع فى المحرمات ، لذلك فان المريدين يهتمون فى البيع والشراء ممن يتصف بالأمانة والشرف حتى يتجنبوا الغش والربا والقمار . وكذلك الأمر بينهم وبين شيوخهم ، فإذا طلب شيخهم حاجة ليشتريها أحد المريدين فإنهم يتاكدوا فى البيع والشراء عن صدق البائع أو المشترى لهم حتى لا يقدموا مالا أو طعاما لشيخهم فيه شبهة وذلك حفظ لمقام شيخهم ومحافظة عليه .

(٢) فى الأصل (رجعت) .

(٣) فى الأصل (منفعت) ويجوز أن يكون المقصود «إذا رجحت منفعته على منفعة الشيخ» .

(٤) فى الأصل (بالنسبت) وقد تكرر ذلك .

(٥) وردت فى الأصل (سيات) .

وقالوا ينبغى للمريد إذا اشترى للشيخ أن لا يطلب من البائع مسامحة الشيخ بشئ من المشترى ، فيجعل له المنة على الشيخ فإن فهمت ذلك[١] عرفت معنى قوله تعالى لمحمد ﷺ «وإن تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله» أى لأن أكثر من فى الأرض لم يصلوا إلى مقامك ، ولو شرفوا عليك فلا يأمرونك إلا بفعل ما هو نازل عن مقامك الاسنى ، وإذا أطعتهم في ذلك فقد أضلوك عن مقامك اللائق بك ضرورة المكنى عنه بسبيل الله أى الخاص بك الذى لا يصل إليه غيرك بخلاف طاعته ﷺ ، (فالخواص)[٢] الذين أشرفوا على مقامه المشار إليهم بغير الأكثر فإنهم ربما يكونوا يضلوا ﷺ عن مقامه الكريم . فعلم أنه ليس المراد بالاضلال عن سبيل الله ما يخالف الهدى كضلال الكفار ، لأنه ﷺ معصوم عن مثل ذلك بالاجماع وإنما المراد ضلال عن فعل ما هو الأولى فى حقه ﷺ ونحو ذلك ، وهذا الضلال هو المراد أيضا بقوله تعالى لداوود عليه السلام ، «ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله» أى سبيل الله الخاص بمقامك أنت فقط وإلا فهو ﷺ معصوم كذلك عن الضلال المشهور بين العامة .

وبالجملة فلا ينبغى أن يتكلم عن أحوال الأنبياء فى تأديبات الحق لهم إلا من حق له قدم الوراثة والا يخاف عليه (الخطأ)[٣] وهذا الذى

---

(١) يقول الشعرانى فى ذلك عدم طلب أهل الطريق حتى ولو فى خواطرهم ، هدية من أحد جاء من بلد آخر فلا يحدث نفسه بأن فلان ، سيهدى إليه ملبسا أو فاكهة أو نحو ذلك وإذا اهدوا إلى أحد هدية فلا تحدثهم أنفسهم بأنه سيكافئهم على ذلك ، وهذا ليس من باب سوء الظن وإنما من باب ترك الطمع .

كذلك إذا طلب المريد لشيخه خصما أو تخفيضا فيما يشتريه له من سلع أو أشياء فإن ذلك يعد عند الصوفية [illegible] مما ينقص عن مقام الشيخ كقدوة الناس وذلك اقتداء بالرسول ﷺ حتى لا يكون [illegible] قد من عليه من عنده ، ويمكن أن يتباهى بذلك أمام الناس فتنزل منزلة الشيخ وربما [illegible] .

(٢) فى الأصل [illegible] .

(٣) فى الأصل [illegible] .

ذكرناه من الجواب من جملة العلم الموروث عن نبينا وعن داوود(١) ﷺ وهو طريق واضح لا أشكال فيه .

فعلم أن كل من أدعى محبة الطريق ولم يخف على شيخه مما ينقص مقامه فهو كذاب على الطريق ، فاعرض يا أخى هذا الخلق على من يدعى الصدق من مريدى عصرك تعرف حاله (على ما ذكرناه)(٢) ولعل ذلك المعنى الذى لم يخطر على باله جملة ولا تنس نفسك والحمد لله رب العالمين .

---

(١) ورد اسم داوود عليه السلام فى القرآن الكريم فى ستة عشر موضعا وقد آتاه الله النبوة والملك فى بنى إسرائيل ، وقد ذكرت قصته فى القرآن مرات كثيرة تارة مختصرة وتارة مطولة وكلها يكمل بعضها بعض ، وقد طالت مدته فى الملك وله مواقف أيام ملكه وقبله ، ولقد هزم داوود جالوت وجنوده كما جاء فى القرآن الكريم «وعظمت منزلته» . ولقد توطدت أواصر المحبة بين ملك اسرائيل (شاول) وبين سيدنا داوود عليه السلام إلا أن (شاول) قد تغير قلبه من جهة داوود عليه السلام عندما تعلق الشعب به وعظم فى أعينهم ، فأراد (شاول) الفتك به غيرة منه ، إلا أنه قد استطاع الهرب قبل أن يصل إليه (شاول) .

وقد علم (شاول) أن ابنه (يوناثان) قد تعاهد مع داود عليه السلام على الصداقة والوفاء فحاول الملك قتل ابنه ، ولكنه نجا ثم علم شاول أن أحد الكهنة كان يدعو لداوود عليه السلام بالتوفيق والنجاح فاستدعاه (شاول) ، ولامه على ثنائه على داوود عليه السلام فقرر الكاهن أنه مخلص لداوود وأن الملك لا ينبغى أن يكافئ الاحسان بالشر فأمر الملك بقتل الكاهن ، وأصحابه فقتل منهم خمسة وثمانين ، ولم ينج منهم إلا طفلا هرب وأخبر داوود عليه السلام بما فعله الملك بأهله .

أنعم الله تعالى على سيدنا داوود كما ورد فى القرآن الكريم نعما جليلة .

١ - أن الله سخر الجبال مع داوود يسبحن بكرة وعشية وذلك مؤيد فى سورة سبأ «ولقد آتينا داوود منا فضلا يا جبال أوبى معه والطير» .

٢ - فى سورة ص «انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والاشراق» .

٣ - وكما ورد فى سورة النمل علمه تعالى «منطق الطير» وكذلك فى سورة النمل فى قوله تعالى «وورث سليمان داوود قال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شئ» والمقصود أنه ورث سليمان داوود فيما ورثه العلم والحكمة .

(٢) (على) زيادة عن الأصل .

(٩) ومن أخلاقهم أن يفرح أحدهم بجفاء[١] شيخه له لا سيما أن أمر النقيب أن لا يعطيه من خبز الزاوية وطعامهم ومتى تكدر من ذلك فى سره فقد نقض عهده مع الشيخ وخرج عن سياج طاعته ووجب عليه تجديد العهد ثانيا كما أجمع عليه مشايخ الطريق ويكون على علم الاخوان حفظهم الله ولطف بهم أن الشيخ من مرتبته أن لا يدخل تحت تحجير المريد عليه ، كما أن من مرتبته أن لا يفعل بالمريد إلا ما هو الأصلح له ، فما منع الشيخ النقيب أن يصرف لذلك المريد خبزا أو طعاما إلا مصلحة له ليربى له اليقين[٢] ، ويبعده عن الاهتمام بالرزق والركون إلى الأسباب ، كما يفعل أهل الأهتمام مع ربهم ، وقد أجمع القوم على أن من المحال أن يتربى للمريد يقين وشيخه ينفق عليه ويطعمه من سماط زاويته ، وإنما يتربى اليقين للمريد بحرمانه من الأكل من كل معلوم وجلوسه فى كل موضع لا تعرفه فيه أحد (كالخرائب)[٣] البعيدة عن طرق الناس من غير أصطحاب طعام أو نقد ثم يأمره الشيخ بالذكر على وجه الاخلاص وليمده الشيخ بالهمة لا بالكلام فان ذلك يضر بالمريد فإن قعد المريد كذلك لابد أن يفتح الله تعالى عليه بشئ (يأكل)[٤] أو بزيادة اليقين وزوال الإهتمام بالطعام كما جرب .

قلت وقد وقع لى مثل ذلك فى بدايتى[٥] فكنت أجلس فى البرج الذى فوق السور بالقرب من باب الفتوح بمصر (المحروس)[٦] حتى

---

(١) الجفاء من قبل الشيخ ليس بسبب الكراهية وإنما تدريب للمريد على الصبر واختباره فى تحمل عوائق الطريق وبذلك الجفاء ـ فى تصور الصوفية ـ ينصلح أمر السالك .

(٢) فى الأصل (شياء) .

(٣) فى الأصل (الخرايب) .

(٤) هكذا وردت فى الأصل ، وغالب الأمر أنها (يؤكل) .

(٥) وهذا يؤكد أن هذا المخطوط للامام الشعرانى .

(٦) وردت فى الأصل هكذا .

فجائني اليقين وسبقني إلى ذلك سيدى محمد بن عنان وسيدى حسن العراقى[١] المدفون فوق الكوم المطل على بركة الرطلى فجلس كل واحد منهما في موضع خراب لا يمر به أحد فسخر الله له الدنيا فى صورة امرأة عجوز تأتيه كل يوم بصحفة طعام ورغيفين فكانا يعرفان أنها الدنيا ويأخذان ذلك الطعام من الله لا من الكون .. انتهى .

فاعرض يا أخى ما ذكرته لك على مريدى زمانك تعرف حالهم ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(١٠) ومن أخلاقهم إذا أحس أحدهم بعلامات الكمال النسبى العادى فى مقامات الطريق أن لا يطمح بصر أحدهم إلى وقع الأذن من شيخه بل يجب عليه الصبر حتى يكون شيخه هو البادئ له بذلك ، ومتى طمح بصره إلى الأذن من شيخه فقد نكص على عقبيه ، وربما رجع إلى حالة هى أدنى وأرذل من حالته التى كان عليها قبل دخوله الطريق عقوبة له[٢] .

فان المريد كلما قرب من الحضرة الآلهية كأنما نوقش كما أنه إذا أبعد عنها سومح ، والقاعدة أن كل من عظمت مرتبته كبرت صغيرته وقد سمعت سيدى عليا المرصفى[٣] رحمه الله يقول : «من نعم الله

---

(١) وقد ذكر الشعرانى فى الطبقات الكبرى الشيخ محمد بن عنان والشيخ حسن العراقى وأورد بعض من كراماتهم .

(٢) وإذا تأكد المريد أنه قد قطع شوطا فى المجاهدة والعبادة وأنه قد ظهر له بعض الكشوفات والفتوحات كثمرة لإخلاصه وطاعته ، فلا يظهر ذلك ويفرح به أو يطمع من شيخه أن يأذن له ويصدق على ما كوشف به من حقائق . انما عليه أن ينتظر دون ملل أو كدر حتى يعرف شيخه ذلك ويأذن له فان الرغبة لمعرفة شيخه كمالاته إنما أساسها الأغترار بالنفس والشعور بالتكامل الذى ربما يؤدى إلى السقوط والانتكاس وبذلك يضيع على المريد كل ما قد حصله ويصبح كأنه لا دخل الطريق ولا خرج منه .

(٣) هو الشيخ على نورالدين المرصفى وكان من الأئمة الراسخين فى العلم وله مؤلفات نافعة فى طريق التصوف وقد اختصر الرسالة القشيرية .

مات رضى الله عنه سنة ٩٣٠ تقريبا ، ودفن بدائرته بقنطرة الأمير حسين بمصر وقبره بها معروف .

تعالى على لما قرب أوان فطامى أن نفسى لم تحدثنى قط بأنى أستحق الاذن لى من شيخى ، ولذلك جزانى الله تعالى بالاذن من شيخى ابتداء على لسان رسول الله ﷺ ثم جاء الأذن له ـ من ربه ـ عن طريق الألهام وقال لى يا على ما أذنت لك الا بأمر من رسول الله ﷺ ـ وبأذن من الله عز وجل قال ولما مات سيدى شيخى محمد بن أخت سيدى مدين[١] تطاول جميع أصحابه للجلوس فى مصر لارشاد المريدين وكنت (غائبا)[٢] فى نواحى البلاد فأرسل الأخوان (يشاوروننى)[٣] فى ذلك فقلت يجلس كل من معه أذن من الشيخ وكل من ثبته الله تعالى ثبت ، فجلسوا كلهم ولم يثبت فى مصر منهم إلا واحد والباقون أعوان له .. انتهى .

فكان الشيخ رضى الله عنه هو الذى ثبت فى مصر[٤] وانتفع به الناس فعلم أن الشيخ لا يحتاج إلى تنبيه على الاذن لمريده إذا أكمل حاله واستحق الأعظام ، لأنه يعلم أن الواجب عليه إذا رأى المريد قد استقل بحاله ، كملت تربيته ، ودخل أوان فطامه وأتاه الاذن له من رسول الله ﷺ أو من ربه عز وجل من طريق الألهام أن يأذن له ويقطع عنه الأمداد من جهته ويتركه مع ربه ان شاء أقعده ولا حكم للشيخ بعد ذلك عليه .

---

(١) اشتهر باسم بن عبدالدايم المدينى وكانت له مجاهدات رائعة ، وظهر صدقه مع تلامذته ، وتربى عنده العارف بالله الشيخ محمد الحمائل السروى والشيخ نورالدين الحسنى بن عين الغزال والشيخ نورالدين على المرصفى كان رضى الله عنه ذا همة وشكل بهى ونظافة ، وقد أقبل عليه القوم ـ كما يذكر الشعرانى فى طبقاته فطردهم عن طريق القلب وصار يخرج وحده إلى السوق ليشترى حاجته بنفسه ويحمل الخبز إلى الفرن بنفسه إلى أن مات ، ودفن بجوار سيدى مدين رضى الله عنه .

(٢) فى الأصل : (غايبا) .

(٣) فى الأصل : (يشاورننى) .

(٤) يقصد الشيخ على المرصفى وقد سبق ذكره .

قالوا ولا يسع المريد إذا ساوى شيخه فى المقام أو جاوزه إلا التأدب معه واحترامه دون الأقتداء به ، قال الشيخ محى الدين[١] رحمه الله : والذى نختاره البقاء على الأقتداء به حتى يموت شيخه كما أنه إذا مات شيخه قبل أن يكمله ، يجب عليه أن يتخذ له شيخا آخر ولا يقل ما بقى أحدا يعجبنى مثل شيخى كما عليه غالب من يدعى الطريق من المريدين ، فإن ذلك من صفات اليهود فانهم قالوا ما بقى أحد مثل موسى ولا يأتى لنا أحد مثله فادركوا زمن محمد ﷺ الذى هو أعلى مقاما من موسى بالأجماع ، فلم ينتفعوا به فباءوا بالخسران المبين فى الدنيا والآخرة .. انتهى .

وهذا الأمر قد كثر فى مريدى هذا الزمان فيموت شيخهم قبل فطامه لهم فلا ينقادون لأحد بعده ولو كان أعلى مقاماً من شيخهم ، فاعلم ذلك وإياك أن تتكدر ممن قال لك بعد شيخك تكون تلميذاً لفلان وتقول أن فلاناً لم يعرف مقامى ، ومن نصحك بحسب مقامه بلا تلوم عليه ، بل ذلك واجب عليه والحمد لله رب العالمين .

(١١) ومن أخلاقهم أن يلازم أحدهم على فعل ما أذن له فيه شيخه وأمره به من الأوراد كحضور مجلس الذكر صباحاً ومساء أو ذكره وحده فى الزاوية ليلا ونهار ، ولا يتوقف على حضور الشيخ مجلس الذكر صباحا ومساءا فى الزاوية لأن ذكر الشيخ صار قلبياً ، ويأطول ما لازم الذكر صباحاً ومساء مع الفقراء فى المجلس أيام بدايته حتى أعطاه الله تعالى حياة القلب واستغنى عن حضور مثل ذلك المجلس بالذكر القلبى ، ومن قال لا أواظب[٢] على مجلس الذكر إلا أن

---

(١) يقصد الشيخ الأكبر محى الدين عربى أو بن العربى ويقول عنه فى (اليواقيت) أنه استاذه عن طريق التوجيه .

(٢) فى الأصل «أواضب» .

واظب عليه شيخى فهو أعمى القلب سئ الأدب مع شيخه وقد منّ الله علىّ بجماعة يسمعوننى ذكر الله عز وجل صباحاً ومساء . ولا (يحوجوننى)[١] إلى الحضور معهم رضى الله عنهم ، وربما تلمحت من بعضهم كسلا ان لم أخرج إليهم فأتكلف بالخروج إليهم تقوية لهممهم وربما كنت تلك الليلة سهرانا إلى الصباح فاضجع فى المجلس عجزاً عن الجلوس ولا أتخلف عنهم فرضى الله عن من لم يحوج شيخه إلى ذلك والحمد للّه رب العالمين .

(١٢) ومن أخلاقهم نسيان أحدهم الغداء أو العشاء أيام بدايته لشدة اشتغاله باللّه عز وجل وكل مريد تذكر غداه أو عشاه إذا فات وقته فى العادة فلا يرجى منه شئ فى الطريق ، وكذلك كل من وجد عنده فراغا للذهاب إلى مواضع النزهات كالبحر والبساتين فلا يجئ منه شئ ، وحكى عن أبى بكر الشبلى[٢] رضى الله عنه أنه كان يقول مكثت ستة أيام بدايتى لا أتذكر غداء ولا عشاء إلا أن أحضروه بين يدى وربما غفلوا عنى جمعة كاملة ، فلا أتذكر أكلا ولا شرباً فاعرض ياأخى هذا الأمر على مريدى زمانك ولا تنس نفسك والحمد للّه رب العالمين .

(١٣) ومن أخلاقهم صبرهم على الجوع اختياراً أو اضطراراً كأيام الغلاء أو القحط بأن يصير أحدهم يأكل فوق أكله المعتاد ولا يشبع كما ورد فى الحديث إذا أراد الله بقوم قحطاً نادى منادى من السماء (يا أمعى)[٣] أتسعى ، ويا عين لا تشبعى ، ويا بركة ارتفعى .. انتهى .. فهذا هو القحط وربما أكل الواحد طعام عشرة ولم يشبع ،

---

(١) هكذا فى الأصل .

(٢) من أكابر الصوفية ومن الرعيل الأول . عاش زمن الجنيد .

(٣) هكذا وردت فى الأصل والمقصود : (يا أمعائى) .

قال سيدى على الخواص رحمه الله وأصل منشأ غلاء الأقوات والقحط كثرة غفلة الخلف عن ربهم وارتكابهم المعاصى قال تعالى ، «وبلوناهم بالحسنات والسيئات[١] لعلهم يرجعون» . فاعلم[٢] . أن من ادعى عدم الغفلة وعدم ارتكابه المعاصى وحصل له غلاء أو قحط فهو غير صادق، ويتفاوت الناس فى ذلك قلة وكثرة وربما كان سبب ذلك الاستهانة بالنعمة أو بغير سبب امتحاناً من الله عز وجل لعباده فاعلم ذلك والحمد لله رب العالمين .

(١٤) ومن أخلاقهم شدة اعتناقهم بالعمل بصريح السنة الواردة أكثر من اعتناقهم بالأمور المستنبطة إلا أن جمع عليهما ، وكذلك من أخلاقهم شدة اعتناقهم بالعمل بكلام المجتهدين أكثر من اعتناقهم بكلام المقلدين كما درج عليه السلف الصالح فى حال بدايتهم وهذا أمر قد أغفله غالب المتمشيخين فى هذا الزمان فضلا عن المريدين ، فترى أحدهم يواظب على قراءة ورد اخترعه مثلا أكثر من مواظبته على ما ورد فى السنة فى عمل اليوم والليلة وهو جهل منهم وأين امداد أحدهم من امداد الشارع ﷺ وأين المتبع من المبتدع فاعلم ذلك والحمد لله رب العالمين .

(١٥) ومن أخلاقهم تكرار قراءة القرآن ومحفوظاتهم فى علوم الشريعة ولا يشتغلون عنها بالأوراد مثلا حتى ينسوها كما عليه بعض الجهلة من المريدين ، فان كتب الفقه جامعة لأحكام القرآن الظاهرة والباطنة ومن نسيها فكأنه نسى القرآن فعليه من الاثم كما على من نسى القرآن وان تفاوت المقام ثم أن على شيخ هذا المريد اللوم أكثر من المريد لكونه أهمله حتى نسى العلم والقرآن ، وقد ذكر الشيخ

---

(١) فى الأصل (والسيات) .

(٢) فى الأصل (فعلم) .

العارف بالله تعالى أبوالمواهب الشاذلي[1] أنه اشتغل بالذكر أيام بدايته حتى نسى غالب القرآن ، فرأى رسول الله ﷺ وقال له يا محمد تركت تلاوة كلام ربك واشتغلت بوريداتك هذه ، فقال فمن تلك الواقعة رتبت لى كل يوم عشرة أحزاب وكررت محفوظاتى فى العلم التى كنت نسيتها .. انتهى .. ثم لم يزل على ذلك حتى مات كما أخبره بذلك حفيد الشيخ على[2] رحمه الله تعالى فاعلم يا أخى ذلك والحمد لله رب العالمين .

(١٦) ومن أخلاقهم تصدقهم بالثوب الذى كان عليهم وقت المعصية ، ثم يغتسلون ويتوبون ويلبسون وان كان أحدهم فقيراً لا يجد غير ذلك الثوب غسله ثم لبسه وكذلك يحلقون شعر الذى كان لهم حال المعصية ويقصون أظفارهم حتى أن بعضهم بالغ وصار يحلق لحيته كلما وقع فى معصية ويقول لو أمكننى تبدل أعضائى التى عصت لفارقتها .. انتهى . وهذا وإن كان فيه تعظيم لله تعالى فاتباع السنة المحمدية أولى فيستغفر الله تعالى ويتوب إليه من كل ذنب من غير حلق لحيته ، فإن استدل علينا شخص بقوله ﷺ لمن أسلم ألق عنك شعرك واختتن وقال ان شعر الكفر يعم اللحية قلنا له المراد بشعر الكفر الذى يؤمر لإزالته زمن الاسلام كالعانة ونتف الابط لا مطلق الشعر ، قال بعض المحققين ولا ينبغى لمن عصى الله أن يفارق ذلك المكان الذى عصى فيه حتى يطيع الله تعالى فيه ولو بقول لا إله إلا الله مرة واحدة ، فكما كان يشهد عليه كذلك صار يشهد له وهو كلام حسن فاعلم ذلك والحمد لله رب العالمين .

---

(١) ربما يقصد أبا الحسن الشاذلى شيخ الطريقة الشاذلية لأنه يذكر أن حفدته هم الذين أخبروه .

(٢) أما على الخواص وأما على المرصفى .

(١٧) ومن أخلاقهم إذا نقصهم منقص أن يشكروا [illegible] على نقصهم ويقولوا لها إنما نقصت فلان وحق [illegible] عليكي[1] أم تقبلي إذا نبهك عليه من الأمور التي تسخط الله تعالى عليك ، واعلم أن كل مريد أجاب عن نفسه وكره من نقصه فهو مدع كذاب لا يجيء منه شئ فى الطريق وكيف يدعى الصدق وهو يكره من يطلب ايصاله إلى حضرة ربه ، فان كل نقص فى العبد يعوقه عن السير إلى حضرة ربه محبوبه ، ولو لم يعلم هو به وهذا المنقص قد نبه هذا المدعى على النوبة مما يعوقه ليسير إلى حضرة ربه ، فجزاءه شدة المحبة لا الكراهة له فاعرض يا أخى هذا الخلق على كل مدع للارادة من أهل عصرك تعرف صدقه أو كذبه ولاتنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(١٨) ومن أخلاقهم ذكرهم لمناقب أخوانهم فى المجالس والكف عن ذكر نقائصهم فيها لأن ذلك يسخط الله ويسخط الأخوان ويوجب المقت من الله تعالى ومن خلقه ، وذكر محاسن الناس يوجب رضى الله ورضى الخلق ، والعاقل لا يقع فيما يسخط الله عليه أبدا ، وما بقى لمن يقع فى أعراض الناس الا أنه مجنون والمجنون لا يصح له سلوك الطريق حتى يفيق من جنونه ، وعلى هذا فلم يسلم من الجنون الا قليل من الناس عدموا الترقى فى العلوم والمعارف ولايزال أحدهم يقرأ على العلماء (ويتلمذ للفقراء)[2] حتى تشيب لحيته ولا يبلغ درجة التدريس فى العلم ولا الإرشاد فى الطريق ثم إذا يوم (القيمة)[3] تقاسم الناس حسناته فى نظير ما سبق منه فى حقهم من الغيبة فمثلا هذا خسر الدنيا والآخرة ، فاعلم ذلك واعرض هذا الخلق على من يدعى الصدق

---

(١) فى الأصل «عليكى» .

(٢) هكذا وردت فى الأصل ويجوز أن يكون المقصود (ان يعلم الفقراء) .

(٣) هكذا وردت فى الأصل والمقصود يوم القيامة .

فى الارادة من أهل عصرك تعرف حالهم ولا تنس نفسك الحمد لله رب العالمين .

(١٩) ومن أخلاقهم شدة محبتهم لكل من تتلمذ لشيخهم لأنه أخوه من الرضاع الربانى على يد شيخه ، فمن كره أخاه وشاحنه بغير حق فلا يرفع له إلى السماء عمل مادام مشاحنا له ، كما صرحت به الأحاديث وذلك كناية عن غضب الله تعالى عليه كما غضب على الكفار، وان تفاوت الأمر فى ذلك وربما رده الله تعالى بعد طول مجاهداته إلى أسفل من الحالة التى كان فيها قبل المجاهدة وأحبط عمله ، فاعلم[1] أن من ادعى الصدق فى الإرادة وهو يكره أحدا من اخوانه لحظ نفس[2] فهو كذاب لا يفلح أبدا ، فاعرض يا أخى هذا الخلق على غالب من يدعى صحبة المشايخ على الصدق تجده يكره غالب اخوانه ولا تنس نفسك والحمد لله رب العالمين ..

(٢٠) ومن أخلاقهم اظهار كراهة من علموا أن شيخهم «يكرهه»[3] تقليدا لشيخهم ، كما يقلد طالب العلم إمام مذهبه فيما حرره بطريق الفهم من الشريعة ، وإن لم يعرف لشيخه دليلا فإن منصب الشيخ يجل أن يكره أحدا من المسلمين بغير حق لبرأته عن حظوظ النفوس غالبا ، ثم كلامنا إنما هو فى حق الشيخ الحقيقى الذى له قدم المشيخة لا المتمشيخين كغالب من برز فى هذا الزمان ، فان الغالب عليهم الرعونات النفسية وعلامتهم التكدير ممن بلغهم أنه ينقصهم بين المعتقدين فيهم أن لو كان أحدهم ممن حق له قدم الولاية لفرح بكل من ينقصه ورأى أن ما نقصه الناس به لايجئ عشر ما يعلمه هو من

---

(١) فى الأصل (فعلم) .
(٢) هكذا وردت فى الأصل .
(٣) فى الأصل (يكره) .

نفسه ، وقد أجمعوا على أن كل من أحب المدح كره الذم فيه ، ومن كره الذم فيه فلا يستبعد عليه كراهة اخوانه الذين نصحوه ولو بحق فمثل هذا لايجوز لمريده أن يقلده فى كراهته للناس ويصير يكرههم تبعا له فاعلم ذلك واعرض هذا الحال على المدعيين للإرادة والشيخة من أهل زمانك تعرف مقامهم ولاتنس نفسك والحمد لله رب العالمين ..

(٢١) ومن أخلاقهم طيب نفوسهم بمقاسمة اخوانهم فى أموالهم ثم يرون المنة فى ذلك عليهم لاخوانهم الذين قبلوا منهم ، ومتى خطر فى نفوسهم أن لهم منة على اخوانهم فى ذلك خرجوا عن مقام الارادة ، فاعرض يا أخى هذا الخلق على المتمشيخين من أهل عصرك فضلا عن المريدين تعرف حالهم ولاتنس نفسك والحمد لله رب العالمين.

(٢٢) ومن أخلاقهم طيب نفوسهم بمقاسمة اخوانهم فى حسناتهم فى الدار الآخرة ثم يرون المنة لهم عليهم كذلك فى قبولهم لها وهذا أمر يصل المريد إليه فى بداية أمره فليس هو بدرجة عظيمة لأنه أول ما يدخل الطريق يتجلى له أن الله تعالى هو الفاعل والمالك فلا يجد العبد لنفسه فعلا ولا ملكا يمتن به على أحد من الخلق وإنما المنة فى ذلك لله رب العالمين .

(٢٣) ومن أخلاقهم أنه يشكر الله الذى أضاف إليه شيئا يعطيه لاخوانه وكبر به من بينهم فهو كالوكيل فى مال سيد كريم وليس له ملك لشئ مما يعطيه ، فاعرض يا أخى هذا الخلق والذى قبله على كل من يدعى محبتك ، فإن سمح لك بمقاسمتك له فى ماله وحسناته فهو صادق وإلا فهو كاذب ولا تنس نفسك والحمد لله رب العالمين .

(٢٤) ومن أخلاقهم بغض أهل المعاصى وإن أحبوهم واعتقدوهم ايثارا لجناب الله تعالى فإنه يكره العصاة ، وكيف يدعى مريد الله تعالى الصدق وهو يحب من يبغضه ربه ، وهذا الخلق قليل وجوده فى

مريدى هذا الزمان ـ لا سيما إن أحسن ذلك العاصى إليهم وافتقدهم بالهدايا فالصادق من أثر جناب الحق على جناب نفسه . وذلك ليؤثره الحق تعالى ويقدمه على أقرانه فى مراتب القرب ، وكل من أعز الله أعزه الله ومن يهن الله فما له من مكرم ، فاعرض يا أخى هذا الخلق على غالب مريدى زمانك تجد أحدهم يشكر المحسن إليه ولو كان من شراب الخمر ويذم من ينصحه فى دينه ، ولو كان من أولياء الله تعالى وأحذر أن تنسى وأعرض ذلك على نفسك .. والحمد لله رب العالمين .

(٢٥) ومن أخلاقهم محبتهم لكل من يكرههم ويستغيبهم أكثر من محبتهم لمن يحبهم ويذكرهم بخير ويجيب عنهم ويثنى عليهم من حيث الأثر فى الآخرة ، فإن من يكرههم وينقصهم يحكمهم الله تعالى فى حسناته فى الآخرة ، ولاشك أن العبد أحوج إلى الحسنات فى الآخرة من مدحه ومحبته فى دار الدنيا فاعلم ذلك واعرض هذا الخلق على مريدى زمانك تعرف صدقهم أو كذبهم ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(٢٦) ومن أخلاقهم كثرة الاهتمام بأمر عدوهم العاصى أكثر من اهتمامهم بأمر صديقهم (الطائع) لأن صديقهم الطائع[1] محفوظ من الآفات بطاعاته ولا كذلك العاصى وما أعطى الله تعالى المقامات العالية لمن شاء من عباده إلا ليأخذ بيد (العصاة)[2] الهالكين ولذلك كان العارفون يوم القيامة إذا أذن الله لهم فى الشفاعة فيمن كان يسئ إليهم ليزيلوا خجله الذى يقع له منهم هناك حين يرى مقامهم عند الله وصنيعتهم معه من الاحسان ضد ما كان قد فعله هو معهم فى دار الدنيا والله يحب المحسنين .

---

(١) فى الأصل (الطايع) .

(٢) فى الأصل (العاصاة) .

قلت وقد سمعت سيدى على (الخواص)[١] رضى الله عنه يقول فى العارفين إذا أعطوا مقام الشفاعة فى أهل عصرهم إنما لم يكونوا يبدون فى الشفاعة أن أحسن إليهم المحسن محفوظ باحسانه من الآفات وليس عنده الكرب الذى عند المسئ العاصى ، انتهى ..

وهذا الخلق من أعظم أخلاق المريدين فاعرض هذا على مريدى زمانك تعرف حالهم ولا تنس نفسك والحمد لله رب العالمين ..

(٢٧) ومن أخلاقهم احتمال الأذى من أعدائهم وعدم التوجه إلى الله تعالى فى (الدعاء)[٢] عليهم رضى بتقدير الله تعالي عليهم ، وأن وقع منهم توجه إلى الله تعالى فى حق عدوهم فانما يسألون الله تعالى فى التوبة عليهم من وقوعهم فى أذى المسلمين أو العفو عنهم أن كان قد سبق فى علم الله تعالى عدم توبتهم من ذلك ويحزنون عليهم أشد الحزن لما جبلهم الله تعالى عليه من الرحمة على العباد ، وأعلم أن كل مريد توجه إلى الله تعالى فى هلاك من يؤذيه أو زوال نعمته من مال أو عافية ونحو ذلك فهو كاذب فى دعوى الارادة فاعرض يا أخى هذا الأمر على من يدعى الارادة من أهل عصرك تعرف حاله ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين ..

(٢٨) ومن أخلاقهم إذا سمع أحدهم كلاما يوهم النقيصة فى أحد من المسلمين كأن سمع أحدا يقول كبسوه الليلة وأخذوه لبيت الوالى فلا يطلب معرفة مرجع الضمير إلى من يتكلم بل يعرض عن ذلك إلا أن يكون ذلك لغرض شرعى لأن التجسس على معرفة ذلك المكبوس يرجع إلى الغيبة فيه يقينا ، ربما يكون هذا المتجسس عدوا له فيكون ذلك عنده أشد من ضرب السيف فيه بخلاف التجسيس على

---

(١) شيخ الشعرانى وقد سبق ذكره .

(٢) الدعاء فى الدنيا .

أخبار الناس المحمودة ، كما لو سمع انسانا يقول قام الليلة إلى الصباح يصلي (أو صائم)[١] الدهر قلنا التجسيس على مرجع الضمير لنعرف مقام ذلك الرجل لنسأله الدعاء والصحبه ليأخذ بيدنا فى عرصات القيامة فاعرض يا أخي هذا الأمر الذى ذكرناه على مريدى زمانك تجد غالبهم يتجسس على عيوب الناس كما ذكرنا ولا يكاد يعرض عن سؤاله عن مرجع الضمير فى قولهم كنسوه ولا تنس نفسك والحمد لله رب العالمين .

(٢٩) ومن أخلاقهم أن يروا نفوسهم أخبث من نفوس (سائر)[١] الكتب وأبخس وأرذل فلا يتغيرون من عشرة مخنث ولا حشاش ولا مدمن خمر ولا غير ذلك ويرون أن الله تعالى يغفر لهم ذنوبهم كلها إذا أذنبوا ، ومتى اعتقدوا فى أحد من العصاة أنه مصر على معصيته فقد أساءوا به الظن وأثموا كل ذلك ليكونوا من أهل التواضع لعباد الله عز وجل وفى الحديث لا يدخل الجنة أحد وفى قلبه مثقال ذرة من كبر[٣] يعنى على أخيه المسلم لا يدخل الجنة وفيه ذلك فكذلك لا يدخل حضرة الله تعالى فى دار الدنيا لا فى صلاة ولا فى غيرها ، ومن هم كذلك فهو ملحق بالشياطين فى منعهم من دخول حضرة الله عز وجل ومن هو من اخوان الشياطين فكيف يكون من المريدين الطالبين لطريق الأنبياء والمرسلين .

وقد كان عطاء السلمى[٤] رضى الله عنه لا يخدمه فى بيته إلا المخنثون وإذا لاموه فى ذلك يقول والله انهم عندى لأطهر من نفسى

---

(١) فى الأصل (صايم) .

(٢) فى الأصل (ساير) .

(٣) هكذا فى الأصل وربما المقصود من سائر أهل الكتاب أو أصحاب الكتاب .

(٤) ذكره الكلاباذي فى التعرف والقشيري فى الرسالة وكان من أكابر الصوفية .

ومرادنا بالمخنثين هم أصحاب الأبنة وهى غليان يحصل فى المقعدة من قسم الأمراض ، ومعلوم أن الأمراض لايجوز ازدراء أصحابها وقد جعل الحكماء لازالة ذلك حقنة وهى أن تنقع جلود السمك المملح القديد فى ماء ثم يغلى على النار بعد ثلاثة أيام ويحقن به المأبون فتذهب عنه الابنة بقدرة الله تعالى ... انتهى .. فإياك أن تعيب على أصحاب الابنة (فتهتلى)[1] . ببلائهم كما وقع ذلك لبعض اخواننا فان من عاير ابتلى وإنما الأدب أن يدعوا لكل من ابتلى من المسلمين بمرض فى بدنه أو دينه بأن يعافيه الله منه من غير ازدراء له وإياك أن تجانب أصحاب الكتب ازدراء لهم أو خوفا على ناموسك بين الناس لاحياء من الله عز وجل ، فان ذلك نفاق وربما كنت أنت مرتكبا فى الباطن ما لو أظهرته لرجمك الناس ولم يجالسوك فاعرض هذا الخلق على مريدى زمانك تعرف حالهم ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(٣٠) ومن أخلاقهم دوام شهودهم الفسق فى أنفسهم على الدوام أما فى المعاصى فظاهر وأما فى الطاعات فكما فيها من النقص وترك الحضور والخشوع ومرادنا الفسق اللغوى الذى هو مطلق الخروج عن السنة المحمدية ولو فى مأكله وملبسه ونومه لارتكاب المحرمات يقال فسقت النواة إذا خرجت من قشرها وعلامة المتخلق بهذا الخلق أن لا يتكدر ممن ناداه يافاسق وياقليل الدين ونحو ذلك لأنه صادق عنده ومتى تكدر لم يشم لهذا الخلق رائحة[2] . بل من المتكبرين الذين لا يحبهم الله ، وقد كان الفضيل بن عياض رحمه الله يقول من أراد أن ينظر إلى فاسق مرائى فلينظر إلى ، فاعرض يا أخى هذا الخلق على مريدى زمانك تعرف حالهم ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين ..

---

(١) فى الأصل (فيبتلى) .

(٢) فى الأصل (رايحه) .

(٣١) ومن أخلاقهم محبتهم لندائهم باسمهم المجرد عن الكنية واللقب ، ويكرهون نداءهم[1] بالتكنى والألقاب لما يدخلها من الدنس فان شمس الدين أو سراج الدين لا يصح له أن يلقب به إلا أن كان يثور على أهل الدين كلهم كالشمس فى جميع الدنيا وأما كونه شمس دين نفسه أو سراجه فلا يصح إلا بتأويل بعيد قولا يخطر على بال المتكلم فإن نداء الشخص باسمه المجرد هو الصدق المحض إلا لغرض شرعى كنداء العالم أو الشيخ مثلا ياسيدى الشيخ فإن مثل ذلك لا بأس به ، وبالجملة فعلى العالم والشيخ تهضيم نفسه وعلى الطلبة والمريدين اجلاله كما جرى عليه السلف الصالح .

وكلامنا المتقدم إنما هو فى حق الاقران من بعضهم بعضا والفرق أن (العلماء)[2] والصالحين عرفوا نفوسهم فلا يحصل لهم اعجاب ولا كبر بندائهم بالألقاب والتكنى بخلاف المريدين ومحك الصدق فى ذلك من العلماء والصالحين أن يتساوى عندهم الألقاب والكنى والنداء بأسمهم المجرد ومتى رجح عندهم النداء بالكنى فهم من قسم المريدين الكذابين لا من قسم الأشياخ الصادقين ، فأعرض هذا الخلق على مريدى زمانك تعرف مقامهم ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(٣٢) ومن أخلاقهم عدم الحسد لاخوانهم إذا حصل لهم اقبال من الشيخ أو أصحابة أو معارفه أو غيرهم لأن الحاسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب كما ورد فى الحديث ومن كان معه نار تأكل حسناته أول فأول فكيف يدعى محبة القرب من حضرة ربه عز وجل وهو يتعاطى أسباب الطرد فعلم أن كلما يأكل الحسنات يطرد العبد عن حضرة ربه عز وجل كما أن كلما تثمر الحسنات من

---

(١) فى الأصل (نداهم) .

(٢) فى الأصل (العلمام) .

الطاعات يقرب العبد بها وهذا داء قد عم غالب المريدين فى هذا الزمان فقدموا بذلك الترقى لأن الحسود لا يسود فاعرض يا أخى هذا لخلق على من يدعى (الصدق)[1] من المريدين فى عصرك، تعرف حالهم ، ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين ..

(٣٣) ومن أخلاقهم شهودهم ببادئ الرأى إذا وسوس لهم ابليس بمعصية وفعلوها أن ذلك من تقدير الله عز وجل بواسطة ابليس من حيث كونه آلة فى ذلك كما أن وسوسة ابليس لهم بالمعصية عن تقدير الله على ابليس كذلك بواسطة المزاج الذى ركبه الله عليه فلا يضيف أحدهم الوسوسة إلى ابليس . يقف معه فى ذلك زاعما أن ابليس (منديل)[2] هذه الدار تمسح فيه أوساخ الدنس فإن ذلك معدود من الشرك الخفى بالله عز وجل وما رأيت لهذا الخلق ذائقا من أهل عصرى إلا القليل وقد قال الله تعالى (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا)[3] فليكن قوله شيئا فيشمل شرك النفس وابليس فى العمل ومتى وقع أن بعضهم قال يارب أغفر لى فانك وعدت بالمغفرة كل من لم يشرك بك شيئا وأنت تعلم أنى لم اشرك بك شيئا وإذا بالهاتف يقول ولا يوم اللبن وكانوا قد قدموا بين يديه لبنا ليشربه فأبى وقال أخاف أن يضرنى فأخذه الله باضافة الضر إلى اللبن فأعلم ذلك وأعرض على مريدى عصرك تعرف حالهم ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(٣٤) ومن أخلاقهم ماداموا فى هذه الدار أن لا يروا أنهم صدقوا مع الله تعالى فى حال من الأحوال وذلك ليكون أحدهم منكس الرأس على الدوام حياء من الله تعالى وقد كان السرى السقطى[4]

---

(١) فى الأصل من يدعى (الخلق الصدق) إلا أنه على حكمه الخلق حذف .
(٢) هكذا فى الأصل
(٣) النساء ٣٦ .
(٤) من أكابر الصوفية وضعه كتب الطبقات .

رحمه الله يقول لي منذ ثلاثين سنة وأنا أقول إن الله سبحانه وتعالى وقفنا إلى نظر المستند [illegible] [illegible] من لازم أهل الحضرة الإلهية من الله تعالى [illegible] [illegible] الله عز وجل وأنه لا يجتمع الإدلال على الله والقرب أبدا إنما يكون الإدلال للمحجوبين عن مشاهدته .

وهذا الخلق يخل به قوم كثير حتى ربما يظن بعضهم بنفسه إذا أدعى بزوال الغلاء أو بطول البقاء لأخذ فى ولايته أو بنزول المطر أو طلوع النيل ، ووقع ذلك أنه بدعائه ، فذلك وهم كاذب ومن أين له ذلك ، بل كان مالك بن دينار لا يخرج فى الاستسقاء إذا دعى إليه ، ويقول إنى أخاف أن تمطروا حجارة أو تحرموا المطر بحضورى معكم ، فاعلم[1] أن كل من توهم رضى الله عنه وعمى عن شهود مساوئ نفسه فهو مغرور ، ومن علامة غروره تكديره ممن نقصه ، ولو أنه عرف نفسه لرأى جميع ما نقصوه به من بعض صفاته فكان لا يتكدر من ذلك بل يشكر الله تعالى الذى لم يطلع الخلق على جميع مساوئه[2] التى يخفيها عن الناس ويجاهر بها ربه ، فأعرض يا أخى هذا الخلق على اقرانك تعرف حالهم ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(٣٥) ومن أخلاقهم كثرة محبتهم لكل من بالغ فى ايذائهم[3] من حيث أنه كان سببا لحصول الثواب العظيم لهم ، وإذا مات حزنوا عليه أكثر من حزنهم على ولدهم وزوجهم وذهاب مالهم ، لأن الزوجة والولد والمال قل أن يحصل للانسان من جهتهم ثواب ، بل هم إلى الفتنة أقرب ، وقد كان سيدى على الخواص رحمه الله يقول من كان له عدو

---

(١) فى الأصل (فعلم) .

(٢) فى الأصل (مساويه) .

(٣) فى الأصل (ايذايهم) .

يؤذيه فليفرح به ، وليحسن رأيه ، فانه أنفع من أصدقاء هذا الزمان الذين يحسدونه ويخشونه ويداهنونه ، وكان إذا مات أحد عدو يحزن عليه أشد الحزن ويقول لا إله إلا الله مات من كان يحصل لنا بسببه الخير رضا الله عز وجل ورضا لرسوله ﷺ ، فقلت له مرة كيف ذلك ؟ فقال : كان يؤذينا[1] فنحتمله ونكرمه من حيث أنه عبدالله ، ومن حيث أنه من أمة محمد ﷺ ، فيحصل لنا الرضا من الله ورسوله إذا اطلع على قلوبنا ، إذا ما احتملناه وأكرمناه إلا لأجل كونه عبده أو من أمة نبيه ، فأعرض يا أخى هذا الخلق على المريدين من أهل عصرك تعرف صدقهم أو كذبهم ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(٣٦) ومن أخلاقهم تحمل هموم اخوانهم وجيرانهم من المسلمين إذا نزل بهم هم وعجزوا عن تحمله قياما بواجب حقهم ولا يضحك أحدهم ولا يتناول شيئا[2] من شهوات النفوس مادام بجيرانه وأخوانه الهم ، كان أخى الشيخ أفضل الدين إذا نزل بأحد من المسلمين كرب فى سائر أقطار الأرض ، يصير كالذى مات أعز أولاده ، وذهب أكثر ماله ، فلا يزال كذلك حتى يرتفع ذلك الكرب عملا بقوله ﷺ ، «من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم» .

رواه فى توفية الطبرانى ، ومن تحمل الإنسان هم أخيه أن يساعده فيما عليه[3] من الديون ويفك دينه[4] عند الحبس أو الترسيم . اللهم إلا أن يكون ذلك الحبس عقوبة له على ذنب عمله أو تعاطيه شيئا لا يليق عليه به ، كالذى يلتزم فى تخليص خراج السلطان من أولاد

---

(١) فى الأصل (يؤذنبا) .
(٢) فى الأصل (شياء) .
(٣) فى الأصل (ما عليه) .
(٤) زيادة عن الأصل (ليستقيم المعنى) .

الفقراء أو يسلك طريق الأمناء[١] فى ضرب المسلمين وحبسهم وبيع بهائمهم[٢] فى الخراج بغير إذنهم فشل هذا لا ينبغى لأحد مساعدته حتى تأخذ العقوبة فيه حدها ، وربما يسعى بعضهم فى اخراجه من الحبس مثلا قبل بلوغ العقوبة حدها ، فاستقبله بلاء من وجه آخر أشد من الأول ، وما ثم انفع لمن كان فى ضيق من الاستغفار ويذكر ذنوبه التى فعلها طول عمره ، والتوبة منها . فأعلم ذلك واعرض هذا الخلق على أهل زمانك تعرف حالهم ولاتنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(٣٧) من أخلاقهم رجوعهم باللوم على أنفسهم إذا ظلمهم ظالم ، ولا يدعون على من ظلمهم بل يرون الفضل لله تعالى الذى سلط عليهم ذلك الظالم ليكفر عنهم سيئاتهم ، كمن استحق النار فصولح بالرماد وذلك لأنه تعالى لا يعذب ابتداء وإنما يعذب جزاء كما جرت عليه به عادته تعالى فى الدنيا ، وقال تعالى : «وما أصابتكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير» .

فأعلم[٣] أن كل مريد اشتغل بمقابلة من أذاه ولو بالدعاء عليه فما عنده من الصدق رائحة[٤] لأن من شأن المريد الصادق أن يشكر الله تعالى على كل ما قدر ويستغفره من حيث كسبه للمعاص وأن وقع له مأخذة وعقوبة على ذنوبه ، لا يرى أن تلك المأخذة كفرت[٥] عن سيئاته[٦] كلها وإنما كفرت البعض ، وأنه يستحق زيادة العقوبة فى الدنيا والآخرة ، بل يصير هو يسأل زيادة العقوبة لنفسه ايثار الجناب

---

(١) فى الأصل (الامناء) .
(٢) فى الأصل (بهايمهم) .
(٣) فى الأصل (فعلم) .
(٤) فى الأصل (رايحه) .
(٥) فى الأصل (كفرة) .
(٦) فى الأصل (سياته) .

الحق على نفسه وتعجيلا للتطهير فمثل هذا غيابا عن شهود أن أحدا ظلمه من الخلق كما هو حال العاصى مع الزبانية يوم القيامة ، فلا يرى أن أحدا منهم ظلمه ولا يسمى ظالما ، وهذا الحال الذى تميز به القوم فى هذه الدار على غيرهم ، فأعرض يا أخى هذا الخلق على غالب مريدى زمانك تعرف عدم صدقهم ، بل رأيت شخصا أذن له شيخه فى أنه يسلك المريدين ويرشدهم اشتكى من اغتابه إلى[١] بيت الوالى وغرمه دراهم ، وإذا كان هذا حال من أذن له شيخه أن يسلك الناس فكيف يغيره ، فاعلم ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين ..

(٣٨) ومن أخلاقهم محبتهم لمجاورة الجار السوء ، وذلك ليتعلموا بعشرتهم الحلم عليهم إذا خالفوا أغراضهم ، ويحوزوا الأجر بالصبر عليهم ويحفظوا غيرهم من الوقوع فى الاثم بسببهم ، ممن لا صبر[٢] عنده ولا حلم ، وهذا ما درج عليه المريدون الصادقون خلاف ما عليه الكاذبون وكان مالك بن دينار يشترى الرقيق الذى يخالف سيده والدابة الشموص ، ويتزوج المرأة السوء ، ويقول انهم يذكروننى بحلم الله تعالى على ، فأحلم عليهم تخلقا بأخلاق الله تعالى فإنه يحلم على ليلا ونهارا وانا سابح فى ميدان المخالفات والغفلات ، ولو أخذنى لأهلكنى ثم لم يظلمنى شيئا[٣] ، وكان إذا بالغ عبده فى مخالفة أغراضه يقول ما اشبهك بمالك مع مولاه جل وعلا ، فاعلم ذلك واعرض هذا الخلق على مريدى زمانك تعرف حالهم ولاتنسى نفسك والحمد لله رب العالمين ..

(٣٩) ومن أخلاقهم أن لا يدعو[٤] أحدا من الأكابر إلى حضور ولائمهم إلا لغرض شرعى ، لاحظ للنفس فيه ، وأن أجاوهم عن

---

(١) فى الأصل (من) .
(٢) فى الأصل (لا صبرة) .
(٣) ورد كذلك فى الأصل (شيا) .
(٤) فى الأصل (لايدعوا) .

الدعاء[١] إلى مثل ذلك كان أفضل وأكثر أدبا ، وذلك أن المريد الصادق عمله دائما[٢] على ترك الشهرة ، ومحبة الخفاء ، وعدم إقامة الجاه فى قلوب الناس ، ودعاء المريد العلماء والأمراء[٣] إلى حضور وليمته مما يورث الشهرة والجاه فى قلوب الناس ، وذلك من أكبر أسباب الهلاك وربما راج أمر المريد عند الأمراء والأكابر وعظموه أكثر من شيخه فأعجبه ذلك وغاب عنه أن شيخه لو أراد أقبال الخلق عليه لأقبلوا ولكنه دفعهم بقلبه وهرب من تحمل منّهم فى حضورهم عنده ، والصادق هو من يدفع الأمور المشغلة عن الله تعالى بقلبه من غير لفظ ، حتى ربما سأل الأكابر فى الحضور ، ويقبل تعالهم بحضرة[٤] أقربائه فلم يجبه أحد منهم وكان أخى أفضل الدين يفعل مثل ذلك اخمالا لذكره ، وكسرا لنفسه ، وهو دافعهم بقلبه هروبا من منتهم وقد كان سيدى محمد الشربينى[٥] رحمه الله تعالى يقول اللهم اجعلنا ممن تزهد فيه الدنيا ولا تجعلنا ممن يزهد هو فيها ، فقيل له فى ذلك فقال إنما تزهد الدنيا فى العبد لعدم وجود محل فى قلبه يقيم فيه فقيل له فى ذلك فهو ولو قدر أنه طلبها لاتجبه إلى مجيئها إليه ، خلاف من يزهد هو فيها ، فقد يكون لعلة دنيوية أو آخروية انتهى ... فأعلم ذلك واعرض هذا الخلق على المريدين من أهل الزمان تعرف حالهم ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(٤٠) ومن أخلاقهم محبة رفع كل أحد من أقرانهم فوقهم فى الدين والصلاح والعلم ، فضلا عن كونهم يتكدرون معه لشدة محبتهم

---

(١) فى الأصل (الدعا) .
(٢) فى الأصل (دايما) .
(٣) فى الأصل (العلماء والامراء) .
(٤) فى الأصل (حضرت) .
(٥) من أساتذة الشعرانى وذكره فى طبقاته .

الخير لجميع أقرانهم وزهدهم فى الدنيا ، فلذلك كانوا يحبون رفعة أقرانهم عليهم ، ولا يغفلون عن الدعاء لهم ، بأن يحفظهم الله تعالى من آفات الرفعة والشهرة بالصلاح والخير ، وهذا الخلق قد قل المتخلقون به من المريدين فهو من أجل أخلاقهم ، وربما ادعاه أحدهم علما من غير ذوق ، فينبغى على اخوانه امتحانه لله تعالى ليظهروا المكذب ، فيستغفر الله تعالى من الدعاوى الكاذبة ، وذلك بأن يمدحوا أحدا من أقرانه على غفلة ويبالغ فى وصفه بالزهد والصلاح ، فإن انشرح ذلك المدعى لذلك : وظهرت امارات السرور على وجه ، فهو صادق وأن انقبض وعبس فهو كاذب ، فتنبه يا أخى لذلك ، واعرضه على نفسك تعرف صدقها من كذبها والحمد لله رب العالمين ..

(٤١) ومن أخلاقهم أن يقدر[١] العلماء العاملين بأنفسهم فى كل مكروه نالهم ، فإذا بلغهم أن أحدا من المقاريضين ينقص أحدا من العلماء يود أن لو كان ذلك التنقيص وقع له هو دون العالم ، وذلك أن العلماء حملة الشريعة وتنقيصهم بين الناس يقلل الرغبة فى امتثال أمرهم بأحكام الشريعة إذا وقع من الناس التعدى هكذا حال المريدين لأنهم لم يشتهروا بحمل الشريعة كما اشتهر به العلماء وهذا الخلق قل من يتخلق الآن من المريدين به[٢] بل رأيت بعضهم يفرح بتجريح العلماء خوفا أن يعلوه فى الجاه والصيت ، ومثل هذا لا يفلح ولو عبد الله تعالى عمر نوح عليه الصلاة والسلام ، لأن عبادته إنما هى بحظ نفس وما جعل الله الفلاح والنجاح إلا فى العمل الخالص الذى ابتغى به وجهه تعالى ، فاعرض يا أخى هذا الخلق على نفسك وعلى من ادعاه من أقرانك واشكر الله واستغفر الله من تقصيرك فى حق العلماء والحمد لله رب العالمين .

---

(١) هكذا فى الأصل والمقصود أن يفتدوا العلماء .

(٢) «به» زيادة عن الأصل ليستقيم المعنى .

(٤٢) ومن أخلاقهم شدة كراهيتهم وزجرهم لمن ينقل إليهم نقائص الناس لا سيما أن كان من فقراء الزاوية فربما ألقى ابليس بينهم النميمة حتى خربت الزاوية ، اللهم إلا أن يحكى ذلك الناقل النقص للشيخ ليؤدب من يستحق التأديب فهذا لا بأس به ، بل وبما[(١)] وجب بخلاف نقل النميمة للمريدين من الضعفاء الذين لا يتحملون الكلام فى حقهم ، فافهم ذلك واعرض هذا الخلق على فقراء الزاوية تجد لا يسلم من النميمة منهم إلا القليل ، وهو من أكبر طريق لتشويش القلوب وتنافرها ، وذلك موجب لزوال النعمة عن أهل الزاوية فتبطل أورادهم أو يصير أحدهم يتكلف لها مع شغل القلب بالحقد والحسد ، حتى يتمنى كل واحد زوال نعمة أخيه فيجازى بمثل ذلك فتتحول النعمة عنهم كلهم ؛ فاعلم ذلك ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(٤٣) ومن أخلاقهم مسامحتهم لكل من اغتابهم فى حياتهم وبعد مماتهم مما بلغهم ومما يبلغهم حتى السامعين المصدقين على الغيبة ، لا سيما المقاريض فان حكمهم ـ لآخرة حكم من أربكته[(٢)] الديون من سائر الخلق وداروا حوله يطلبون منه ديونهم مع أفلاسه ، ومثل هذا ينبغى لكل من عنده طرف من الفتوة أن يسامحه بدينه رحمة به ، فانه أهل بلاء وقد قال ﷺ «أرحموا أهل البلاء»[(٣)] . وقال سيدى الأمام النووى رحمه الله عن شخص مشهور بالفتوة وله دين على معسر فضيق عليه فى الطلب فهل يقدح ذلك فى فتوته ؟ فقال : نعم يقدح ذلك فى فتوته .. انتهى ، وأهل الله تعالى كلهم فتيان أهل مروءة وإنما

---

(١) الواو زيادة عن الأصل .

(٢) فى الأصل (ارتكبته) .

(٣) ذكره السيوطى مع تغيير فى اللفظ .

يسامحون من اغتابهم من غير علمهم أو بعد موتهم مبالغة فى الرحمة ، ولعلمهم أن الله يأخذ لهم حقهم منهم سواء بلغوهم أم لم يبلغهم لأنهم وإن لم يكونوا يعلمونها فالله يعلمها ، فأحتاطوا لأخيهم المسلم وسامحوه فيما يقع فيه بعد موتهم من الغيبة ليحوزوا بذلك الأجر ، ويريحوا أخاهم من الوقوف من أجلهم للحساب ، فأعرض يا أخى هذا الخلق على مريدى زمانك ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين ..

(٤٤) ومن أخلاقهم شفاعتهم عند الحق سبحانه وتعالى فى كل من أذاهم بغيبة أو غيرها فى دار الدنيا بعد مسامحتهم له خوفا أن لا يكون الحق تبارك وتعالى قبل مسامحتهم له فيسألون الله تعالى أن لا يؤاخذه من جهتهم ، وأن يعفوا عنه من حيث تعديه حدود الله تعالى بالإذن لعباده من غير طريق شرعى ، فان لكل معصية حقين حق الله وحق لعباده ، فمسامحة العبد إنما هى فى حقه دون حق الله تعالى ، وهذا الخلق من أحسن أخلاق المريدين فأعرضه على مريدى زمانك تعرف حالهم ولا تنسى نفسك فان من سامح سومح ، ومن شاحح شوحح ، والحمد لله رب العالمين ..

(٤٥) ومن أخلاقهم مسامحتهم لجميع هذه الأمة المحمدية فى كل حق لهم عليهم ، ولا يطالبون أحدا منهم بحق فى الدارين ولو جاءوا يوم القيامة فقراء من الحسنات ، كل ذلك اكراما لعباد الله من حيث كونهم عبيده تعالى ثم اكراما لمحمد ﷺ من حيث كونهم أمته ، لا لعلة أخرى من طلب ثواب أو غيره فان عبيد الثواب معدو دون من الاناث[١] المحبين للحلية والزينة بين العباد ، وأهل الله تعالى فحول لا يطلبون سواه ولا يؤملون إلا اياه ، ولا يرون لهم معه ملكا فى الدارين وجميع ما يعطيه لهم يخرجون عنه إليه تعالى فورا ، ولا يثبتون لهم إلا

---

(١) فى الأصل الاناث والمقصود الاناث جمع أنثى .

بقدر تحقق نسبة العطاء لهم[١] وذلك ليظهروا كرم الله سبحانه وتعالى عليهم لا غير ، فسواء[٢] أعطاهم الدنيا والآخرة أو منعهم منهما هو عندهم سواء ، لشهودهم الملك فى ذلك لله تعالى لا لهم فهم يأكلون ويلبسون فى الدارين من مال سيدهم ، ويسكنون فى داره[٣] صدقة منه عليهم من غير شهود استحقاقهم لشئ من ذلك فاعلم أن من عفى عن من ظلمه لطلب الأجر والثواب ، فهو لم يشم من طريق الأدب مع الله تعالى رائحة ، فاعرض هذا الخلق على مريدى عصرك تعرف مقامهم ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين ..

(٤٦) ومن أخلاقهم الأكثار من مراقبة الله عز وجل بقلوبهم فى جميع حركاتهم وسكناتهم على حكم مصطلح المتصوفة شيئا فشيئا ، فلايزال أحدهم يتدرج فى المراقبة من درجة إلى درجتين إلى ثلاث أو أربع إلى عشر الليل أو النهار إلى خُمسه إلى ربعه إلى ثلثه إلى نصفه إلى ثلاثة ارباعه إلى أن لا يصير له ساعة غفلة عن الله تعالى إلا بقدر ما يسامح فيه البشر ، إذ مراقبة الله تعالى مع الأنفاس ليست من مقدور البشر عامة وإنما ذلك من مقام الملائكة[٤] والأنبياء عليهم الصلاة والسلام وكمل ورثتهم ، وإنما قلنا آنفا على حكم مصطلح المتصوفة ولم نقل الصوفية لأن الصوفية هم كمل العارفين ، وكل من عرف الله تعالى عرف أنه لا تصح له مراقبة حقيقة ، لأن المراقب ما راقب إلا ما لا أقامه الله فيه بنفسه تحلية[٥] ، وتعالى الله عن ذلك عند العارفين ، فهم مع نظر الله تعالى المحقق إليهم لا مع نظرهم المتوهم ،

---

(١) فى الأصل (العطا) .

(٢) فى الأصل غير واضحة .

(٣) يقصد الله تعالى .

(٤) فى الأصل كذلك «ما راقب إلا ما لا أقامة الله فيه بنفسه تحلية» .

(٥) حديث متواتر .

وقد أشار في الحديث إلى مقام المتصوفة والصوفية بقوله «أعبد الله كأنك تراه»[١] وهذه درجة التعليم ثم يترقى منها إلى درجة الخواص وهو أن يعلم ان الله يراه دون أن يراه هو وهذا أكمل في التنزيه . وفي بعض الهواتف الربانية يقول الله عز وجل : «إذا كان كل شيء خطر ببال العبد فأنا بخاطره فكيف تصح له مراقبتي»[٢] .

انتهى .. فأعلم ذلك واعرض هذا الخلق على مريدى زمانك تعرف حالهم ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين ..

(٤٧) ومن أخلاقهم أن يكون أحدهم محتاطا لنفسه فلا يدخل في عهد شيخ حتى يتوب من سائر الذنوب الظاهرة والباطنة ، فان كل من بقيت عليه بقية من حقوق الناس أو حقوق الله تعالى ، فبعيد عليه أن يحصل على طائل[٣] ، ولو كان شيخه من أكبر العارفين ومن هنا كان الشيخ الحاذق لا يدخل العهد على مريد إلا بعد توبته ، ورد المظالم إلى أهلها ، فان غالب المريدين لا يهتدون لهذه التوبة ويعتمدون على شيخهم فيدخلون عليه التعب ، وهذا من باب قوله ﷺ لمن سأله مرافقته في الجنة :

«أعني على نفسك بكثرة السجود»[٤] .

فحوله ﷺ عن الركون إليه جملة ، وأمره بمساعدته على تحصيل ما يريده ، وهذا الخلق قد قل من يوفي به من مريدى هذا الزمان ، فلا المريد يحتاط لنفسه ويتوب قبل أن يدخل في العهد خوفا أن يلعب بالطريق ، ولا الشيخ نفسه يسأل المريد عن شروط التوبة لا سيما ان

---

(١) حديث متواتر .
(٢) حديث صحيح .
(٣) في الأصل (طايل) .
(٤) حديث صحيح .

كان الذى يأخذ العهد جلس بنفسه من غير إذن من شيخ الغالب عليه التلبيس على نفسه وغيره ، فلينتبه[١] لذلك والحمد لله رب العالمين .

(٤٨) ومن أخلاقهم شدة اقبال أحدهم[٢] على الاشتغال بعلاج نفسه ورياضتها دون الاشتغال بعلاج غيره ، لأن هذه إنما هى وظيفة الأشياخ أما المريدون فمن الأدب اقبالهم على ما يتعلق بنفوسهم دون غيرهم ، وهذه مكيدة لا يتنبه لها غالب المريدين فيصير يشارك[٣] اخوانه بالموعظة والارشاد ، وهو نفسه لم يتخلق بذلك وقد أجمع الأشياخ على أن المريد لا ينبغى له أن يكون مؤدبا للأطفال ، خوفا أن يسرقه حب الرياسة ، فلا يصير يفلح على يد أحد ، وكذلك لا ينبغى للمريد أن يكون خطيبا ولا واعظا ولا مدرسا إلا أن أذن له شيخه فى ذلك ، وأمن عليه من الاعجاب والكبر ، وقد كثر هذا الأمر فى مريدى هذا الزمان حتى ربما ادعى أحدهم أنه أعلم من شيخه لا سيما أن كان عنده علم من طرف العربية وسار يرد على شيخه اللحن فانه يتلف بالكلية ، وقد صلى جماعة من الفقهاء خلف حبيب العجمى[٤] ثم اعادوا الصلاة وقالوا أنه يلحن فلما فارقوه لقيهم السبع فأراد أن يأكلهم ففروا راجعين إلى الشيخ فخرج معهم إلى السبع فمسكه وعرك أذنه . فولى السبع وقال له ، أما قلت لك مرات لا تتعرض لضيفانى ثم قال لهم اشتغلتم بتقويم اللسان فخفتم من الأسد وأشتغلنا بتقويم القلب فخافنا الأسد انتهى .. وكذلك وقع لسيد ابراهيم المتولى رضى الله عنه

---

(١) هذا فى الأصل .

(٢) فى الأصل اقبالهم لاحدهم .

(٣) فى الأصل (يشارق) .

(٤) يظهر من السياق أنه حبيب المجذوب الذى ذكرته كتب الطبقات وهو فى زمن الشعرانى وكان يقول على الشواش حبيب حية رقطاء ولا كرامة له إلا فى أذى الناس وهو مدفون بباب الشعرية بالقاهرة .

أنه صلى ، ووراه فقيه فى صلاة المغرب فتخيل له أن الشيخ يلحن فنوى المفارقة فلما سلم الشيخ قال له : يا فقيه اللقمه الكبيرة تقف فى الحلق فشهد تلك الليلة زورا ، وأخذ عشرين دينارا ممن شهد له ، فحرسوه وعزله السلطان قايتباى عزلا مؤبدا إلى أن مات انتهى .. وكذلك وقع الشيخ على المحلى أن شخصا من أهل دمياط صلى خلفه ، فلم تعجبه قراءاته ، فلما سلم أنكر عليه وقال للشيخ : ايش مذهبك ؟ فقال حنشى فازداد انكاره على الشيخ ، وقال : هذا لا يعرف اسم مذهبه فقال له : قل حنفى ، فقال : بل حنشى ، فقال . ما معناه ، فقال : أن أنفخ عليك فتموت فنفخ عليه من بعيد فوقع ميتا ، والحكايات فى ذلك كثيرة ، فاعلم ذلك واعرضه على مريدى زمانك ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(٤٩) ومن أخلاقهم أن يكثر أحدهم من مراقبة شيخه[١] حتى يصير مشهود له على الدوام ليلا ونهارا حتى انه لايتكلم حتى يستأذنه بقلبه ، ولا يسكت من ذكر أو علم حتى يستأذنه كذلك ، وهذا من أعظم أخلاقهم ومن لم يكن كذلك فبعيد عليه أن يترقى إلى مراقبة ربه عز وجل ، وهذا الأدب واجب على المريد مادام يجهل ربه ، فاذا عرف ربه المعرفة المشهودة بين القوم صار هذا الأدب مستحبا فى حقه ، لأنه حينئذ يجد معية الحق تعالى سارية مع جميع الوجود ، فما من موجود إلا والحق تعالى معه ، يمده بالوجود والإنخفاض والصعود ، فاعلم ذلك واعرض هذا الخلق على مريدى عصرك تعرف مقامهم ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين ..

(٥٠) ومن أخلاقهم مخالفة أحدهم هوى نفسه على الدوام ما لم يكن له شيخ فان كان له شيخ فهو تحت اشارته وليس له العمل بهواه

---

(١) هذا الخلق فى جميع الطرق .

مادام تحت يده ، فإذا خرج من تحت يده ، رجع إلى الميزان كان له قبل دخوله فى يد الشيخ ، فإذا أعجبته زوجته طلقها ، أو جوخته تصدق بها ، أو عمامته أهداها ، أو وظيفته أو خلوته أسقط حقه منها ، أو ماله خرج عنه للفقراء[١] ، كل ذلك احتياطيا لنفسه خوفا أن يشغله عن ربه فيستحق المقت ، وهذه هى طريق المحبين لله عز وجل الذين تطوى لهم منازل الطريق ، وأما من أقام مع زوجته التى تشغله عن ربه عز وجل ، أو أعجب بشئ من أحواله ، فهو كاذب فى محبة ربه عز وجل ويطاول[٢] تعبه وتعب شيخه فيه ، فاعرض يا أخى هذا الخلق على مريدى عصرك تعرف صدقهم أو كذبهم ولا تنس نفسك والحمد لله رب العالمين ..

(٥١) ومن أخلاقهم حفظ أحدهم قلبه مع شيخه من حين يدخل فى عهده إلى أن يموت لا يدبر عن محبته طرفة عين ، ولو هجره أو طرده لا يحول عنه أبدا ، فان الاعراض عن الشيخ كالردة من آداب الطريق ، وقد قال شيخ أهل الطريق أبوالقاسم الجنيد رضى الله عنه ، لو قبل عارف على ربه عز وجل ألف سنة ثم أدبر عنه لحظة كان ما فاته فى[٣] تلك اللحظة أكثر مما ناله قبلها انتهى .. وكذلك القول فى الأدبار عن الشيخ لأنه مرتبة ادمان[٤] دون الله عز وجل ، فمن تم اقباله على شيخه فقد استحق الترقى إلى مقام الاقبال على ربه ، ومن لا ، فلا فإياك يا أخى أن تتكدر من شيخك إذا طردك عن بابه بغير طريق تعرفها أنت ، وتصير تحقد فى قلبك على شيخك ، أو تشكوه فى نفسك،

---

(١) فى الأصل الفقراء .

(٢) هكذا فى الأصل .

(٣) (فى) زيادة عن الأصل ليستقيم المعنى .

(٤) ادمان هذا فى الأصل .

فلا عن الناس الأجانب وفضلا عن أعداء الشيخ ، فانك تمقت مقتا لا تفلح بعده أبداً كما وقع ذلك لبعض من يدعى أنه من جماعتنا فاعلم ذلك وأعرض هذا الخلق على مريدى زمانك ولا تنس نفسك والحمد لله رب العالمين ..

(٥٢) ومن أخلاقهم أن لا يجعل أحدهم نفسه شيخاً له مع شيخه فيصير يعرض عليها كل شئ أمره به الشيخ أو نهاه عنه كالمستشير لها هل أوافق شيخى فى ذلك أم أخالفه وقد أجمع الأشياخ على أن من لم يبادر إلى امتثال أمر شيخه أو نهيه فورا فيفعل ما أمره به وينتهى عما نهاه عنه من غير تهاون ولا ترو فيه فهو مخدوع لا يجئ منه شئ فى طريق أهل الله عز وجل وقد قال الأشياخ لا يجوز لمريد أن يكون له شيخانلأن أمر الطريق مبنى على التوحيد فكما أنه لم يكن وجود العالم عن الهين ولا التكليف بين رسولين ولا المرأة بين زوجين فكذلك المريد لا يكون بين شيخين ، وينبغى أن يستثنى من كلامهم رسالة موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام فان تكليف قومهما كان بين رسولين بنص القرآن ثم أن كلامنا إنما هو فى حق الشيخ الحقيقى والمريد الحقيقى ومن لم تجتمع فيه الشروط منهما فلا حرج عليه فى اتخاذه عدة أشياخ يرشدونه إلى الخير كما كان عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين نعلم أن كل من مال عن قول شيخه الحقيقى إلى قول نفسه أو قول غير شيخه سرا أو جهرا فهو كاذب فى محبته الطريق لايجئ منه شئ فاعرض يا أخى هذا الخلق على مريدى زمانك تعرف هل وافق به أم لا ولاتنسى نفسك والحمد لله رب العالمين.

(٥٣) ومن أخلاقهم أن يكون أحدهم أبعد الناس عن الوقوع فى خرق اجماع أهل الطريق لأن الاجماع كنص الشريعة على حد سواء وهو لما لم يجمعوا عليه أشد تهاونا وقد أجمعوا على أن ترك العبد فضول الدنيا محمود فى جميع الملل فلو كان الفضول فى يده يخرج

عنه وإن لم يكن فى يده لا يسعى فى تحصيله وما أمر الله الناس بالاكتساب الا ليكفوا به نفوسهم عن سؤال الناس بشرط أن لا يشغلهم عن عبادة ربهم كما قال تعالى فى حق الكمل مادحا لهم «رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وأقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار» الآية فمن الهته الدنيا عن ذكر الله تعالى وما ذكر معه فطلبه للدنيا مذموم وليس له فى الرجولية نصيب وقد نقل الشيخ محى الدين[١] فى الفتوحات اجماع جميع الملل على ذم محبة الدنيا فقال اجمع أهل كل ملة على أن الزهد فى الدنيا مطلوب وان اخراج العبد من يده ما زاد عن حاجة[٢] يومه وليلته محمود عند الله تعالى ورسله وصالح المؤمنين انتهى ، فاعرض يا أخى هذا الخلق على مريدى عصرك هل وفوا به أم لا تعرف حالهم ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(٥٤) ومن أخلاقهم أن يرتكب أحدهم أثقل الأمرين أو الأمور على النفس فانه لا يشتد عليها إلا ما هو الخير لصاحبها وذلك لأنها تطلب أن لا تدخل تحت أمور بها أبدا وذلك لسر لا يذكر إلا مشافهة لأهله ، وفى بعض الكتب الالهية أن الله أوقف النفس بين يديه بعد أن خلقها وقال لها من أنا فقالت له تعالى أنت أنت وأنا أنا فغمسها الحق جل وعلا فى بحر الجوع والبلاء خمسة آلاف سنة ثم قال لها من أنا فقالت له أنت ربى لا إله إلا أنت انتهى .. ثم لا يخفى عليك ، يا أخى أن ذلك شأنها مادامت تسمى نفسا فإذا انجلت وصارت روحا أو قلبا أو سرا فهناك لا يصح منها أن تأمر صاحبها إلا بخير سواء أخف عليها أم ثقل وايضاح ذلك أن النفس حيث أطلقت فى كلام القوم

---

(١) الشيخ الأكبر محى الدين بن عربى أو بن العربى صاحب الفتوحات المكية .

(٢) فى الأصل حاجته يومه .

فالمراد بها المحجوبة عن حضرة الله تعالى برعوناتها البشرية وهى المرادة فى هذا الخلق فإذا انجلت زالت حجبها وصارت ملكية فيجب على صاحبها موافقتها لكونها صارت لا تأمره إلا بما يأمره به ربها عز وجل كما هو مشهور بين أهل الكشف فاعرض يا أخى هذا الخلق على مريدى زمانك تعرف مقامهم حتى لا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(٥٥) ومن أخلاقهم أن يحن أحدهم إلى غروب الشمس ودخول الليل كما تحن الوالدة إلى الاجتماع بولدها بعد غيبته الطويلة أو كما يحن العطشان الذى أشرف على الهلاك إلى الماء وذلك لأن الله تعالى جعل النهار للمعاش وللاجتماع بالناس وجعل الليل لمحادثته ومناجاته والسهر معه وهذا دأب المريد مادام سالكا فإذا بلغ درجة الكمال تساوى عنده الليل والنهار فى الحضور مع الله وصار لا يشغله عن الله شاغل ويحن إلى كل وقت من ليل أو نهار فعلم أن كل مريد لم يحن إلى دخول الليل لاجل السهر فى العبادة فهو كاذب فى دعواه الإدارة وفى بعض الكتب الالهية يا عبدى جعلت النهار لمعاشك وجعلت الليل للسهر معى فاشتغلت عنى بالنهار ونمت عنى بالليل فخسرت مجالستى فى الدارين انتهى . لأن العبد لا يجالس ربه فى الآخرة إلا فى مثل الوقت الذى جالسه فيه فى دار الدنيا غير أن مدة مجالسة العبد لربه فى الآخرة أطول زمنا فعلم أن مثل مجالسة العبد ربه فى الدنيا كالنواة التى تنبت منها النجم والشجر وعلم أن كل ساعة لم يجالس العبد فيها ربه فى الدنيا فلاحظ له فى مجالسته فى الآخرة وإن كل من جالسه مقدار درجة مثلا امتدت له مجالسته تعالى فى الآخرة بقدر همته وعزمه فى دار الدنيا هكذا ذكره أهل الكشف ويؤيده قوله تعالى: "إنما تجزون ما كنتم تعملون ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون" ونحوهما من الآيات وقد يتفضل الله تعالى على بعض عباده بالمجالسة له فى

وقت لم يكن جالسه فيه فى الدنيا لأنها دار خرق فيها العوايد فاعلم ذلك وأعرض يا أخى هذا الخلق على مريدى زمانك تعرف مقامهم ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين ..

(٥٦) ومن أخلاقهم أن يتقيد أحدهم بظاهر الكتاب والسنة ولا يتزين برأى لم يجد له دليلا ولا يدعو بدعاء مخترع بصلاته(١) قط لأنها حضرة الله تعالى وحضره رسوله ﷺ وقد ورد فى السنة ما يغنى العبد عن الادعية المخترعة فلا ينبغى لأحد مزاحمة(٢) الشارع فى التشريع فيكون مبتدعا بحضرته مع قدرته على الوصول إلى اتباعه بحفظ أدعيته المأثورة عنه وكل من تأمل أن المخترعين للأدعية(٣) فيما ورد عن رسول الله ﷺ وجده أعم وأكمل من كل شئ اخترعه هو لأن دائرة علمه ﷺ باحكامه أوسع الدوائر فجميع الأنبياء والأئمة محبوسة فى دائرته ﷺ وأيضا فان الدعاء بما ورد مرجو الإجابة لأن الله تعالى ما أمرنا بالدعاء إلا لأنه يريد بخلاف الدعاء الذى اخترعناه فقد لا يجيبنا الحق فيه لاختراعنا(٤) وسوء أدبنا مع رسوله ﷺ بعد أن علمنا قوله ﷺ ما تركت شيئا بقربكم إلى الله إلا وقد أمرتكم به ولا تركت شيئا يبعدكم عن الله إلا وقد نهيتكم عنه ، انتهى .. فعلم أن كل مريد تقيد فى أعماله وأقواله وعقائده على الكتاب والسنة فهو أسرع فى سيره إلى حضرة ربه ومن هنا طالت الطريق غالبا على المريدين وماتوا ولم يصلوا إلى مقامات الكمال لسلوكهم بالآراء والبدع فاعلم ذلك وأعرضه على مريدى عصرك تعرف حالهم ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

---

(١) بقصد بصلاته بالحق تعالى .

(٢) مزاحمة مطموسة .

(٣) فلادعية مطموسة .

(٤) مطموسة وظاهر من السياق أنها لاختراعنا وسوء أدبنا .

(٥٧) ومن أخلاقهم ألا يتعاطى أحدهم أسباب الشهرة ولو بميل نفسه إليها حتى أن بعض الصادقين لما طفح النور على وجهه من كثرة الأعمال الخالصة وتميز بذلك بين الأقران سأل الله تعالى فى سجوده أن يحول ذلك النور من وجهه إلى قلبه فحوله الله تعالى فى الوقت لموضع صدقه ومما وقع انى كنت جالسا عند سيدى على الخواص[١] رحمه الله تعالى فمر علينا رجل والنور طافح من وجهه فقلت للشيخ انظر ياسيدى شدة هذا النور الذى على وجه هذا الرجل فنظر إليه وقال اللهم اكفنا السوء فقلت له كيف فقال ان الله إذا أراد بعبد خيرا جعل نوره فى قلبه ليعرف ما يأتى وما يذر من الأعمال وإذا أراد به سوءا جعل نوره على وجهه وعرا قلبه من النور فهو يقع فى كل محظور ولا يهتدى لتركه فقلت له فان جعل الله النور على وجهه من غير واسطة ميل إلى ذلك فقال أن العبد لا يأتيه شئ من خير وشر إلا مع مقدمات النفس إلى ذلك ومن هنا وقع التكليف وسمعت سيدى على الخواص رحمه الله يقول أيضا من شأن المريد الصادق أن يدفع أسباب الشهرة عنه بالقلب فلا يظهر على وجهه قط نورا ولا يقبل أحد يده فضلا عن رجله والكاذب يقبل ذلك فعلم أن العبد لو حقق النظر فى كل ما يقع على يده لوجده إنما يصل بواسطة محرم يقبل عليه[٢] ، فاعلم ذلك واعرض يا أخى هذا الخلق على اخوانك تعرف حالهم ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين ..

(٥٨) ومن أخلاقهم أخذهم بعزائم[٣] الشريعة ولايزالون[٤] لرخصها إلا عند الضرورة وذلك لأن الرخص إنما جعلت للضعفاء من

---

(١) هو استاذ الشعرانى وقوله اننى كنت جالسا عند سيدى على الخواص تأكيد نسبة هذه المخطوط إلى الشعرانى .

(٢) فى الأصل (إليه) .

(٣) فى الأصل غير واضحة وظاهر أنها بعزائم وكما يظهر فى السياق .

(٤) فى الأصل (يزالون) .

القوم وأصحاب الأشغال الشاقة ، وأما الفقراء فليس لهم إلا الأشتغال بالله تعالى وقد أجمعوا أن الفقير إذا انحط من عزائم الشريعة إلى رخصها فقد فسخ عهد شيخه الذى كان عاهده عليه من اقتحام الشدائد لأن المحب للعبادة لا يصرفه عنها صارف ولا ترده عنها السيوف والمتالف كالجهاد فى سبيل الله على حد سواء واعلم أن المريد متى أكل أو لبس مما فيه شبهة مثلا كطعام المباشرين وأعوان الظلم من غير ضرورة فهو بطال لا يجئ منه شئ فى الطريق فلينفض شيخه يده منه فاعلم ذلك واعرض هذا الخلق على مريدى أهل عصرك تعرف حالهم ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين ..

(٥٩) ومن أخلاقهم أن يكتم أحدهم أعماله الصالحة من النوافل عن الناس ولا يظهر شيئا منها حتى يتمكن فى الطريق وقد أجمع الأشياخ كلهم على أن كل مريد أحب الظهور ونشر الصيت بين أقرانه فهو كاذب فى محبة طريق أهل الله تعالى والكاذب لا يصلح للطريق وقد أجمعوا على أن مريد بنى أمره على الكذب لا يصلح له أن يشم من الصدق رائحة كما أن من بنى أمره على الصدق فهو محفوظ من الدعاوى الكاذبة إلى أن يموت وذلك أن شجرة الكذب لا يمكن لفروعها أن تخرج عن أصولها وكان سيدى على الخواص رحمه الله يقول من أقوى سلاح الشيطان على المريد أن يتغير من الناس إذا اتهموه[١] فإذا فعل ذلك وقد أعطى الشيطان سلاحه الذى يقتله به وكفاه المؤنة انتهى . فعلم أن كل مريد رمى بفاحشة أو رياء أو زندقة وتغيرت منه شعرة[٢] فهو كاذب فى محبة أهل الطريق لأن الصادق لا يراعى إلا الله عز وجل ولا يلتفت إلى ذم الخلق ولا إلى مدحهم فاعرض يا أخى هذا الخلق على من يدعى الصدق من مريدى زمانك تعرف حالهم ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(١) مطموسة فى الأصل ووضعت ليستقيم السياق .

(٢) فى الأصل شعرت .

(٦٠) من أخلاقهم أن يعتنى أحدهم بالعبادة والاقبال على حضرة ربه بعد الصبح وبعد العصر أكثر من اعتنائه بما ذكر فى غير هذين الوقتين كما درج عليه الصادقون فكان أحدهم إذا صلى الصبح أو العصر يستمر فى العبادة إلى طلوع الشمس أو غروبها ولا يصير له التفات إلى شئ من أمور الدنيا وذلك لأن ملائكة النهار ينزلون من طلوع الفجر وملائكة الليل ينزلون من صلاة العصر فيجتمعون مع ملائكة الليل وملائكة النهار فيصير على العبد فى هاتين الوقتين للحظتين أربع من الملائكة يشهدون عليه عند الحاجة إذا وقع أنه كذب الملكين الموكلين به فى ليل أو نهار وهذا الخلق قل من يتنبه له المريدين بل بعضهم ربما كان فى هاتين يضحك ويلعب أو يتعاطى شيئا من المحرمات وذلك فى غاية سوء الأدب وقلة الحياء كمن يرسل الله تعالى له أربعة أملاك يأتون بصحيفته ليعرضوها على ربه فيرسل لربه ضحكا أو لعبا أو معاصى يستحى من ذكرها فضلا عن الوقوع فيها وقد ادكت سيدى محمد بن عنان وسيدى على الخواص رضى الله عنهما إذا صلى أحدهما[1] الصبح أو العصر يصير كأنه لا يعرف أحد من الخلق ولا يجيبه بكلمة لغو حتى تطلع الشمس ويصلى الضحى أو حتى[2] تغرب الشمس ويصلى المغرب وكانا يذكران أن ذلك شأنهما من حين كانا فى سن الصبا فاعرض يا أخى هذا الخلق على مريدى زمانك تعرف صدقهم أو كذبهم ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(٦١) ومن أخلاقهم مادام أحدهم قاصرا أن لا يتزوج غير واحدة ثم إذا ترقى فى المقام تزوج أخرى إن شاء ثم هكذا إلى الأربع وليس

---

(١) فى الأصل (أحدهم) .

(٢) فى الأصل أو ربما المقصود صلاة الصبح حتى شروق الشمس وهذا واضح من السياق

له التزوج بأكثر من واحدة إذا خاف على نفسه عدم القيام بالعدل بينهما أو بينهن لأن التزوج أكثر من واحدة إنما يكون لمن أحصن من نفسه الترقي إلى مقامات الرجال وشهود مشاهدهم ذوقا، لا يخاف عليه عدم العدل بين النساء لأنه حينئذ محفوظ بعناية الله من الزيغ لخروجه من حظ نفسه فإن الأكابر لا يتزوجون إلا لمحض رضى رسول الله ﷺ بامتثال أمره فى قوله تزوجوا الولود الودود فانى مكاثر بكم الأمم يوم القيامة فلا يتزوج اقتضاء شهوة نفسه من جماع أو حصول أولاد لأن ذلك إنما محله الدار الآخرة فإن أهل الجنة ينكحون لمجرد اللذة دون النسل وقد يكون يجعل الله تعالى مثل ذلك الخواص فى هذه الدار من غير أن ينقص لهم أجر فعلم أن من كان مشهده امتثال أمر رسول الله ﷺ بالتزوج بأكثر من واحدة فلا حرج عليه لأن مراعاة خاطر رسول الله ﷺ أولى من مراعاة خاطر امرأة قد تكون فاسقة لا تصلى لربها ركعة مع أن كل من تزوج لامتثال أمر الله تعالى دون حظ النفس محفوظ من الجور وعدم العدل بنص الحديث وهو قوله ﷺ فيما رواه البيهقى وغيره من تزوج لله كفى ووقى وذكر الشيخ محيى الدين فى الفتوحات[١] أن من شأن القطب الغوث محبة النكاح لما فيه من التحقق بالعجز الذى هو أكبر أوصاف العبودية ، فتراه يفنى العبد عن شهوة نفسه حال الوقاع ويقهره تحت الحجاب .. انتهى .

وهذا مشهد خاص بالأقطاب وقد يعطيه الله تعالى لمن شاء من عباده فعلم أيضا أنه ليس للمريد أن يتشبه فى ذلك بالأشياخ الذين يتزوجون فوق الواحدة لحفظهم من الجور دونه ، قالوا وليس فى قواطع الطريق قاطع أقوى[٢] من الجماع فربما يجامع أحدهم المرة الواحدة فتزده

---

(١) الفتوحات المكية للشيخ محيى الدين بن العربى .

(٢) فى الأصل (أقوا) .

تلك المرة إلى انزل من مقامه قبل دخول الطريق كما جرب فليكن المريد على حذر من كثرة الجماع فاعرض يا أخى هذا الخلق على مريدى عصرك تعرف حالهم ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(٦٢) ومن أخلاقهم أن لا ينام أحدهم فى بيت فيه جنب لقوله ﷺ لا تدخل الملائكة بيتا فيه جنب . انتهى ومعلوم أن الملائكة إذا لم تدخل ذلك البيت فهو مأوى الشياطين ، فينبغى للعبد إذا جامع واغتسل دون زوجته أن ينام فى مكان آخر إلا لضرورة شرعية ، وهذا خلق ما رأيت له ذائقا إلى وقتى هذا ، فاعمل به والحمد لله رب العالمين .

(٦٣) ومن أخلاقهم أن لا ينام أحدهم إلا عن غلبة لأن النوم بين يدى الله تعالى عبث يجر إلى المقت لعدم تعظيم حرمة ربه ، وإذا أطلع الله تعالى على قلب مريد ، فرأى فيه قلة التعظيم له ، يمقته ، لا سيما ان نام من غير غلبة واخوانهم مستيقظون مع الشيخ ، فإن ذلك يزيده مقتا فإن الإنسان ربما يكسل إذا رأى اخوانه نائمين فله رائحة عذر بخلاف ما إذا رآهم مستيقظين ، وربما نظر الشيخ إلى نومه عبثا فمقته ، غيرة لجناب الله عز وجل فلا يفلح بعدها أبدا ، فإن مقت الله تعالى أحق من مقت الشيخ لغلبة رحمة الله تعالى على غضبه فمقته مخلوط برحمة ولا هكذا مقت العبد لبعض الفاسقين لأنه لا يكاد يوجد فيه رحمة بل هو محض انتقام ، كما سيأتى ، ومن هنا يعلم معنى[١] قول أبى يزيد[٢] حين سمع قارئا يقول : «إن بطش ربك لشديد» ، فقال بطشـى أشـد مـن بطـش الله تعـالى أى بطـش الله مخلـوط برحمـة لأن

---

(١) فى الأصل (معنا) .

(٢) يقصد الشعرانى أبا يزيد البسطامى من كبار الصوفية قيل مات سنة احدى وستين ومائتين وقيل أربع وثلاثين ومائتين ومن أقواله «أخذتم علمكم ميتا عن ميت وأخذنا علمنا عن الحى الذى لا يموت» .

الربوبية لا تنتقم لنفسها ، ولا هكذا بطش العبد ، فإنه محض إنتقام لا يشوبه رحمة فتحمله الغيرة لله تعالى أن لا يكون له رحمة لمن عصاه ، كما هو مشاهد فى حق السلطان فربما قتل نفسا فى كلمة قالها إنسان فى حقه ولم يكتف بحبسه ونحوه ، فأقسم بالله انى لأغار لله تعالى فى ليلة الجمعة التى نحييها مع الاخوان وأمقت كل من رأيته نام من غاية التسبيح وأثر المقت على وجهه لا يخفى إلا على أعمى القلب كما فى أحد كل من رأيته سهرانا فأصير أمده بمددى إلى الصباح ، عكس من أمقته فإنى أمده بمقت بعد مقت إلى الصباح ، ويمشى الله تعالى الأمر فى كل من الشخصين ، وقد تناعس بعض الأخوان ليلة فوضعت يدى فى كفه كهيئة الذى يعد الدراهم فاستيقظ وطار النوم من عينيه وذلك لغلبة محبته الدنيا على محبة ربه فى قلبه ، وربما يقول أحدهم انى مغلوب فى محبتى للدنيا وتقديمها على الآخرة ، فنقول له ادخل فى يد المربى يوصلك إلى مقام يزول فيه حب الدنيا من قلبك ويسكن محبة الله عز وجل ، فإنه لا يبعد مع المربى مقام إنما يكون ذلك عند فقد المربى ، أو مع وجوده وعدم السماع لقوله ، واعرف جماعة يخادعون الله ويخادعوننى ويدعون النوم للعبه أوقات الذكر والخير وإذا عمل أحدهم مولدا أو عرسا يصير سهران تلك الليلة لا يأخذه نوم للقوة[1] الداعية إلى الدنيا وضعفها فى أعمال الآخرة ، فاعرض يا أخى هذا الخلق على مريدى عصرك تعرف صدقهم أو كذبهم ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(١٤) ومن أخلاقهم عدم تعلق أحدهم من وقوعه فى الشدائد التى تطرقه أوائل[2] دخوله فى الطريق ، فإنه لابد لأهل الله تعالى من وقوع

---

(١) فى الأصل (لقوة الداعية) .

(٢) فى الأصل (أوامل) .

ذلك لو شاءوا[١] أم أبوا ، لأنهم أهل دعوة لمحبة الله تعالى فى بدايتهم وكل مدع ممتحن ، فلايزال أحدهم يبتلى حتى تزول عنه جميع الدعاوى الظاهرة للناس ثم يبتلى من بعد ذلك من حيث سريرته فلايزال كذلك حتى يدخل الجنة ، هذا ما عليه عامة الصوفية ، وأما على مذهب المحققين فما من أحد إلا وهو مدع ولو ارتفعت درجته لأن الصفات البشرية ترق ولا تنقطع ، وما خرج عن ذلك إلا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وجميع ما ينالهم من الشدائد ، فليس هو من باب الامتحان وإنما هو ليقتدى بهم أممهم فافهم ، ثم أن أصل وقوع الشدائد للمريد فى بدايته إنما هو لبيان عزة الطريق وعز سلوكها على غالب الناس ، إذ هى طرف مع النفس والهوى والشدائد لأن الأصلح فيها جنيها فى الله تعالى ، وهذا يجعل النفس فى الحق على الدوام عليه إلا أن حفته العناية الربانية ، ولولا ذلك لكان غالب الناس أولياء ، وربما يلقن الولى نحو ثلاثين ألفا فلا يصح منهم إلا واحد والباقى لا يشمون من الطريق رائحة وإن تحلوا بملابس الفقراء كما شاهدنا ذلك فى الأشيخ الذين ادركناهم .

وكان سيدى محمد السرورى[٢] رحمه الله ، يقول : «لقنت لأكثر من ثلاثين ألفا فطلع منهم محمد الشناوى»[٣] . وسمعته مرة أخرى يقول : «لا يقع الامتحان إلا للصادق من المريدين واما المرائى فعمله حابط من أصله ولو عبد الله تعالى إلى يوم القيامة ، ومثل هذا قد كفى ابليس المؤنة فيستدل على صدق المريد بكثرة الابتلاء له فاعرف ذلك يا أخى

---

(١) فى الأصل (شاءوا) .

(٢) سيدى محمد السرورى : ذكره الشعرانى فى طبقاته وهو مشهور بأبى الحمائل وكان يتكلم إذا غلبه الحال بعدة لغات وقال عنه الشعرانى أنه كان مقبول الشفاعة [illegible] ودفن بزاويته بخط بين الصورين ٩٣٢هـ .

(٣) راجع المقدمة (شيوخه) .

ذلك على مريدى زمانك تعرف حالهم ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(٦٥) ومن أخلاقهم قبل أن يجد أحدهم الشيخ المعد لتربية المريدين أن يخالف نفسه ، فى كل ما تهواه حتى فى نوافل العبادات فإنها لا تستحلى عبادة إلا أن كان فيها حظ لها من رياء أو عجب أو تكبر ونحو ذلك وقد عمل بهذا الخلق بعض الرهبان فعرض على نفسه الإسلام فثقل عليها فخالفها واسلم ، فانشرح صدره بعد ذلك للإسلام وصار يضيق من صفات الصفار وخرج عن قولنا[1] قبل أن يجد الشيخ اما إذا (وجده)[2] فإنه يجب عليه الامتثال[3] بما يأمره شيخه سواء وافق هواه أو خالفه ، ثم لو قدر أنه نهاه عن عبادة فإنما ذلك لما رآه فيها من عدم الاخلاص وإن كان الشيخ حاذقا فهو يأمره بكثرة ذكر اسم الله تعالى والدوام على ذلك حتى يحصل الجلاء (من الرياء)[4] فى القلب ويصير يدرك الحق والباطل حتى لو خير بين نشره بالمناشير وبين الرياء فى عبادته لاختار النشر ولا يشرك بالله شيئا فى عبادته ، وقد أجمع الأشياخ كلهم على أنه ليس للقلب جلاء أسرع من جلاء الذكر (وجعلوه)[5] كالحصن للنحاس المصدى ، وجعلوا غيره من سائر العبادات كالصابون للنحاس فياطول تعبه وياطول زمن جلائه ، فعلم إن من طلب الطريق بتلاوة القرآن أو كثرة الصلاة مثلا ، فياطول تعبه لأن تلاوة القرآن والصلاة إنما هما من أوراد الكمل من الأولياء الذين عرفوا الله تعالى المعرفة المشهورة بين القوم ، وعلامة الكمال أن

---

(١) فى الأصل (بقولنا) .
(٢) فى الأصل (مطموسة) .
(٣) فى الأصل (مطموسة) .
(٤) وردت فى الأصل (مطموسة) .
(٥) المقصود (وجعلوا الذكر) .

تصير العلوم تخلع عليه فى كل تلاوة حال التلاوة ، ولا يحتاج فى استخراجها إلى تفكر حتى لو كرر الآية ألف مرة خلع عليه فى كل مرة علوم لم تخلع عليه قبل ذلك ، فمادام (التالى)[1] لا تخلع عليه العلوم فى كل مرة فاستعمال الذكر له أولى ، فاعلم ذلك واعرض هذا الخلق على مريدى عصرك تعرف حالهم ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(٦٦) ومن أخلاقهم أن لا يقيم أحدهم فى موضع يعتقده الناس فيه لأن ذلك سم قاتل له وهو لا يشعر وأيضا لا يعمل الأعمال (ليفوق بها)[2] على أقرانه لأن ذلك دليل على العجب وعدم الاخلاص ، وإنما يقيم فى موضع الانكار والاعتراض على أفعاله وأقواله حتى يتفحل ويبلغ مبالغ الرجال وفى ذلك من (الأدمان)[3] مالا يخفى على صادق ثم إذا اكتفى بعلم الله تعالى فيه وصان لا يلتفت لذم الخلق ولا مدحهم فله أدب آخر فيه مفصل ، ثم إن كثرة الاعتقاد فى العبد إنما هى تابعة لصدقه وعلو همته فإن المرائى الكسلان لا يعتقده أحد وهو يذل فى كل محل أقام فيه وكان سيدى محمد الشناوى رحمه الله يقول من صدق المرء إن يكون على عبادة للثقلين[4] ومع ذلك لا يعتقده أحد لدفعه الناس عنه لصدقه ، فان الناس ما إعتقدوا فى مريد إلا لعدم صدقه وميله إلى شكرهم له فى الباطن . قال تعالى : «وما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير»[5] . فاعرض ياأخى ماذكرناه على مريدى عصرك تعرف حالهم ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

---

(١) المقصود (من يتلو القرآن) .

(٢) كذا فى الأصل والظاهر من السياق (الأمان) .

(٣) فى الأصل (يفوق به) .

(٤) وردت فى الأصل عبارة اعتراضية تبدأ بـ (أقول هذا فى زماننا مفقود) وبقية العبارة مطموسة .

(٥) آيـه .

(٦٧) ومن أخلاقهم إذا كان أحدهم لا يجد في بلده من يربيه فله أن يسافر إلى من هو منصوب إلى تربية المريدين في عصره وإن كان بينه وبينه مسيرة سنة وأكثر لاسيما إن كان أحدهم مبتلى بشيء من الأمراض الظاهرة أو الباطنة ليخرجه من تلك البلية بحسن معرفته وسياسته وذلك كحب حدث أوجاه أو رياسة ، فإن كل ما لا يتوصل إلى الواجب إلا به ، فهو واجب وقد أجمع العلماء كلهم على وجوب علاج الأمراض الباطنة كالظاهرة من حيث مساواة لما ورد في ارتكابها من الوعيد الشديد ولا يتوانى في السفر إلى من يخرجه من ذلك إلا كل شقي مطرود عن حضرة ربه ، ممقوت . فاعرض يا أخي هذا الخلق على مريدي عصرك تجد أكثرهم مرتكبا جملة من الكبائر فضلا عن الصغائر ، وما منهم أحد يطلب دواءه ممن هو في بلده من المشايخ فضلا عن كونه يسافر إليه ولا تنسى أن تعرض ذلك على نفسك والحمد لله رب العالمين .

(٦٨) ومن أخلاقهم إذا سافر أحدهم لشيخ بقصد أن يأخذ عليه الطريق وقابله بالجفاء وعدم البشاشة فليصبر على ذلك ولا يرجع عنه بل يجب عليه (هذة)[1] الاعتناء به أكثر ، ويحمله على أنه إنما يفعل ذلك بيانا لمعرفة همة ذلك المريد وبيانا لعزة الطريق وأهلها ، فإن من شأن الطالب احتمال الذل في طريق تحصيله ، ومن شأن المطلوب منه ذلك العزة . قال سيدي عمر بن الفارض[2] رحمه الله تعالى « منى له ذل الخضوع ومنه لي ، عز المنوع وقوة المستضعف ، لو قال تيها قف على جمر الغضا ، لوقفت ممتثلا ونه موقف[3] ، إلى آخر ما قال ، ثم ان

(١) وردت زيادة في الأصل .
(٢) عمر بن الفارض سلطان العاشقين عاش بمصر وذاع صيته ودفن بها .
(٣) منى له ذل الخضوع ومنه لي عز المنوع بقوة المستضعف لو قال تيها قف على جمر الغضا لوقفت ممتثلا له أتوقف .

هذا الأمر لا يقع من الشيخ إلا في حق من تفرس فيه بعض خيانة ، إما من تفرس فيه الصدق فلا يحتاج إلى امتحان ، [illegible] يحمل حال من تفرس في وجهه(١) المريد أول قدومه عليه [illegible] . فالقوم (أي سيدي علي الخواص) كان يقول إذا جاءكم المريد يطلب أخذ [illegible] عليه فلا تقبلوا له أمر بمرة فإن ذلك يخمد نار عزيمته . انتهى وقد جاءني مرة ثلاثة من طلبة العلم الشريف من جامع الأزهر يطلبون الطريق فتفرست فيهم عدم الصدق ، فقلت لهم : «هل بلغ أحدكم مرتبة الافتاء والتدريس» . فقالوا : «لا» . فقلت لهم : «لا تطلبوا الطريق حتى تبلغوا ذلك» . فرجعوا في الحال عما كانوا جاءوا لأجله . وعلمت أنهم إنما جاءوا بشهوة نفس فإن الطريق كلها مبنية على مخالفه الهوى والنفس . وقد قال القوم لا يمتثل لشئ دخلته النفس وإن كان علما أو عملا لأنه إلى الاثم أقرب . ولكن غالب طلبة العلم الآن محجوبون عن شهود عدم اخلاصهم في العلم والعمل ، ولو أن الشيخ قال لأحدهم اترك هذا العلم حتى يصح لك مقام الاخلاص فيه لم يطعه ، بل يصير يمزق في عرض الشيخ فيقول في هذا إن الشيخ يمنعني عن الاشتغال بالعلم الذي يقربني إلى الله تعالى كما وقع ذلك في كثير من طلبة العلم، وقد درج الشباب الصالح كله على دوام اتهامهم أنفسهم في الاخلاص حتى إن الامام النووي(٢) رحمه الله أوصى بغسل كتاب الروضة ، وقال: في نفسي منها شئ وكان يذهب إلى الشيخ حسن المراكشي(٣) خارج دمشق ويشاوره في المسائل التي رجحها في مذهب الشافعي قبل أن يضعها في كتبه . ويقول : «أخاف أن انفرد بترجيح حكم فيكون وباله

---

(١) في الأصل (وجهها) .
(٢) الامام النووي .
(٣) حسن المراكشي .

على يوم القيامة» . انتهى ، واعلم أن كل مريد لم يقبل على شيخه أو هجره بغير سبب ظاهر فتنقل فهو كذاب في طلب الطريق لا يجئ منه شئ فاعرض يا أخي هذا الخلق على من يدعي الصدق من مريدي زمانك تعرف حاله ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(٦٦) ومن أخلاقهم إذا جاور أحدهم في زاوية شيخه على نية التربية أن ينزه نفسه عن الوقوع فيما يطلبه الكذابون في جواره في وظيفة من الزاوية ، فإن كل من يطلب ذلك ولو بقلبه فقد خان عهد شيخه ، فإذا خان عهد شيخه فليتب فورا وليخرج من الزاوية ، فإن لم يخرج فقد عرض نفسه للمقت كما وقع بعض الشيخ عليه ، وقد وقع ذلك لبعض المجاورين عندي والمترددين إلي ، فكلما وقع بصري على الواحد منهم نزل عليه المقت قهراً علي لعدم استحقاق المدد ولوقوعه بالاستهزاء بالطريق وأهلها ، ثم إذا ولى الشيخ أحدا من الفقراء في وظيفة واتسع حاله فليتحمل كلفته عن الشيخ توسعة على اخوانه الذين لا وظيفة لهم في الزاوية ولا غيرها أو لهم وظيفة ولكن لا تكفي عيالهم ولا ينبغي لمن وسع الله عليه أن يزاحم المنقطعين في الخبز والطعام لأنه ما وضع بالاصالة إلا للمنقطعين إلى الله تعالى ، كأهل الصفة في عهد رسول الله ﷺ ولذلك لما مات شيخ من أهل الصفة ووجدوا في داخل ازاره دينارين فقال ﷺ : «كيتان من نار» ، انتهى ، فعلم أنه لايجوز للمجاورين أن يخالفوا الشيخ إذا أشار عليهم بشراء شئ من القوت والأدم كل سنة ويعمل بذلك حلوا لعياله ، كما يقع فيه المخالفون لعهد شيخهم ، فان ذلك حرام بين القوم وربما جره إلى مقت الشيخ له ، فلا يفلح بعدها أبدا ، وربما يبش الشيخ في وجهه وهو ماقت له بقلبه فليحذر المجاور من مثل ذلك ، فإنه عقوق للوالد ولا يخفى حكمه ، فاعرض يا أخي هذا الخلق على مريدي عصرك تعرف حالهم ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(٧٠) ومن أخلاقهم أن لا يعد أحدهم نفسه من المريدين حتى يجاوز هذه العقبات الثلاث ، وهي هجرة الدنيا ، والعمل لأجل الآخرة ، وتحمل البلايا والمحن إذا ترادفت عليه ، وعدم القلق[1] منها ، بحيث يطلب الإقالة من البلاء فمن لم يجاوز هذه الثلاث عقبات فهو لم يشم من طريق الصادقين شماً لأن أول السير في طريق أهل الله تعالى لا يكون إلا بعد ذلك وهناك يطلب الله تعالى صادقاً ، يعني يطلب طريق معرفة الآداب المتعلقة بحضرته تعالى . فافهم ومحك الصدق في عدم ميله إلى الدنيا أن يتساوى عنده الذهب والزبل على حد سواء . ومحك صدقه في طلب الآخرة أن يصبر وينشرح كلما وجه الله تعالى عليه بالثواب كضربه وحبسه وتمزيق عرضه ونحو ذلك بغير حق . وقد بلغنا أن الله سبحانه وتعالى لما خلق الخلق تسارعوا إلى حضرته ووقفوا كلهم بين يديه ، فقال تعالى لهم من أنتم وهو أعلم بهم . فقالوا بأجمعهم : نحن المحبون لك . فقال تعالى : «انظروا ماذا تقولون فإن المحب لا يصرفه عن محبوبه صارف ولا ترده السيوف والمتالف . فقالوا : ها نحن بين يديك فامتحنا بما شئت . فخلق الله تعالى لهم الدنيا وزينها في أعينهم ففر إليها من بين يديه تسعة أعشارهم وبقي العشر . فقال لهم الحق تعالى ثانيا : من أنتم . فقالوا : محبوك . فخلق لهم الجنة وزينها في أعينهم ففر منهم تسعة أعشار العشر ، ثم خاطبهم الحق ثالثا ، وقال لهم : من أنتم فقالوا : محبوك . فابتلاهم في أبدانهم وأولادهم وأموالهم فثبتوا وهو الذي ثبتهم من فضله . فقال لهم : أنتم عبيدي حقا ، لا إلى الدنيا والآخرة ذهبتم ، ولا من البلاء فررتم ، وأنتم خاصتي من خلقي . وذلك أول سيركم إلى حضرتي ، فسيروا على اسم الله تعالى إلى حضرتي غير ملتفتين إلى

(١) في الأصل (العلق) .

أحد غيرى لا سبغ عليكم نعمتى ولا أخرجكم من حضرتى أبدا لا بدين ودهر الداهرين . انتهى، فاعرض ياأخى هذا الخلق على من يدعى الصدق من اخوانك ، تعرف حاله ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(٧١) ومن أخلاقهم ، غض أحدهم بصره عن رؤية الصور المستحسنات التى لا يحل له نظرها أو يكره ، فإن هذا النظر للقلب كالسهم المسموم ، ومن وجد فى قلبه ميلا إلى مثل ذلك ، فالواجب عليه أن يواصل الجوع بطريقه الشرعى ، حتى يصير لا تدعوه نفسه إلى رؤية شئ من شهوات الدنيا . وكل من لايسد عن نفسه باب النظر كما ذكرنا ، فليعلم أن الله خذله ومقته ، فلايجوز له لبس زى الفقراء فضلا عن الدعوى أنه منهم . وهذا الخلق يخل به كثير من الفسقة الذين يجتمعون على المشايخ ولا يفهمون كلامهم فى التوحيد ، فيصير أحدهم يقول كل حسن فى الوجود فهو من جمال الحق ، وجمال الحق مطلوب من الخلق أن ينظروا إليه ، وهذا أقوى من دسائس إبليس عليهم . ومنهم اليوم طوائف كثيرة على هذا الحال يسمون الاباحية فيجب علي كل مسلم الإنكار عليهم وهجران أفعالهم ومنع الضعفاء من معاشرتهم ، وقد انكرت مرة علي واحد منهم نظر إلى أمرد . فقال لى : إنما نهو الله تعالى رؤية مثل ذلك للمحجوزين بحجاب الإيمان ، وقد خرجت من حجاب الإيمان إلى مقام الكشف والشهود . فقلت له يكذب البعيد ، فانك لو وصلت إلى مقام الكشف والشهود لكنت من أول المبادرين إلى امتثال أمره تعالى ، وإجتناب نهيه ، فإن الذى أدعيت إنك صرت فى حضرته هو الذى نهاك عن مثل ذلك ، فلم أجد له جوابا ، وقوله أنه خرج من حجاب الإيمان إلى الشهود جهل منه فان حجاب الإيمان يرق مع صاحبه ولا ينقطع أبدا : كما أوضحنا ذلك فى كتاب المنن والأخلاق الكبرى[١] ، فراجعه وأعرض يا أخى هذا الأمر

---

(١) سبق الإشارة إليه فى مقدمة الكتاب ويقصد كتاب «الطائف المنن» المعروف باسم «المنن الكبرى».

على مريدى عصرك فكل من رأيته غاضا بصره ، فاشهد له بالصدق وإلا فهو كاذب ولا تنس نفسك والحمد لله رب العالمين .

(٧٢) ومن أخلاقهم ، أن يطالب أحدهم نفسه بالعمل بكل خلق سمعه عن أحد من أهل الطريق ، وإذا لم تجبه نفسه إلى التخلق به ، فيمنعها الأكل والشرب وأن يلزمها[١] بالوحدة والسكون ، حتى تجبه وهذا الخلق يخل به غالب من يدعى الصدق من مريدى هذا الزمان ، فيقنع أحدهم بحفظ تلك الحكاية ويصير يحكيها للناس من غير تخلق (بما فيها)[٢] من الآداب ، وربما ظن الناس أنه صار من الصوفية ، فيصير يعتقده ويعظمه (الناس)[٣] فينقطع بذلك عن الطريق ويلتحق بحزب الشيطان ، وأعرف من أهل هذا الحال اليوم جماعة لايحصون، ومن هنا أجمع الأشياخ على أن كل مريد تكلم فى مقام من غير أن يذوقه مقت ومنع وصوله إلى ذلك المقام بعد ذلك عقوبة له ، وأعلم أنه لايجوز لمريد أن يقرر للناس كلاما لن يتلبس هو به ، وإنه يجب عليه السكوت لو سئل هو عنه خوفا من الفتنة ، كما درج عليه المريدون الصادقون ، والله أعلم . فاعرض يا أخى ذلك على من يدعى الصدق من اخوانك تعرف حاله ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(٧٣) ومن أخلاقهم ، أن لا يقع أحدهم فى معصية بعد التوبة على يد الشيخ إلا ويعلم الشيخ بها ليعلمه كيف التوبة منها ويرشده إلى سد الباب الذى دخلت له المعصية منه ، ويسأل الله تعالى قبول التوبة . ومتى كتم عن الشيخ شيئا من المعاصى التى وقع فيها خان نفسه وما قوله ﷺ : «من ابتلى بشئ من هذه القاذورات فليستتر بستر الله

---

(١) فى الأصل (والهلزمها) .

(٢) وردت فى الأصل (من غير تخلق بها فيه) .

(٣) (الناس) زيادة كى يستقيم المعنى .

تعالى» فهو محمول على من يتظاهر بها حال وقوعها منه أو على ذكرها لغير من يرشده إلى كيفية الخروج منها أو على من لا يستغفر له . هكذا (قال)(١) بعض العارفين أن أكبر من يقع في شباك هذا العبد من وقع له أجازه من شيخه بالمشيخة ، فيصير يفتي في كل محافل ، ويخاف أن يحكيه لشيخه ، وقد قالوا : شيخك ، وربك ، لا تكذب (عليهما)(٢) وذلك لأن من تجرأ على الكذب على شيخه فيوشك أن يتجرى الكذب على الله تعالى لأن الشيخ مرتبة امتحان(٣) للمريدين في مقام الصدق أو الكذب مع الله فكأن كل شيخ يقول لمريده : تعالى أعلمك كيفية معاملتك مع الله تعالى وأتحمل منك سوء الأدب الذي يقع منك في حقي ، ثم أعلمك طريق الخلاص من ذلك ، فانه ما ثم عارف بالله تعالى إلا وهو يحب أن يفدي جناب الحق تعالى بنفسه ، واعلم أن الصادق لا يكتم عن شيخه شيئا من خواطره التي تستقر فضلا عن الأقوال والأفعال فاعرض يا أخي هذا الخلق على من يدعي الصدق من المريدين تعرف حالهم ولا تنس نفسك والحمد لله رب العالمين .

(٧٤) ومن أخلاقهم ، أن لا يأخذوا معلوما على شئ من الوظائف الدينية كقراءة القرآن والخطابة والإمامة والتدريس والوعظ وغير ذلك(٤) ، إلا عند حصول الاضطرار بوجود شدة ألم الجوع أو البرد ونحوهما ، ومتى وجد أحدهم اللقمة وما يستر عورته ويرد عنه الأذى فلا ينبغي له أخذ شئ من ذلك المعلوم لأن ذلك يوقفه عن السير ، ومن كان يأخذ أجرة عمله فلا ترقى له في المحبة عند من استعمله بخلاف

---

(١) (قال) زيادة ليستقيم المعنى .

(٢) في الأصل (عليه) .

(٣) المقصود أن المريد يعتقد في شيخه ، في جميع الأحوال والملابسات .

(٤) المقصود أن تكون الخدمة لوجه الله تعالى إلا عند الاضطرار ، أما أخذ الأجر وهو في غير حاجة إليه يوقع المريد في الفتنة .

من يخدم سيده امتثالا لأمره ومحبة في اظهار شعار شرع نبيه ﷺ ، فانه يترقى بذلك إلى فوق ما كان يؤمله من المقامات كما هو مشاهد في خدام الملوك وغيرهم ، وكان سيدى على الخواص رحمه الله يقول : من اضطر إلى أخذ معلوم وظيفة دينية فليأخذ ذلك بنية أنه ابتلاء[١] عطاء من الله عز وجل لا في مقابلة ذلك العمل قال وهذا شأن المريد مادام في مقام الشرك مع الله في الأعمال ، فإذا بلغ إلى مقام توحيد الفعل لله تعالى وحده (ورأى)[٢] نفسه إنما هو محل بروز ذلك العمل لاغير ، فهناك يصير يرى العمل لغيره لا يخطر قط طلب أجرة عليه لا في الدنيا ولا في الآخرة ، ولولا أنه يستحى من الله تعالى أن يقول يارب ليس لى شركة معك في فعل من الافعال لقال ذلك ، ولكنه أضاف الفعل إلى نفسه أدبا مع الله تعالى ، كما أضافه الحق تعالى بقوله : تعلمون ، تفعلون ، تكسبون ، تصنعون ونحو ذلك . فانه لولا صحة إضافة الفعل إلى العبد ما صح له تكليفه كما أوضحنا الكلام على ذلك في كتاب المنن[٣] والاخلاص . فاعرض يا أخى هذا الخلق على من يدعى الصدق في الاخلاص من المريدين تعرف حاله ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين ..

(٧٥) ومن أخلاقهم ، أن لا يأكل أحدهم من كسب امرأة لاسيما زوجته لأن الله تعالى جعل الرجال قوامين على النساء ، كل من أكل من كسب امرأة فهو من أردأ[٤] الناس وكيف يليق لمن عنده أدنى

---

(١) في رأى الصوفية أن زيادة ونقص المال ابتلاء من عند الله سواء كان ذلك بالنعمة أو النقمة .

(٢) وردت في الأصل (وراء) .

(٣) كتاب المنن والاخلاص ليس مذكورا في المعاجم المختلفة ، ويظن أن المقصود كتاب (لطائف المنن) .

(٤) في الأصل (اردى) .

مروءة أن يكون معدودا من أعيال للنساء ، وقد أجمع الأشياخ كلهم على أن من قبل رفقا(١) من امرأة فهو مخذول لا يجئ منه شئ فى الطريق ، وقد رأيت الأشياخ الذين أدركتهم أول النصف من القرن العاشر(٢) يمنعون تلامذتهم أن يأكلوا من وليمة صنعتها امرأة ، لكنها إن كانت نذرتها لشفاء ولدها مثلا ربما ورد من أن الصحابة كانوا يأكلون طعام امرأة كانت تصنعه لهم كل جمعة ، فذلك بتقرير الشارع ﷺ لهم على ذلك ؛ فهو مستثنى بما نهى عنه الأشياخ . فاعرض يا أخى هذا الخلق على من يدعى الصدق من مريدى عصرك تعرف حاله ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(٧٦) ومن أخلاقهم كثرة التباعد عن أبناء الدنيا لاسيما إن نهاهم شيخهم عن ذلك لأن المريد لضعفه يسرق طبعه من طباع أبناء الدنيا ، فيصير فى طلب الدنيا وشهواتها كأحدهم ولو غلط(٣) كما هو مشاهد فيمن يخالط الفقراء على صدق فيصير يزدرى لبس الجبة التى كان يلبسها فى الزاوية والطعام الذى كان يأكله فيها ويطلب أعلى من ذلك ولا يتيسر له ذلك إلا بالدخول فى الكسب بطريق حلال أو حرام فيتلف ويخرج من طريق الزهد والقناعة التى كان عاهد شيخه عليها ، وقد وقع مثل ذلك لبعض من خرج من طاعتى من المجاورين فينقطع عن مجالس الذكر والعلم وتلاوة القرآن ، وصار عليه ظلمة من شدة المقت ، ولو أنه كان أطاعنى وقنع بما فى الزاوية من اللقمة والخرقه لكان عليه وعلى ثيابه النور كالجماعة المقيمين فى الزاوية ، فلا حول ولا قوة ولا سعادة إلا من الله العلى العظيم ، وقد كان سيدى محمد الغمرى(٤)

---

(١) الرفق : النفع .

(٢) وهذا يدل على أنه وضع هذا الكتاب فى الفترة من ٩٥٠هـ إلى ٩٧٣هـ .

(٣) فى الأصل «ولو غلطوا» .

(٤) محمد الغمرى ذكر فى الطبقات الكبرى عاش زمن البدوى ومدفون بطنطا .

رضى الله عنه يكره للفقير النظر إلى تحسين ثيابه والجلوس على باب المسجد أو شباكه الذى على السوق ، ويقول إن ذلك يشغل قلب الفقير عن اتباع طريق القوم فعلم أن كل فقير نهاه شيخه عن مثل ذلك أو غرض له به وخالف فهو كذاب مخذول ممقوت ، ولا يجئ منه شئ فى الطريق . فأعرض يا أخى ذلك على من يدعى الصدق من اخوانك تعرف حاله ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(٧٧) ومن أخلاقهم ، كثرة حزن أحدهم على نفسه وتوبيخها وعدم استحسان حالها كلما ازدادت من الأعمال الصالحة ولا يرضى عنها أبدا ، وهذا الخلق قد قل المتخلفون به هذا الزمان ، بل ربما رأى أحدهم نفسه على شيخه ، وقد رأيت طائفة من المريدين حتى ذاب قلبى من علاجهم ثم تغيروا وأنقلبوا من طريق الاستقامة . فلا تسأل يا أخى ما حصل لى من الأسف عليهم وذلك لتلبسهم على مرتبتهم وكتمهم عنى صفاتهم الخبيثة ، فقضى عليهم ذلك التلبيس أواخر أعمالهم ، ولو أنهم كانوا بنوا أمرهم على الصدق مع مربيهم ، ولم يكتموا عنه شيئا لمدهم بالصدق وأفلحوا ، وقد أجمع الأشياخ كلهم على أن كل من لم يوبخ نفسه ويتهم نفسه على الدوام لحقه عجب ونكص على عقبيه فى أثناء الطريق ، وكان حكمه حكم النحل إذا (انشرفت)[١] على ختام أقراص الشهد ، ثم سرحت أواخر الختام على شجر الحنظل ، فرعت منه ثم بحت ذلك على الأقراص فمررتها كلها إنتهى . فوبخ يا أخى نفسك ولا تحوج شيخك إلى توبيخك وتعب سره فيك ، فأنه ما وبخك إلا وأنت مستحسن أحوالك فى الباطن ، فاخرج الله تعالى له بعد ذلك ما كان فى نفسك وصدقه وكذبك . وقد ربيت فقيرا فى باب بيتى ، فكان يقوم بذكر الله ويصلى من الليل فرأى نفسه

(١) وردت فى الأصل والمقصود بها «اشرفت» .

أنه صار من المقربين بذلك ولولا لطف الله لخسف به باب البيت ، ولا يهتدي إلى عمارته وقد ورد في بعض الكتب الالهية أنين العاصين أحب إلي من زجل المسبحين انتهى . وذلك لأن العاصي يطلب بأنينه من الله المغفرة والمسبح يطلب بزجله بالتسبيح مع العجب المقت ، فليتنبه . واعلم أن كل مريد لم ير نفسه أنه قد استحق الخسف به لولا حلم الله تعالى ، فهو هالك والسلام . فاعرض يا أخي هذا الخلق على من يدعي الصدق من مريدى زمانك تعرف حاله ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(٧٨) ومن أخلاقهم ، عدم أكل أحدهم أو لبسه بالدين أو اطعامه الضيف ، كذلك بل يصير أحدهم على الجوع والبرد حتى يوسع الله تعالى عليه ، وأما الضيف فلا يكلف الله نفسا إلا وسعها وقد استعاذ رسول الله ﷺ من غلبة الدين وقهر الرجال ، فأما الدين فإنه أثقل ما يكون على من يؤمن بيوم الحساب ويعرف شدة ذلك اليوم وما فيه من الضيق حتى أن الرجل ليأتى يوم القيامة بمثل عمل سبعين صديقا ، لا يظن بنفسه النجاة ، ولا يمكن المديون أن يدخل الجنة وعليه ذرة من خردل ، بل يحبس عن الجنة حتى يوفى صاحبها من أعماله ويتحمل على ظهره من سياطه ثم يطرح فى النار كما ورد ومثل ذلك من يستعاذ منه واما قهر الرجال فسبب استعاذته ﷺ منه إنما هو من جهة حجاب صاحبه عن شهود أن الفعل لله عز وجل ، فكأنه ﷺ استعاذ من ارخاء الحجاب عليه حتى يصير يرى الفعل من الخلق ، فيقهر إذا ذاك فإن أحدا لا يقهر وهو يشهد الفعل لله أبدا ، فما ثم عارف يقهر في الدنيا أبدا إلا وهو محجوب عما ذكرناه ، وقد قال الشيخ محي الدين بن العربي رحمه الله ما قهرت فى عمرى قط وذلك لشهودي أن الفعل لله وحده فما تجلى تعالى لقلبى فى اسمه القاهر ولا القهار أبدا وإنما عرفت القهر من شهوده فى غيرى حين حجب .

انتهى فاعرض يا أخي الخلق على من يدعي الصدق من مريدي زمانك تعرف حاله ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(٧٩) ومن أخلاقهم ، محبتهم لنسبة الخير إلى غيرهم دونهم ببادى الرأى ، فإذا قاموا الليل وصدقوا بصدقة أو بنوا مسجدا (وسمعوا)[١] شخصا يضيف ذلك إلى غيرهم انشرحوا لذلك من غير تفكر ، وإذا كانوا يعمرون مسجداً ، ويصرفون عليه من مالهم ، وكان شخص يعمر كذلك مسجدا ، فطلب منهم المساعدة سرا فرحوا لذلك وحق عليهم أكثر من صرفهم على بناء المسجد المنسوب إليهم . ومتى ثقل عليهم نسبة الخير إلى غيرهم فهو دليل على عدم الاخلاص فاعرض يا أخي هذا الخلق على مريدي عصرك تعرف حالهم ولا تنس نفسك والحمد لله رب العالمين .

(٨٠) ومن أخلاقهم ، عدم احتقارهم لمن كان العبادة لأن خاتمته مجهولة ، ولأنه يظهر بذلك فضل (الله)[٢] وجوده وحلمه على عباده مع احسانه إليهم ليلا ونهارا وقد قال تعالى (ان رحمتى سبقت غضبى)[٣] ومعنى سبقت الرحمة الغضب ما قاله بعض أهل الكشف أن أسماء الرحمة يسبق معناها إلى العبد ، فيأتى معنى الغضب فيجد الرحمة سبقته إليه ، فلا ينفذ فيه الغضب ، وهو معنى قوله تعالى : «ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا»[٤] الآية ، ومن كان يظهر فضل ربه عليه لا ينبغى له إلا التعظيم ، ولكن يحتاج صاحب هذا المقام الى عينين ، عين ينظر بها إلى كونه مظهر رحمة ربه وفضله ، وعين ينظر بها إلى تفريطه فى جانب ربه وقلة حمده وشكره بالفضل فيراه دون من كان

---

(١) فى الأصل (أو سمعوا) .
(٢) (الله) لم ترد فى الأصل .
(٣) ذكره السيوطى فى «الجامع الصغير» .
(٤) فاطر : ٤٥ .

أكثر عباده منه ، وهذا خلق غريب ، فاعرض يا أخي على مريدي عصرك تعرف مقامهم ولا تنسى نفسك وعظم الناس بحق واحتقرهم بحق بحسب ميزان الشريعة ، والحمد لله رب العالمين .

(٨١) ومن أخلاقهم ، التحفظ من دخول مقام التوحيد ذوقا ، فان فيه غوائل تخالف إجماع سائر الملل ، وهو اعتقاد الوحدة المطلقة حتى أن بعضهم قال أن حقيقة الروح هو الله وحقيقة إبليس هو الله وأنه يجب طاعة النفس وطاعة إبليس في كل شئ أمر العبد به ، وهذا أعظم مراتب الجهل والخرافات ، فان العبد لا يلحق مرتبة السيد أبدا بالإجماع ولو تأمل القائل بذلك في قوله لوجده كلاما غير معقول كيف يقول بالوحدة المطلقة ويثبت هناك عبدا يسمى (مثل)[1] إبليس أو غيره فنعوذ بالله من اعتقاد يخالف اعتقاد سائر الملل ، وتعالى الله عما يقول الجاحدون علوا كبيرا . وقد عجز العقلاء كلهم أن يتكلموا بلسان فرد لا ثاني معه واعترفوا بالقصور عن ذلك ، فانه يبطل رسالة جميع الرسل ويبطل أحكام جميع الكتب لأنها كلها إنما جاءت إلا تثنيه رب وعبد كما بسطنا الكلام على ذلك في كتاب «فرآيد القلائد في علم العقايد»[2] وذكرنا فيه أن جميع الأكابر من الأولياء ملازمين لآداب العبودية لم يخرج أحد منهم إلى فضاء ساحة الربوبية للناس في كل عصر حتى أن بعضهم أعطاه تعالى حرف كن في هذه الدار ، فلزم الأدب ولم يتصرف به فيها وقال لا أزاحم أوصاف الربوبية منهم أبوالسعود بن الشبل[3] الذي شهد فيه الشيخ محي الدين بن العربي

---

(١) في الأصل (من) .

(٢) فرائد القلائد في علم العقائد وهذا الكتاب لم تذكره المعاجم التي اطلعنا عليها .

(٣) أبوالسعود بن شبل تلميذ سيدي عبدالقادر الجيلاني وقيل أن مقامه كان أعلى من أستاذه .

أنه أكمل من شيخه الشيخ عبدالقادر الجيلى[١] رضى الله عنه ، وما أعطى الله تعالى عباده علم التوحيد إلا ليعلموا به أنه تعالى إله واحد لا ليتصرفوا فيه فيما ليس لهم ، فانه يخالف أوصاف العبودية التى بها تتربة العبد من حضرة ربه . وسمعت سيدى على الخواص رحمه الله يقول : من حين خلق الله تعالى الخلق فهم معه بلا وصل ولا فصل ، إذ الوصل والفصل لا يكون إلا مع المجانس ولا مجانسة بين الله تعالى وبين خلقه بوجه من الوجوه وما تعلق علمه تعالى بهم إلا وهم مفصولون عنه . قال لهم كونوا فكانوا ولو كانت حقائقهم موجودة كما يقول من يقول بقدم العالم ما كانوا يحتاجون إلى قول كن لأن قول كن لا تتوجه إلا على معدوم لتوجده ، فقد أخطأ والله من قال بعضه يعشق بعضا فهو المعشوق والصب إن كان قال ذلك عن صحو وإن كان قاله عن سكر فالسكران[٢] غير معتبر العبادة ، وأما مايستدل إليه أصحاب شطح[٣] من نحو قوله ﷺ ألا كلا شئ ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل ، وأنها أصدق كلمة قالها شاعر لبيب فلا يصلح دليلا للقائلين بالوحدة المطلقة لأنه صرح بأن مع الله تعالى خلق ولكن وجودهم بامداد الله تعالى لهم بالوجود لا مستقلا بأنفسهم ومن كان وجوده بغيره فهو كالباطل لأنه باطل من كل وجه ، فافهم يا أخى وأعرض هذا التقدير الذى قررناه على مريدى عصرك تعرف حالهم ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

---

(١) عبدالقادر الجيلانى شيخ الطريقة القادرية ومؤسسها مات سنة نيف وستين وخمسمائة ببغداد تقريبا .

(٢) السكران كالمجنون مرفوع عنه التكليف لكن السكران إذا أفاق من سكره رجع مكلفا .

(٣) الشطح : فى اللغة الحركة ، وشطح النهر أى تحرك فناض على جانبيه كذلك المريد إذا زاد وجده لم يستطع حمل ذلك على قلبه من سطوة أنوار الحقائق فيشطح ذلك على لسانه ويترجمها بعبارات تشكل على أفهام السامعين .

(٨٢) ومن أخلاقهم ، أن يفرح أحدهم بكثرة تحجير شيخه عليه ومنعه مما تهواه نفسه كحسن الهيئة[١] ونظافة الثياب ومنعه من مجالسة أصحاب شيخ آخر وهد عمامته وتعميمها على غير مراده ومنعه من وضع جنبيه إلى الأرض ونحو ذلك وكل مريد تكدر من شئ من ذلك فهو كاذب فى دعواه الارادة وربما بالغ أحدهم وكره شيخه وفارقه وصار يحط عليه فى المجلس وقد كان الشيخ محي الدين رحمه الله تعالى يقول : ينبغى للشيخ أن يأخذ من المريدين أشد الحذر ولا يربيهم إلا بسياسة تامة ، فإن أكثرهم كاذبون وليحذر من أن يتركهم يجالسون أصحاب شيخ آخر ، فإن المضرة فى ذلك كثيرة واقعة والنفس من شأنها الخيانة إلا من حفظ الله أخذ مريده مع مريد غيره فحصل منه زجر له فتحول عنه إلى ذلك الشيخ ، فمقت . فاعرض يا أخى هذا الخلق على أقرانك تعرف حالهم ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(٨٣) ومن أخلاقهم ، التجرد عن الدنيا ولا يمسك أحدهم منها إلا ما لابد منه من خرقه يستتر بها عورته ، أو كسرة يسد بها جوعته ، وفروة يدفع بها ألم البرد ، ونحو ذلك وهذا ما درج عليه الفقراء سلفا وخلفا فإذا كمل حالهم فإن شاءوا وأجمعوا الدنيا وصرفوها فى مصارفها ، وإن شاءوا داموا على التجرد ، ومقام الفقر إلى الله تعالى يجمع الناس كلهم ، وقد بسطنا الكلام على ذلك فى المنن الكبرى[٢] فى مواضع ، وملخص ذلك أن المريد لا يكون صادقا فى تجرده عن الدنيا إلا أن وصل إلى حد الصدق ، وذلك أن يصير ينشرح بضيق اليد وينقبض لسعتها ، ولا يكون ذلك إلا بجذب (الهى)[٣] أو بالسلوك

---

(١) فى الأصل (الهياة) .

(٢) المنن الكبرى سبق ذكرها فى المقدمة .

(٣) فى الأصل (الاهى) .

على يد شيخ ناصح فاعرض يا أخى هذا على من يدعى الصدق من مريدى تعرف حاله ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(٨٤) ومن أخلاقهم الخروج من مخالفة الأئمة فيأتوا بعباداتهم على أكمل ما يقدرون عليه من مراعاة الخلاف ولا يقتصرون على العمل بمذاهبهم ، فربما فاتهم العمل بأحاديث كثيرة لم يأخذ بها امامهم ، وكل قول أو فعل لم يبين الشارع ﷺ رتبته فى الوجوب أو الندب عبادة على وجه التأسى مع قطع نظرهم عن جعله واجبا أو مندوبا ويكفيهم التأسى برسول الله ﷺ فى ذلك وأثوبه على نية الوجوب كان أفضل ، لكن ليس لهم أن يأمروا أحدا به فيضيفوا على الأمة ، وكان أخى أفضل الدين[١] رحمه الله لا يدع عنده قط شيئا لغد من دراهم أو طعام ويقول أن أباذر وغيره[٢] من أصحاب الصفة كانوا يرون تحريم الادخار فلا نخالفهم وكان يثلث الوضوء فى شدة البرد ويمسح رابضه[٣] كله ويرتكب الأشد فى الأعمال حتى كان يتوضأ من النوم متمكنا ولا يصلى بغير وضوء إذا نام متمكنا أبدا وكان يقول الرخص ليست لأمثالنا فاعرض ذلك على من يدعى الصدق من اخوانك تعرف حالهم ولا تنس نفسك والحمد لله رب العالمين .

(٨٥) ومن أخلاقهم غض البصر عن النظر إلى زينة الدنيا وإذا لبس أحدهم مضربة جديدة أو صوفا جديدا لا ينظر إلى ذلك خوفا من المقت ، وقد لبست فاطمة رضى الله عنها مرة حلة فأعجبتها فأمر رسول الله ﷺ بنزعها ، وصلى عليه الصلاة والسلام مرة فى كساء له أعلام ، فنظر إليه فأعجبه ، فتركه تشريعا لأمته خوفا أن يصير لهم

---

(١) أفضل الدين : كان صديقا للشعرانى وأخا فى الطريق وذكره فى «الطبقات الكبرى» .
(٢) يقصد أباذر الغفارى الصحابى الجليل .
(٣) رابضة هكذا فى الأصل .

بمثله فتشبه وإلا فاعتقادنا فيه ﷺ أنه لا يشغله عن الله شئ من الكونين ، فاعلم يا أخى ذلك واجتنب لبس كل ما تميل إليه النفس ولا تشبه بالكمل من الرجال إذا لبسوا الملابس الفاخرة فانهم ما سامحوا نفوسهم بلبسها حتى تساوى عندهم المحروات وغلظ الاشاق فى غلو ثمنها ورخصه وحسنه وحقارته فإن وصلت إلى ذلك فالبس مثلهم ، وكان الشيخ محى الدين رحمه الله تعالى يقول : المريدون فى لباسهم على قسمين منهم من يلبس الخرقة ومنهم بحكم الوقت من سعة اليد وضيقها فالذى يلبس لآخرته هو من يلبس ما يستر عورته وتقيه من الحر والبرد مما لا قيمة له ولا ثمن كشراء (ميط)(١) الكيمان والذى يلبس بحكم الوقت فعلامة صدقه أن يلبس مالا يعيبه ، وقد كان (أويس القرنى) يكتسى من خرق المزابل والذى يلبس بحكم الوقت فعلامة صدقه أن يلبس مالا يعيبه عليه العلماء ولا يزدريه (لأجله)(٢) السفهاء قالوا ولا ينبغى للمريد أن يتجرد عن الدنيا بالكلية بحيث يصير كلا على الناس يطعمونه ويكسونه كالنساء مع القائم عليهم ، فان ذلك من رداءة الهمة ، وقد ذكرنا فى كتاب المنن الكبرى أن شخصا من المحترفه جاء يزور سيدى إبراهيم المتبولى(٣) فأعجبه الفقراء وترك حرفته ، فقال الشيخ : لم تركت حرفتك ، فقال : دخلت الزاوية رأيت بومة عمياء فى طاقة الزاوية ورأيت صقرا يأتيها كل يوم بقطعة لحم تأكلها . فقلت : أنا الآخر أتوكل على الله وأجلس مع الفقراء . فقال له الشيخ : لأى شئ تجعل نفسك بومة لا تجعلها صقرا ، فتأكل من كسبك وتطعم منه غيرك ، فتاب ذلك الشخص ، ورجع إلى حرفته .

---

(١) ميط هكذا فى الأصل .

(٢) فى الأصل (لأجل) .

(٣) سيدى ابراهيم المتبولى فى الطبقات الكبرى ، ويقول عنه أنه كان من أصحاب الدوائر الكبرى فى الولاية عاش حتى بلغ الثمانين مات فى القدس سنة ٨٨٠ تقريبا .

انتهى . فاحذر يا أخي التنزل إلى [illegible] الجديد [illegible] الجديدة على [illegible] عوائد العوام ، فإن ذلك يجر إلى المقت ، ونبه أخوانك على مثل ذلك ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين ..

(٨٦) ومن أخلاقهم ، أنهم لا يأكلون ولا يشربون إلا عند شدة الجوع ، والعطش . وكذلك لا ينامون ولا يتكلمون إلا عند الضرورة ، وبذلك يثابون ثواب الواجب ، فإن الانسان إذا اضطر إلى شئ من المباحات صار فعله واجبا عليه ، وأين مرتبة المباح من مرتبة الواجب ، فعلم أن كل مريد أتى المباحات من غير ضرورة فهو مترخص لا يجئ منه شئ في الطريق ، وقد كان سيدى عبدالقادر الجيلى رضى الله تعالى عنه ونفعنا به يقول : ربما كنت أمكث فى بدايتى السبعة أشهر وأكثر لا آكل ولا أشرب لعدم الضرورة ، ومكثت مرة سنة لا آكل ولا أشرب ولا أنام ولا أضع جنبى على الأرض ولا أمد رجلى وما كنت أتذكر الطعام إلا أن حضر بين يدى . فأعرض يا أخى ذلك على من يدعى الصدق من المريدين تعرف حاله ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(٨٧) ومن أخلاقهم ، تفتيش أحدهم نفسه كل ساعة لينظر اقباله على حضرة ربه سائر أوقاته فيجد فى العمل ويزيد فيه ، فان الله سبحانه وتعالى لا يظهر حتى يشهده بقلبه إلا فى العبادات التى (فرضها)[1] لا غير ولا يظهر قط لعبد فى مكروه أو مباح أصلا إلا أن فعل المباح بنية صالحة فينبغى للمريد إذا عرف من نفسه التلبيس عليه أن لا يقبل ما تلقيه إليه بل يسأل عن أحواله من يعرف أنه ينصحه ولا يداهنه ، ثم يقبل ذلك الأمر الذى تنبه له بحكم الجزم ، ويقول لنفسه اقبلى هذا النصح من هذا الأخ الصالح ويكثر من توبيخها ، فعلم أن

---

(١) فى الأصل : (فرعها) .

كل من لم ينفذ(١) [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
اخوانه فهو منافق كذاب على الطريق ، فاعرض يا أخى هذا الخلق
على غالب المتشيخين من أهل عصرك تجده غالبا أنفسه وإن وقع أن
أحد نصحه وبين له نقصه عاداه وهجره وإن شككت فى قولى فجرب
وانصح شيخا منهم بحضرة تلامذته فيما هو مرتكبه من محبة الدنيا
وشهواتها ، وانظر ماذا يقع لك منه ومن جماعته وما هكذا المريدون
الصادقون رحم الله من أهدى إلى عيوبى ، فاعلم ذلك والحمد لله رب
العالمين .

(٨٨) ومن أخلاقهم ، عدم رؤية أحدهم نفسه على أحد من عصاة
هذه الأمة ، بل يرى نفسه أفسق الفاسقين دائما سرمدا ، ويعمى عن
نقائص الناس جملة واحدة ، ومتى رأى نفسه مساوية لأحد من
اخوانه فى الدين والتقوى فقد أساء الأدب وخرج عن طريق الارادة ،
وكان سيدى على الخواص رحمه الله يقول : «لا يصح لمريد قدم فى
طريق الارادة يرى أن كل بلاء نزل على بلاده سبب ذنوبه هو ، وأن
ذنوب الناس كلها مغفورة إلا ذنبه» انتهى . فاعرض يا أخى هذا
الخلق على المتمشيخين فى أهل زمانك تعرف صدقهم وكذبهم ولا
تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين ..

(٨٩) ومن أخلاقهم ، عدم تصدرهم لازالة منكرات عصرهم ،
لأن ذلك إنما هو من وظائف الأشياخ لمعرفتهم بطريق السياسة وعدم
خوفهم من الوقوع فى الاعجاب إذا زالوا المنكر بخلاف المريدين ، فان
أحدهم جاهل بطريق السياسة وعدم خوفهم من الوقوع فى
الاعجاب(٢) إذا زالوا المنكر ويدخله الاعجاب بذلك ويشغله عن الله عز

---

(١) فى الأصل (ينفذ) .
(٢) الاعجاب بالنفس أى العجب والاغترار بالنفس .

وجل لا سيما ان حصل له بسبب ذلك ضرب أو حبس أو جرح فى جسده من جند السلطان ، وقد وعدوا مثل ذلك من دسائس إبليس ، حكى لى شيخنا سيدى على الخواص رضى الله عنه أن جماعة من المريدين أقاموا فى ساحة فكانوا يحصدون بالأجرة ويعطون من عمل أيديهم وقلبهم[1] حى من الذكر ، وكان إبليس كلما قرب منهم يكاد يحترق من أنفاسهم فلما عجز إبليس منهم وسوس لجماعة من العياق فضربوا بعضهم حتى أدموهم والمريدون ينظرون ثم وسوس لهم أن ذلك خير (يعتدى عليه)[2] وهو أفضل مما هم فيه فخلصوا بينهم فهو أفضل لكم فتركوا المجلس وقاموا للعياق فادموهم كذلك وكان مقصود إبليس منهم أن يقطعوا مجلس الذكر لا غير ، فاحذروا أيها المريدون من ذلك فان غوائل الشيطان كثيرة ودسائسه أخفى من دبيب النمل ، فاعلم ذلك واعرض ما قررنا لك فى هذا الخلق على مدعى الصدق من مريدى زمانك تعرف حاله ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(٩٠) ومن أخلاقهم ، أن لا يتكدر أحدهم من عدم إذن شيخه له بالدخول عليه فى بيته أو خلوته وكل مريد أخذ فى نفسه من الشيخ إذا منعه من الدخول عليه مقته الله تعالى ، وقد وقع لى ذلك فى بعض المريدين الذين خرجوا من تحت التربية ، فجاء إلى باب دارى ، فوجد الباب مردودا ، فرجع ممقوتا ، فمكث نحو شهرين لا يجتمع بى ، وظهرت أمارات المقت عليه ، فنظرت إليه فوجدته نزل إلى دون الحالة التى كان أتى عليها من بلاد الريف من نحو عشرين سنة ، ولم أعين أسمه لكونه معروفا بين أصحابى وغاب عن هذا المريد أن الشيخ مأمور بأن يكون له خبوة لا يدخلها إلا الخواص من أصحابه ومأمور

---

(١) الأفضل وقلوبهم حية .

(٢) فى الأصل (يتعدى) .

أيضا بأن يكون له زاوية تخص عموم أصحابه دون الأجانب من أبناء الدنيا ثم بتقدير أن الشيخ قال له أرجع يا منافق لا تدخل علي ، فيجب عليه تأويل ذلك على أحسن الوجوه . ويقول أن الشيخ سماني منافقا ، وما ذلك إلا لنفاق في ، فانه صادق بلاشك ، فيصير يفتش نفسه ليعرف صفات النفاق ، ويتوب منها . هذا الواجب ، وأما التكدر من نسبته إلى النفاق فهو عين النفاق . فاعرض يا أخي ما ذكرته لك في هذا الخلق على حال من يدعي الصدق تعرف ماله مقام . ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(٩١) ومن أخلاقهم ، أن يكون أمر أحدهم كله جدا لا لعب فيه ولا مزح ، وأن وقع من أحدهم شئ من ذلك عوقب عليه في المنام ، لأن عمل المريد في بدايته دائما ، إنما هو فيما فيه من ثواب أخرى ، ولا تكاد تجده في لغو ولا غفلة ولا سهو عن فعل شئ من الأمور التي تقربه إلى الله تعالى ، وقد وقع لي انني قلت مرة كلمة مضحكة من حال تدريس العلم ، فرأيت نفسي تلك الليلة مع خلبوص المغاني ، وأني مرافقه في سفر من مصر إلى أن اشرفنا على المحلة الكبرى فاستيقظت مرعوبا من ذلك لأني خلطت مع الشرع مالا يليق أن يذكر معه ، وسافرت إلى ورائي لا إلى قبلي ، أن أنحدرت[١] عن مقامي . والكلمة المضحكة إنني قلت لما قرأ علي يستحب أن يكون المؤذن أمينا . فقلت أنا : لا سيما إن كان بجانب المناره امرأة جميلة فاسقة ، فربما غمزها من المنارة وغمزته ، كما حكي إن امرأة كان بينها وبين مؤذن امارة ، وهي أنها إذا قال المؤذن في تسبيح الليل لا إله إلا الله ، وكان زوجها عندها تقول كذلك لا إله إلا الله حاضر ناظر ، فيعرف بذلك المؤذن ، فيمتنع عن المجئ إليها ، وإذا قالت لا إله إلا الله سبحانه

---

(١) في الأصل انحذرت .

وتعالى يدام المؤذن أن زوجها غائب فيأتيها ، وكانت تقصد بقولها «تعالى» أى يا مؤذن تعالى ، فإن زوجى غائب فلما حكيت هذه الحكاية ضحكت الجماعة فعوتبت فى المنام على ذلك ، وقيل لى تخاط مع تقريرك للشريعة غيرها ، فمن ذلك اليوم وأنا أتحرز من ذلك ، وقد أجمعوا على أن كل مريد خلط جدا بهزل لايجئ منه شئ فى الطريق ، فإذا كان فى مثل هذه الحكايا التى ذكرناها من أن فيها نصحا وتحذيرا للاخوان ، فكيف بالغيبة والنمية ونحوهما ، نسأل الله العافية . فاعرض يا أخى هذا الخلق على اخوانك ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(٩٢) ومن أخلاقهم ، إذ كان أحدهم تاجرا أن يفرح كلما خسر ، ويغتم كلما ربح ، إلا أن يكون المال لغيره ، وذلك لأنه كلما خسر فقد قرب من الفقر وضيق اليد ، وذلك من صفات الأولياء والصالحين ، وكلما ربح قرب من صفات الجبابرة والغافلين ، فعلم أن كل فقير ادعى الصدق فى محبة الطريق وحزن لفوات شئ من الدنيا ، فهو كاذب ، ويقع لى بحمد الله تعالى أنه يضيق صدرى كلما دخل على شئ من الدنيا ، وانشرح كلما منع الله عنى شيئا[١] من الدنيا ، فأشكر الله سبحانه وتعالى على ذلك . وقد وقع لشيخنا الشيخ نورالدين الشونى[٢] أنه دخل عليه مال من بعض التجار فاشترى به قمحا للتجارة ، فسوس كله ، فباعه بأنقص من رأس ماله ، قال : ففرحت بذلك غاية الفرح ، وعلمت بأن الله تعالى لم يرد منى الاشتغال بأمور الدنيا . انتهى ، وكذلك ما أخبرنى الشيخ الصالح عمر النبتيتى[٣] المكشوف

---

(١) وورث فى الأصل (شئ) .

(٢) سبق ذكره فى المقدمة وهو من أشياخه .

(٣) عمر النبتيتى : ذكره الشعرانى فى الطبقات مات نيف وتسعمائة .

الرأس أنه حصل له من بعض الولاة نحو ثلاثمائة دينار ، فأعطاها لشخص يتجر له فيها بينه وبين الله سبحانه وتعالى فجحدها وصار يقول : يا مسلمين الشيخ أبوشوشة مكشوف الرأس يدعى على باطلا بثلاثمائة دينار ، ايش بقى في الدنيا خير ، إذا كان هذا الصائم الدهر يدعى باطلا ، فكيف بغيره فدار مدينة الخانقاة كلها وهو يقول كذلك ، حتى خرست[1] . قال الشيخ عمر : فتركت مطالبته من ذلك اليوم ، وعلمت أن الله سبحانه وتعالى ، ماأراد لى الدنيا ، فله الحمد على ذلك . انتهى ، وكذلك وقع لى أنا وولدى عبدالرحمن بأن أخذ شخص منى ومنه خمسمائة دينار كنا جمعناها على اسم الحج بيننا وبين الله تعالى، فادعى أن الله تعالى أذهبها كلها من بين يديه وصار يقول فلان وولده ظلمونى ، وليس لهما عندى حق فأما الثلاثمائة التى تتعلق بى فسامحته بها فى الدنيا والآخرة وأما فلوس الولد فحبسه ، ووصل منه إلى غالب حقه ، فليفرح المريد التاجر كلما تاجر وخسر ، فان الله تعالى أراد به الخير ، وكل مريد تكدر لخسارته فى الدنيا . فقد تودع منه فى الطريق ، وهو من أبناء الدنيا لا من أبناء الآخرة فاعرض يا أخى ذلك على نفسك وأخوانك تعرف حالك وحالهم والحمد لله رب العالمين .

(٩٣) ومن أخلاقهم ، مبادرتهم إلى السعى فى إزالة الخجل من جليسهم إذا وقع فى شئ يخجله ، كما إذا كثر اللغو والهذيان ، فقال شخص من القوم وهو فى وسط الحكاية «الفاتحة» : يا جماعة ، وذلك بأننا نقرأ الفاتحة ثلاث مرات وأكثر ، ونكلمه كلاما طيبا ، ثم نسأله الدعاء ، فيقول فى نفسه لو كانوا ضجروا من كلامى ما قرأوا الفاتحة أكثر من مرة ولا سألونى الدعاء ، وهذا خلق ما رأيت أحدا من أقرانى يراعيه . فاعمل يا أخى بذلك ليعاملك الله بنظره إذا حصل منك ثقل لجليسك مع جماعة فيزيلوا خجلك والحمد لله رب العالمين .

---

(١) أى سكت .

(٩٤) ومن أخلاقهم ، أن لا يطلب أحدهم من الشيخ أن يجيبه عن كل ما سأله عنه ، فإذا وصف أحدهم لشيخه رؤيا رآها أو مكاشفة كاشفها أو مشاهدة شاهد منها أمرا ما وسأله عن مسألة ما من الشريعة ، فلا ينبغي له مطالبة الشيخ بالجواب ولو بباطنه ، لأن شيخه حكيم الزمان والمريد عليل محجوب عن رؤية ما ينفعه وما يضره ، وربما كان ذلك الجواب يضر بالمريد ، إذا اشتمل على أمر فيه تعظيم قدر للمريد ، وربما رأى نفسه بذلك على شيخه فسقط من حرمة الشيخ في قلبه بمقدار ما رأى نفسه عليه ، ووقعت الانابة منه عدم الانتفاع بكلام الشيخ ، وترك العمل بما ينصحه ، وإذا ترك العمل بما ينصحه به وقع الحجاب والطرد ، وإذا وقع ذلك خرج المريد عن حكم الطريق ، وأخلد إلى أرض الشهوات ، فمثله كمثل الكلب . نسأل الله العافية ، وكان سيدى يوسف العجمى[١] رحمه الله تعالى يقول : لاينبغى للشيخ أن يتكلم على ما يحكيه له المريد أو يسأله عنه البتة ، وإنما يعطيه من الأعمال ما يدفع به ما فى ذلك من المضرة أو الحجاب ، ويرقيه إلي ما هو أشرف من ذلك . فاعرض يا أخى ما قررته لك فى هذا الخلق على مريدى زمانك تعرف حالهم فى الأدب مع الشيخ ، ولا تنس نفسك والحمد لله رب العالمين .

(٩٥) ومن أخلاقهم أن لا يغتر أحدهم بطول صحبة الشيخ ، ويرى نفسه أفضل ممن صحب الشيخ بعده ، وأنه (أرقى)[٢] منه فى المقام لكثرة صحبته للشيخ وصدقه معه لا سيما أن صار المريد القديم خطيبا أو واعظا فما كل من سبق سبق ، ويجب على المريد إذا صار له جاه فى قلوب الخلق أن يحتمل زجر الشيخ له بين الناس وإخراجه

---

(١) يوسف العجمى ، سبق الاشارة إليه .

(٢) فى الأصل (أرقا) .

من الحلقة (فان)(١) جرا برجله ، فان الشيخ ما أخرجه من مجلسه إلا لمصلحة تعود عليه ، ومتى تكدر من شيخه لأجل ذلك ، فقد خرج عن الطريق ووجب عليه تجديد العهد ، وقد قالوا للشيخ : ثلاث مجالس ، مجلس للعامة ، ومجلس لأصحابه من المريدين ، ومجلس للخواص منهم ، كل واحد على انفراد ، ولكل مجلس كلام يخص أهله متى سمعه من ليس هو من أهله أضر بحاله ، فأما مجلس العامة فيجب على الشيخ أن لا يترك أحداً من المريدين يحضره ، ومتى سامح أحداً من المريدين في حضوره ، فقد أساء في حقه ، إنما الواجب عليه أن يأمره بالمجالسة معه على الانفراد ، وذلك حتى لا يسمع العامة أو غيرهم شيئا من زجره وتقريعه وتوبيخه ، وأن الواجب على الشيخ أن لا يغفل عن زجر المريد وتقريعه وتوبيخه ، وبيان أن الأمر الذي هو عليه حال ناقص عن مقامات الرجال وتنبيهه على زيادة همته ونقصها لأن لا يفتتن برؤية محاسن نفسه . وكان الشيخ محي الدين بن العربي رحمه الله تعالى ، فيقول : من شرط الشيخ إذا جالس العامة أن لا يخرج عن نتائج المعاملات من الأحوال والكرامات ، وذكر ما كان عليه أهل الله تعالى من المحافظة على آداب الشريعة وأحكامهم أياها ونحو ذلك انتهى ، وأما مجلس الشيخ مع خواص المريدين فشرطه أن لا يخرج عن نتائج الأذكار والخلوات والمراقبات والرياضات وإيضاح السبل إلى طريق المجاهدة إلى الممات المشار إليها بقوله تعالى : «والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا»(٢) ، فاعرض يا أخي ما قررناه في هذا الخلق على مريدي عصرك تعرف مقامهم ، ولعلك تجد أكثرهم يتغير منه كل شعرة إذا زجره شيخه من الجلوس معه ، وربما صار

---

(١) في الأصل (فهو) .

(٢) العنكبوت : ٦٩ .

ينقص في المجالس بسبب ذلك ، وربما كان الشيخ حالي زهده الأمراء من الجلوس في بيته لا يسعه شيء غير ربه عز وجل ، ويصاحب هذا المقام يزجر السلطان ولا يبالي به ، فاعلم ذلك ولا تنس نفسك والحمد لله رب العالمين .

(٦٠) ومن أخلاقهم عدم قناعة أحدهم بما حصل له من الحضور مع الله في غالب أوقاته ولا بما حصل له من التوكل والتسليم ، وغير ذلك من الأحوال في المقامات ، فان الأمر بداية ما تم فيه نهاية . وقد كان سيدى إبراهيم المتبولى[1] رضى الله عنه يقول (لا يكثر تعظيم أحدكم نفسه وإنما يرى نفسه دائما صغيرا اليد قدمه ومتاعه من امداد ربه عز وجل)[2] وكان يقول : لا يغتر أحدكم بما حصل له من الحضور مع الله تعالى في عبادة وترك ما سواه ، فان ذلك ليس من طبع النفس ، والآخر مثلها أن ما هو أمر عارض عرض لها فربما رجعت إلى طبعها من الغفلة والحجاب في أسرع من لمح البصر ، فعلم أن كل مريد لم يتفقد نفسه في كل ساعة ولحظة ، فهو مخدوع ولو كان من أكبر المشايخ فضلا عن المريدين ، قال تعالى : «أن الإنسان خلق هلوعا إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا»[3] ــ الآية ــ وكل رذيلة في النفس قد[4] أبان فيها أن الفضائل فيها مكتسبة لها ليس هي في جبلتها ، ومعلوم أن الأمور المكتسبة سريعة الذهاب من زهد وورع وإقبال على عبادة ، وغير ذلك ، فاعرض يا أخي هذا الخلق

---

(١) عاش زمن السلطان قايتباى الذى حقد عليه لالتفاف كثير من المريدين حوله بمصر ، وسافر إلى القدس حيث مات هناك في نيف وثمانمائة وثمانين هجرية .

(٢) وردت في الأصل : (لا يكثر تعظيم شهد أ[illegible]كم نفسه دائما صغير اليد قدم وضاعه من امداد ربه عز وجل ، والتصحيح لاستقامة المعنى .

(٣) الاسراء : ٨٣ .

(٤) وردت في الأصل (وأبان) .

على مريدى عصرك تجد غالبهم يقنع بأدنى شئ يحصل له فى الطريق ، ثم بعد مدة يسيرة ، يتحول ذلك عنه ويصير مسلوبا من كل خير ، حتى يظهر عليها لوائح المقت . نسأل الله العافية والحمد لله رب العالمين .

(٩٧) ومن أخلاقهم ، كثرة [illegible] على [illegible] قلوبهم من [illegible] (١) [illegible]

[illegible]

حتى يقول من [illegible] الله لكانت مجالسته تعالى ألف سنة عنده كلمحة ، ثم تنتهى بكمال محبة الله عز وجل وهى محبة المريد لشيخه وسهره مدة الليالى ، فإنه مرتبة ادنى للمريد ، فيقول : كيف أنام وشيخى سهران . فلا يزال كذلك حتى يصير يقول : كيف أنام وربى لا ينام ، فيكون نومه غلبة بعد ذلك . فيصدق الله تعالى لا ينقص له به رأس مال ، فاعلموا ذلك أيها المريدون ، والحمد لله رب العالمين .

(٩٨) ومن أخلاقهم ، كثرة ندمهم واستغفارهم إذا فاتهم مجلس ذكر ، فيتأسفون على ذلك أشد من تأسفهم على موت أولادهم وذهاب مالهم ، ولا يصير لأحدهم ذلك اليوم ميل إلى أكل ولا شرب ولا ضحك ولا جماع ولا غير ذلك من شهوات الدنيا ، حزنا على فوات مجالستهم لله تعالى ، بل لو مات أحدهم أسفا على ذلك ، لكان قليلا . فعلم أن كل مريد فاته ورد وأكل ذلك اليوم أو ضحك أو جامع حليلته ، فهو كاذب فى دعوى الارادة ، فاعرض يا أخى هذا الخلق على من شئت من المريدين تعرف صدقه أو كذبه ، ولا تنس نفسك والحمد لله رب العالمين .

---

(١) فى الأصل (لا يميل) .

(٩٩) ومن أخلاقهم أن يكون أحدهم حاذقا فى أمر دينه ، فقيها فى كل ما يقربه إلى الله سبحانه وتعالى وذلك من علامات صدقه فى الطريق (فيتحايل)[1] على تحصيل الفوائد ، كما يتحايل محب الدنيا على تحصيلها بل أشد ، لأن (الأعمال)[2] الأخروية أشرف من الدنيوية بالأعمال ، فإذا علم أن ليس الفراش يورث كثرة النوم نام على الحصيرة أو على الأرض من ذات نفسه ، ولا يحوج شيخه إلى أن يأمره بذلك . فإذا نام عن ورده إلى آخر الليل توضأ وقرأ فى صلاته بجوامع الكلم التى ورد أنها تعدل ألف آية أو نصف القرآن أو ربعه أو ثلثه كآية الكرسى ، وألهاكم التكاثر ، وإذا زلزلت ، والكافرون ، وسورة الإخلاص ، ونحو ذلك لا سيما أن وقع لهم فوق ذلك الورد أواخر أعمارهم ، فانه يتأكد القراءة والقراءة بجوامع التسبيح والتكبير والتهليل اغتناما للأجرين ، ضاق الوقت أو العمر ويطيل القراءة بالمعلومات على ما إذا اتسع الوقت ، كما صرح الفقهاء فى كتب الفقه، ثم الذى ينبغى لمن نام عن أول الموكب الإلهى مثلا ، أن يوبخ نفسه كل التوبيخ ، ولا يرى أنه جبر ما فاته من تطويل القراءة مثلا بجوامع الكلم التى قرأها لأن ذلك جعله الله رخصة لمن تعاطى أسباب كثرة النوم من الشبع والشرب وكثرة (الأذى)[3] ، ونحو ذلك فاعرض ياأخى ذلك على غالب المريدين فى عصرك تعرف مقامهم ولا تنس نفسك والحمد لله رب العالمين .

(١٠٠) ومن أخلاقهم كثرة محبتهم للفقهاء ولو بالغوا فى الانكار عليهم ، وعلى طريقهم لأن الفقيه ما ينكر إلا مالا يصل إليه فهمه ، فهو

---

(١) فى الأصل : (يتحيل) .
(٢) فى الأصل : (أعمال) .
(٣) فى الأصل مطموسة .

معذور في إنكاره من حيث أن الشرع أمره أن ينكر كل ما رآه من المنكر بحسب فهمه ، وإن لم يكن الأمر منكرا في نفس الأمر كما يشهد لذلك واقعة موسى مع الخضر عليهما الصلاة والسلام ، وأن موسى عليه الصلاة والسلام ما أنكر إلا ما علم أن الله سبحانه وتعالى أباح له ذلك لأنه معصوم من الله ، معذور فيما لم يعلم أن الله تعالى أباح له ذلك ، فكل مريد نفرت نفسه من الفقيه المنكر عليه ، فهو جاهل لا يجيء منه شيء في الطريق لمعاداته لحملة الشريعة الذين هم هداة الناس ، لا سيما إن كان لم يتبحر في العلم كغالب مريدين هذا الزمان الذين يتلمذون للأشياخ من غير علم بالشريعة ، فإن كراهته لأهل العلم من علامة مقت الله تعالى له كما عليه طائفة[1] فقراء العلاوية وبعض فقراء العجم ، فيقولون الفقهاء محجوبون عن الله ، والحال أنهم هم المحجوبون ، ولكن لا يشعرون ، فاعلم ذلك يا أخي وفتش نفسك فربما كنت أنت الآخر تكره الفقهاء المنكرين عليك ثم تصير تكاشفهم وتحسدهم وتباعدهم وتعاديهم . واعلم يا أخي أن الفقيه ما أنكر عليك إلا ما خالفت فيه ظاهر الشريعة بحسب علمه ، فاعلم ذلك والحمد لله رب العالمين .

(١٠١) ومن أخلاقهم أن لا يترك أحدهم درجة في جنة الأعمال إلا وله فيها نصيب ، وذلك بأن لا يدع شيئا من فعل المأمورات الشرعية إلا فعله ، ويفعل ولو مرة ، قال تعالى : «إنما تجزون ما كنتم تعملون»[2] . وقال تعالى : «أدخلوا الجنة بما كنتم تعملون»[3] . فمن لا عمل له لا يدخل جنة الأعمال ، كمن خلق مجنونا أو بهلولا وإنما يدخل

---

(١) في الأصل (طايفه) .

(٢) سورة : الطور ١٦ والتحريم ٨ .

(٣) سورة : النحل ٣٢ .

جنة الاختصاص والمنن . فإياك يا أخى أن تكتفى بنوع واحد من العبادات أو أنواع وتترك كثيرا من الأعمال ، فتحرم كثيرا من القربات ، فاجتهد أن تكون قارئا ذاكرا مهللا ، مشتغلا بالعلم ، كناسا للمساجد ، قاضيا لحوائج الناس ، حافرا القبور والآبار ، وقادا فى المسجد اماما طباخا طحانا عجانا زراعا حراثا ، وهكذا .. فلا يعوقك عن فعل شئ من ذلك إلا عدم قسمه لك والكسل والتكبر .

ومن هنا قالوا أن شرط المريد أن لا يوجد إلا فى عمل خير ، فتكون أوقاته كلها معمورة به ، فأعرض يا أخى ذلك على مدعى الصدق من مريدى عمرك ، تعرف حاله ولا تنس نفسك والحمد لله رب العالمين .

(١٠٢) ومن أخلاقهم الأخذ بالفال الحسن ، وترك التطير تأسيا برسول الله ﷺ ، فانه كان يحب الفال الحسن لأنه كالبشرى من الله عز وجل ، إذ لا يعلم أحد ما فى علمه تعالى حقيقة لا ملك مقرب ولا نبى مرسل . وهذا الخلق قليل من يراعيه لا سيما من غلب عليه شهود الشوابق من المريدين (فلا يبثوا)[1] أى فائدة فى سماع الفال ، ولا يعلم أحد ما فى علم الحق ، فيقال له إنما يفرح العبد بالفال الحسن طلبا لحصول ما يحب من حضرة الاطلاق التى يفعل الحق منها ما يشاء[2] ومن وقف مع السوابق فعل الأمر بالدعاء[3] وكثيرا من الأحكام وهو مثل من علم أن السماء فوقه والأرض تحته فوقف عند ذلك ، ولم يتعد إلى عجائب[4] ما فيها . انتهى ، وقد بلغنا أن رجلا قرع

(١) فى الأصل : (فيقوا) .
(٢) فى الأصل : (ما يشا) .
(٣) فى الأصل : (بالدعا) .
(٤) فى الأصل : (عجايب) .

باب الشيخ أبى مدين رضى الله عنه ، فرج إليه ولم يكن فى نية الشيخ أن يدخله بيته فى ذلك الوقت فقال له : ما اسمك ؟ فقال : أحمد الفائدة[1] من سادات القوم ، ثم أن أكثر من يقع فى مثل ذلك من يكثر من مطالعة كلام القوم من غير شيخ ، ويحفظ حكاياهم ، ويزعم أنه صار صوفيا ، فبمجرد ما يقف على باب التوحيد يقول : أنا وصلت ولو أنه كان له شيخ لأخذ بيده ورقاه إلى مقامات الرجال ، فأعرض يا أخى ما قررناه لك على مريدى عصرك تعرف حالهم ولا تنس نفسك والحمد لله رب العالمين .

(١٠٣) ومن أخلاقهم أن يكون أحدهم كثير النظر فى أخلاق شيخه ليتأسى بما فيها من زهد وورع وخشوع وقناعة وتفويض وتسليم وصبر وغير ذلك ، ولا يهمل أخلاق شيخه ، فلا يتخلق منها إذا مات شيخه يصير حكويا ، يقول كان شيخنا كذا وكان يفعل كذا ، ويقول كذا ، فيقول له ماذا اكتسبت من شيخك ؟ ولا يجد نفسه اكتسب شيئا وهذا الحال قد فشى فى غالب أصحاب مشايخ هذا الزمان ، ثم أنه مع عدم انتفاعه بشيخه الذى يزعم أن الزمان ما بقى يخلف مثله يغش نفسه ولا تصير نفسه تطاوعه أن يتلمذ لأحد ممن (لقيه)[2] أن يشممه شيئا من روائح الطريق ، فيا خسارة مثل هذا يوم يقوم الاشهاد ، وتنكشف أحوال أهل الدعاوى ، فالعاقل من تدارك ما فاته من شيخه على يد شيخ آخر ، ولم يغش نفسه ، فاعرض يا أخى ما قررته لك على من يدعى الصدق من مريدى عصرك ولا تنس نفسك ، ولعلك واخوانك لا تنكبس لكم نفس أن تأخذوا على أحد بعد شيخكم الذى لم ينتفع أحد منكم به ، فاعلم ذلك والحمد لله رب العالمين .

---

(١) فى الأصل : (الفايده) .

(٢) فى الأصل : (لقلة) .

(١٠٤) ومن أخلاقهم ، أن يزيد فى محبة كل من رآه يحب شيخه ، وذلك لبرقوا إلى محبة كل من يرونه يحب ربه ، ويعظمه ، فان كل محب لا يعظم إلا من أحب محبوبه ، وبذلك تعرف مقامات الرجال عند الله تعالى ، فحيث قام التعظيم لله تعالى فى قلب عبد من عبيده ، كائنا من كان وجب تعظيمه وتبجيله واكرامه ، ومن هنا عظم بعض الصالحين بعض العوام أكثر من تعظيمه طلبه العلم ، لما قام عند ذلك العاصى من التعظيم لله سبحانه وتعالى ، وقد كان شخص من جبلية الوالى اسمه الحاج أحمد ينام عندنا فى الزاوية سنين عديدة ، ثم بعد ذلك تحول وصار ينام فى مخزن اكتراه ، وكان عازبا . فقلت له ياحاج أحمد ما حملك على الخروج من الزاوية ؟ فقال : سمعت شخصا من المجاورين يخرج منه ريح ، وهو نائم فخفت أن يخرج منى ريح ، كذلك فى بيت الله وانا نائم فأسيئ الأدب ثم لم يزل ينام فى ذلك إلى أن مات رحمه الله . فانظر يا أخى تعظيم هذا لبيت ربه مع أنه من جبلية الوالى وأحد المجاورين يخرج الريح ليلا ونهارا لا يقطعه فضلا عن النوم ، ولا يرى ذلك سوء أدب مع الله سبحانه وتعالى ، فالعاقل من أخذ الأدب والحكمة من أى من جاء بها ، كذلك وقع لى لأننى كنت أسبح وردى بالسبحة الكبيرة فوضعتها بعد ذلك على البساط فرآها الحاج على المشرقى أحد أصحابنا فأمرنى أن أعلقها فى مسمار فى الحائط، وقال لى عظم ما تذكر اسم الله عليه ، فان وضع السبحة فى الأرض يعرضها لمس بعض أقدام الماشين ، وذلك سوء أدب مع الله سبحانه وتعالى ، فكذلك علقتها (فى المسمار)[1] وازددت محبة فى الحاج على المذكور من ذلك اليوم ، فانه قد مر على هذه السبحة خلائق من طلبة العلم وهى على الأرض ، فما قال لى قط واحد منهم ارفع هذه السبحة

---

(١) فى الأصل فى المسمار (من ذلك اليوم) وحذفت لعدم التكرار .

من الأرض ، كما أنى أنا لم أهتد لذلك إلا حين نبهنى الحاج على المذكور ، فجزاه الله عني خيرا فاعرض يا أخى هذا الخلق على مريدى عصرك تعرف حالهم ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(١٠٥) ومن أخلاقهم ، إذا (ضاق)[١] الوقت من قراءة كامل وردهم الذى فيه صلاة على رسول الله ﷺ أو استغفار للمؤمنين والمؤمنات ، وذلك لأن العبد ولو علمت رتبته يحتاج إلى ما يغذى مقامه ولا هكذا مقام الحق جل وعلا ، فانه غنى عن عباده وعن ذكرهم وعن تحميدهم له ، فبهذه النية يا أخى ، قدم قراءة الصلاة على رسول الله ﷺ ، على ذكر الله الخاص به ، وإيضاح ذلك أن الله غيور لا يحب يرى فى قلب عبده المؤمن محبة لغيره إلا أن يكون تسلك المحبة لأجله تعالى كمحبتنا الأنبياء والأولياء مثلا إنما هى لكثرة محبة الله تعالى لهم ، فإذا اطلع الحق جل وعلا أن محبتنا للأنبياء والأولياء مثلا إنما هى لأجله ، زادنا قربه ومحبة . فلاحظ يا أخى هذه الحكم فى محبة كل شئ يميل قلبك إليه ، فلا تحب شيئا[٢] إلا أن رأيت فيه مرضاة[٣] ربك . وهذا خلق غريب قل من يتخلق به ، فأعرضه على مريدى عصرك تعرف حالهم ولا تنس نفسك والحمد لله رب العالمين .

(١٠٦) ومن أخلاقهم أن يحذر أحدهم من مباسطة شيخه له واطعامه الطعام معه وتكليمه الكلام الحلو دون غيره ، فربما كان ذلك من الشيخ امتحانا أو أختبارا ، فإن قلوب الفقراء كقلوب الملوك لا تملك ، فيسامحون بأكثر الكثير ويؤاخذون بأقل القليل ، وكذلك ينبغى لأحدهم الحذر من نثر الشيخ الدراهم التى تأتيه من الزكاة مثلا فى

---

(١) فى الأصل (ضاقت) .
(٢) فى الأصل (شياً) .
(٣) فى الأصل (مرضاة) .

صحن الزاوية بين الفقراء ، فانه إنما يفعل ذلك ليظهر للمريدين هوان الدنيا عند الفقراء حتى لا يزاحموا عليها ، وليعرف بذلك حال من يبادر إلى التقاط تلك الدراهم كالأسد ، ومن يأتى إليها على هينته . ومن يتركها ولا يقوم لها تعففا ، ومن يتركها ولا يقوم لها تكبرا ، وفى قلبه المحبة لها بحيث أنه يود أن أحدا أعطاها له من غير قيام لها ، فيكن المريد على حذر من مثل ذلك ، فقد مقت خلق كثير باعتراضهم على شيخهم فى نثره الدراهم على الأرض وقولهم لو أنه أعطى لكل إنسان نصيبه فى يده كان أولى ، فان رسول الله ﷺ قد نهى عن النهب ، ونحو ذلك من الكلام الذى طعن على الشيخ وغاب عن هذا الممقوت أن النهى إنما هو فى حق من يؤذى بعضهم بعضاً حين الالتقاط وهذا الأمر مفقود فى حق غالب الفقراء فيؤذى[1] بعضهم بعضا ، فقال الشيخ : إنما هو ليؤدب من يؤذى رفيقه ليظهر ما فى مكنون سره من دعوى الزهد فى الدنيا وعدم الاكتراث لها أن الشيخ امتحن أصحابه بما شاء ليخرج أضغانهم ويطهرهم من خبائث الأخلاق ، فاعلم يا أخى ذلك واحذر منه أنت وأقرانك والحمد لله رب العالمين .

(١٠٧) ومن أخلاقهم كراهية تقبيل الناس لأيديهم إذا خرجوا إلى السوق وغيره وكراهة نزول الناس لهم عن دوابهم إذا رأوهم ، ونحو ذلك لغلبة ذلهم وحقارتهم عند الله سبحانه وتعالى فضلا عن خلقه ولكراهتهم مزاحمة الحق تعالى فى مشاركته الخلق له فى مسمى التعظيم ، فهم يحبون أن يكون التعظيم كله لله تعالى لا لعباده ، وربما مقتوا من قبل أيديهم أو نزل عن دابته لأجلهم غيرة لله سبحانه وتعالى وانتصارا لجنابه ، فلا تعتقد يا أخى أن أحدا من الفقراء الصادقين ينشرح لتعظيمه أبدا ثم أن هذا دأب الفقراء ما لم يتمكنوا فى مقام

---

(١) فى الأصل (يوذى) .

العبودية ، فإذا تمكنوا فيه صاروا يمنعون الناس من التعظيم لهم بقلوبهم من غير لفظ ولا إشارة ، فيخرج أحدهم إلى السوق وغيره ولا أحد يسأله الدعاء ولا يقبل يده ولا ينزل له إن كان ممن فنى اختيارهم فى إختيارهم فلم يصير له ميل ولا دفع لشئ . كان الشيخ أبوزيد[1] إذا خرج إلى السوق يزاحم الناس على الشيخ بمرقعته فلامه بعض أصحابه فى ذلك . فقال أنهم لا يتبركون بأبى يزيد ، وإنما يتبركون بخلعة الله علىّ . انتهى ، فمثل هؤلاء لا اعتراض عليهم لعدم القصد لجلب شئ أو دفعه ، فليفتش الفقير نفسه ، فإن لم يجد عنده داعية ، فليحمد الله تعالى وإلا فليستغفره . فاعرض يا أخى ذلك على من يدعى الصدق فى محبة الطريق تعرف حاله ولا تنس نفسك والحمد لله رب العالمين .

(١٠٨) ومن أخلاقهم ، أن لا ينشرح أحدهم بالرؤيا الحسنة التى يراها أو ترى له إلا إذا كان على وفق طريق الاستقامة ، فان كان مرتكبا ذنبا من الذنوب ، فإنما يكون ذلك استدراجا ، وقد قالوا أجهل الناس من ترك يقين ما عنده لظن ما عند الناس ، وقالوا كرامات أمثالنا إلى الإثم أقرب ، ثم إنها خلت من الاستدراج ، فلا ثقة ببقائها عليه ، ثم ان وثق بدوامها فهى خلق الله وحده لا تعمد له فيها ، وأيضا فإن الرؤيا الصالحة ، إنما تأتى تأييدا لضعيف اليقين لتزيده ، فى البقاء على دينه وكذلك الترغيب والترهيب لا يكون إلا لأعمى القلب[2] ، وأما من كشف الله عن بصيرته ، فلا يحتاج إلى شئ يبعثه على الطاعة ولا إلى شئ يقوى إيمانه ، فعلم أن كل من كثرت له المرائى الحسنة ، فليحذر منها لأنها مؤدية لضعف إيمانه ، وكذلك قلة كرامات

---

(١) يقصد الشيخ أبويزيد البسطامى .

(٢) المقصود المريد المبتدئ فى أول الطريق .

الصحابة بالنسبة لمن بعدهم لقوة إيمانهم ، فافهم ذلك وأعرض يا أخى ما ذكرته لك على مريدى الصدق من المريدين تعرف حاله ولا تنس نفسك والحمد لله رب العالمين .

(١٠٩) ومن أخلاقهم إذا تلقن أحدهم ذكرا على الشيخ أن يداوم على ذلك الذكر ليلا ونهارا حتى يقع له الفتح ، ويشعل قلبه بنار التوحيد والمعرفة ، وهذا الأمر قل أن يقع لأحد من مريدى هذا الزمان ، فربما تلقن أحدهم فخمدت نار شوقه بعد ثلاثة أيام ، ولذلك صار الشيخ يلقن المريد كذا كذا مرة ، وقد لقنت مرة فقيرا من البررة من جامع الأزهر ، وكان مجازا بالتدريس فى مذهب الإمام مالك فوهب كتبه كلها للناس ، وانقطع عندى بذكر الله سبحانه وتعالى على باب دارى فى خص ستة أشهر لايمل ليلا ولانهارا ، ثم وقع له الفتح ، ثم مات بعد ذلك بثلاثة أيام ، فهذا من أغرب ما رأيته من صدق مريدى هذا الزمان ، فالله يرزقنا واخواننا الصدق لله تعالى آمين . فان هذا صفة الصادقين ، وأما من يلتفت إلى شئ آخر غير ما هو مقبل عليه ، فهو كاذب . فاعرض يا أخى هذا الخلق على مريدى عصرك تعرف حالهم ولا تنس نفسك والحمد لله رب العالمين .

(١١٠) ومن أخلاقهم ، أن يرى أحدهم كل ما أمره به شيخه من الذكر أو المراقبة أفضل من سائر الفضائل التى لا يأمره بالاشتغال بها ، وذلك ليجد فى السير من غير التفات إلى أمر آخر ، ولو كان أفضل مما هو فيه عند قوم آخرين ، وليجزم فى نفسه أن الشيخ ما حوله عن الإشتغال بذلك الأفضل إلا لما رآه فيه من الآفات ، التى تطرق الخلق ، ولو أنه رآه سالما من الآفات فى ذلك لأمره به وحرم عليه العدول إلى المفضول من حيث أنه غش وتطويل على المريد فى الطريق ، ثم أكثر من يقع فى مخالفة الشيخ فى هذا الأمر طلبة العلم

فيصحب أحدهم الشيخ العشرين سنة وأكثر ، فلا ينتفع وذلك لأنه على الضد مما يقول له شيخه ، ويزعم أن كل ما يأمره به شيخه مفضول ، وما يشتغل هو فيه بنفسه أفضل . فأعرض يا أخي ذلك على من يدعي الصدق من المريدين تعرف حالهم ، ولا تنس نفسك والحمد لله رب العالمين .

(١١١) ومن أخلاقهم ، أن يتخلق أحدهم بالرحمة على العالم كله، حتى يسود أنه لم يكن في العالم شقي أبدا ، وهذا وإن كان محمودا في البداية فهو جهل بأحكام الله تعالى والله سبحانه وتعالى أرحم بخلقه من والديهم ، وهو الذي أخذ بناصيتهم إلى أفعال أهل الشقاء ، فالرحمة للخلق حد لا تتعداه ، ولكن الكامل من يرجح مراد ربه على مراد نفسه ، ولا يطلب أن يكون العالم كله سعيدا بهوى نفسه ، فان الناس إنما يدخلون الجنة برحمة الله لا بأعمالهم لأن أعمالهم كلها خلق الله تعالى ، وليس لهم فيها مدخل إلا من حيث كونهم محلا لظهورها على جوارحهم فسواء عند الكامل زادت المعاصي على الطاعات أم أنعكس الحال ، وإنما يأمر الناس ويحثهم على الخير امتثالا لأمر الله له بذلك فافهم . وأعرض يا أخي ذلك على من يدعي الصدق من مريدي عصرك تعرف حالهم ولا تنس نفسك والحمد لله رب العالمين .

(١١٢) ومن أخلاقهم أن يكون أحدهم حاذقا يعرف نفاسة كلام شيخه ولا يحوجه إلى تزكية نفسه أو كلامه ، كما يقع في ذلك أعمى القلب من المريدين الكذابين ، وربما زكى الشيخ نفسه بحضرة من لا خلطة له بأهل الطريق ، فينكر على الشيخ ، فيخرج ممقوتا لا يفلح في الدنيا ولا في الآخرة . وقيل أن المريد إذا كان حاذقا لا يحوج شيخه إلى تزكية . وأن الشيخ إذا كرر مسألة[1] على مريد أو قال له احفظ

---

(١) في الأصل (مسئله) .

منى هذه المسألة التى لا تجدها عند غيرى ، فإنما ذلك لكونه رآه متساهلا بها لا يعرف نفاستها ، فأراد الشيخ بتلك التزكية باب الاعتناء بها . فاعلم ذلك وأعرضه على من يدعى الصدق من المريدين ولا تنس نفسك والحمد لله رب العالمين .

(١١٣) ومن أخلاقهم أن لا يدخل أحدهم على شيخه إلا لأجل شيئين ، أما الخدمة له ، وأما طلب ارشاده إلى ما فيه صلاحه فمن لا خدمة عنده وطلب ارشاده ، فدخوله على الشيخ سوء أدب لا سيما أن سحب سبحته وسبح عليها بغير اذنه ، فانه ربما مقت . كما وقع ذلك لمريد يوسف العجمى رضى الله عنه[١] ، وقد أجمعوا على أن أقل ما يفعل الفقير مع الشيخ من الأدب أن يُعظم ويُحترم ، كما يحترم السلطان لايدخل عليه أحد بغير اذنه ولايمسك أحد سبحته بغير أذنه ، فاحترم يا أخى شيخك فانه عوان حالك مع ربك (ولا تجنح)[٢] لمن رخص فى ذلك ، فانه غش لك . فأعرض يا أخى هذا الخلق على من يدعى الصدق من مريدى عصرك ، فان رأيته يتكدر من شيخه إذا زجره ومقته حتى يدخل عليه بغير حاجة . فأعلم أنه كذاب فى دعوى محبة الطريق ولا تنس نفسك والحمد لله رب العالمين .

(١١٤) ومن أخلاقهم إذا واظب أحدهم على مجلس الذكر أن لا يرى له بذلك مقاما على من لم يحضر ذلك المجلس الا من حيث ذكر الله تعالى لا غير بل الواجب على كل عبد أن يرى الفضل لله تعالى الذى أهله لأن يجلس بين يديه ويجالس المجالسين لله تعالى من المشايخ والملائكة ، الذين يحضرون مجالس الذكر ، وهذا الخلق يقع فى مخالفته غالب من لا قدم له فى الطريق ، ويقول فى نفسه لولا

---

(١) سبق الإشارة إليه .

(٢) مطموسة فى الأصل ووضعت ليستقيم المعنى .

حضوري لبطل هذا المجلس ، فليحذر الفقير من مثل ذلك ولا يحضر مجلس الذكر إلا خائفا من الله تعالى ، كالمجرم إذا أتوا به إلى الوالى ليعاقبه ، فهو يخاف من العقوبة ، ولا يرجوه أن يخلع عليه . فافهم وأعرض هذا الخلق على من يدعى الصدق من مريدى زمانك ولا تنس نفسك والحمد لله رب العالمين .

(١١٥) ومن أخلاقهم عرض أحدهم صحيفته على شيخه كل يوم ولا يكتم عليه شيئا ، وذلك لأنه أمين عليه من جهة الله عز وجل ، ومتى كتم عنه شيئا من أحواله حياء منه ، فقد غش نفسه ، فان الأشياخ لا يزدرون أحدا بجريان أقدار الله تعالى فيه ، فان العبد عاجز عن رد أقدار الحق تعالى التى قدرها عليه وكان بعضهم يقول إذا أحس بوقوعه فى مخالفة «اللهم انك تعلم عجزى عن رد أقدارك النافذة فى ، فاغفر لى وسامحنى». انتهى . ومن فوائد عرض المريد صحيفته على الشيخ تخفيف وقوعه للحساب يوم القيامة ، فان الشيخ نائب عن الله[١] تعالى فى مناقشة المريد ومحاسبته فى دار الدنيا ، فان رأى العقوبة أصلح له عاقبة ، وإن رأى الشفاعة خير له شفع فيه ربه عز وجل ، واستغفر الله له ، وكل من كتم عن شيخه زلة ، فياطول حسابه وقت يتجاوز الحق عنه ، فعلم أن الصادق هو من لا يكتم عن شيخه شيئا من نقائصه وعيوبه بالعكس . فاعرض يا أخى ذلك على من يدعى الصدق من مريدى زمانك تعرف حاله ولا تنس نفسك والحمد لله رب العالمين .

(١١٦) ومن أخلاقهم أن يرجع أحدهم باللوم على نفسه إذا خرج للفقير عن شئ من ثيابه مثلا ، ثم رجع إليه ثانيا ، فيقول لنفسه : لولا

---

(١) يرى للصوفية أن الشيخ بمثابة المدرب المبتدئ فى طريق الله ومتى تعلم العوم فانه يجيزه .

علاقة محبتك لما خرجت عنه أولا ولم يرجع إليك ثانيا ، ولو كنت (صادقة)[١] لم يرجع إليك بوجه من الوجوه ، وقد أرسلت مرة صوفي وفروتي إلى السوق ، فعرفهما شخص من المحبين ، فأعطى النقيب ثمنهما ووهبهما إلي . فرددت الثمن عليه ، فلم يرض ، ثم بعد ذلك أرسلتهما أيضا إلى السوق لأشتري للعيال بهما شيئا من الحبوب ، فصادفهما محب أيضا فردهما أيضا ، وأعطى الثمن للفقراء ، حتى وقع لي ذلك خمس مرات ، ففتشت نفسي فاتهمتها أن عندها علاقة في محبة الشهوة بالايثار ، فحلفت أني ما عدت أقبلهما بوجه من الوجوه . فاعرض ذلك على من يدعي الصدق يا أخي من المريدين تعرف حاله ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(١١٧) ومن أخلاقهم ، لا يقرضون أحد بنية طلب القرض إنما يعطون المحتاج ما طلبه ولا يحدثون أنفسهم بأنهم يأخذون منه عوضا في الدنيا والآخرة ، إذ الحال الذي عند كل عبد إنما هي آلة حقيقة والعبد كالوكيل لصاحب المال فيعطي كل محتاج بقدر ما أشار به السيد ، فلو أتاهم المقترض بعد ذلك بالعوض لا يأخذونه منه لأنفسهم من مال لعبيد الله أبدا ، ثم قصدنا قريبا أن رجوع العوض الكثير عن علامة وجود علاقة في قلبه ، إذ ذلك الأمر الذي أعطاه وإنه لو صادق لم يرجع إليه عوض أبدا ، فاعرض يا أخي هذا الخلق على من يدعي الصدق من مريدي عصرك تعرف حاله ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(١١٨) ومن أخلاقهم ، ترك الالتفات إلى وراء إذا مشوا في طريق الظاهر والباطن ، وإذا إليتفتوا لحاجة التفتوا جميعا إظهارا لمقام أخيهم ووفاء حقه وإظهارا للفاقه والحاجة إلى ما التفتوا لأجله من

---

(١) المقصودة (صادقة يا نفسي) .

حوائج الدين . نادى رجل أبا بكر الشبلي[١] رضي الله عنه من خلفه ، فلم يجبه . وقال : أما علمت أن الفقراء لا يلتفتون إلى وراء لغير ضرورة ولا يجيبون من ناداهم من خلف القفا كل ذلك لتعلق همتهم بما أمامهم من دوام السير إلى حضرة الله تعالى شوقا إلى أهلها كم يجد المسافر في السير إذا قرب من معالم بلاده شوقا إلى وطنه وأولاده وزوجاته . فاعلم ذلك وأعرض هذا الخلق على مريدي زمانك تعرف حالهم ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(١١٩) ومن أخلاقهم التصدق عقداً بقلوبهم على جميع عباد الله تعالى بأعراضهم وذمامهم وأموالهم ولا يظلمون أحدا بشئ في الدنيا والآخرة بالأشياخ وأصول الشرع (فعضد)[٢] هذا الفعل ، فإنه من باب العفو ومكارم الأخلاق ، وقد ورد النص في ذلك ، وهم الذين يكون أجرهم على الله سبحانه وتعالى ، وفي الحديث أيضا مرفوعا لا يستطيع أحدكم أن يكون كأبي ضمضم كان إذا أصبح يقول : اللهم إني قد تصدقت بعرضي[٣] على عبادك انتهى . لكن لا يخفى أن التصدق بما ذكر لا يصح إلا من جانب حق العبد ، إما من جانب حق الله تعالى ، فلا يصح عمله ، فان على كل من استغاب الناس إثما زائدا على الاثم الحاصل بالضرر للمغتاب من حيث أن المستغيب تعدى حدود الله بعد نهيه عنها ، فعلم أن كل من تكدر من كلام الناس فهو لا يشم رائحة لأهل الطريق ، فضلا عن كونه يقع في أعراض من اغتابوه ، وقد كان سيدي إبراهيم المتبولي رحمه الله يقول إذا مات له عدو يحزن عليه ، ويدعوا له بالمغفرة والرحمة ، ويقول لا إله إلا الله مات

---

(١) في الأصل (أبوبكر الشيابي) .

(٢) في الأصل (تعضد) .

(٣) المقصود : إنه يتصدق بحقه فيمن اغتابه .

من كان يحصل لنا على يديه الخير(١) من حيث حملنا الأذى منه وإن لم يقصد هو ذلك . فاعرض يا أخي هذا الخلق على مريدي عصرك تعرف حالهم ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(١٢٠) ومن أخلاقهم عدم الازدراء لأحد من خلق الله عز وجل ، لأنه من شعائر الله ، فالذرة الصغيرة كالعرش العظيم من حيث أن خالقهما واحد وهو الله عز وجل ، وكان سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى يقول : لا يزدري أحدكم شيئاً [illegible] فإن الله تعالى لم [illegible] عظم الله ويحقر ما حقر الله ، فيقدم الخير على الشر والآدمي على الكلب والعدل(٢) على الفاسق ، وما أشبه ذلك ، مع علمه بما الأمر عليه في الباطن ، وكان الشيخ محيي الدين بن العربي رضي الله عنه يقول : لا يكمل الفقير في مقام العرفان حتى يحسن إلى كل بر(٣) وفاجر وناطق وصامت وظاهر ونجس تخلقا بأخلاق الله تعالى ، ولقد حدثني الوجيه المقدسي بمدينة ملطية إنه كان بمدينة بخارى وآلي ظالم فركب يوما فرأى كلبا أجرب (يرعد)(٤) من البرد ، فقال لبعض غلمانه : ارفعوا هذا الكلب ، وأحسن له ودفأه من البرد ودهنه ، فلما كان الليل نودي في منامه ، يا فلان كنت كلبا فوهبناك للكلب(٥) . فانظر يا أخي كيف أثر ربي هذه الرحمة بهذا الكلب ، فكيف برحمة الفقراء والمساكين ، وفي الحديث في كل كبد حرى أجر(٦) ، واعلم أن

---

(١) لأن الخير يأتي في رأي الصوفية من كظم الغيظ والعفو والاحسان لمن أساء إليه ، فإذا مات المسيء امتنع هذا الخير .
(٢) أي العادل .
(٣) من أهل الخير .
(٤) يرتعد .
(٥) يقصد أن الله رحمه لا حسناته الكلب .
(٦) ورد هذا الحديث .

المريد الصادق لا يزدرى أحدا من الظلمة ولا يستبعد وقوع الرحمة لأحد منهم ، فربما يكون لكل فعل لهم مذموم كفارة أو يكون الله تعالى يغفر لهم كلما أذنبوا أولا فأول . وكان سيدى على الخواص رحمه الله يقول : من شرط الفقير الصادق أن يستعظم ذنبه ويستغفر ذنوب الناس . انتهى ، فاعرض يا أخى هذا الخلق على من يدعى الصدق من مريدى عصرك تعرف حالهم ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(١٢١) ومن أخلاقهم ، أن لا يفتح أحدهم باب التصدر لقضاء حوائج الناس إلا بعد فراغهم من تهذيب نفوسهم وكمال رياضتها ومعرفتهم بطريق السياسة ، وكل من تصدر لذلك قبل كمال رياضة نفسه فهو طالب رئاسة[١] فى غير محلها . وفى ذلك من التعب والرياء والنفاق مالا يخفى ، وكان سيدى إبراهيم المتبولى رحمه الله يقول : ربما تصدر العبد لقضاء حوائج الناس قاصدا بذلك نشر الصيت والثناء الجميل لا سيما أن عكف أصحاب الحوائج على بابه وخدموه ، وأهدوا إليه الهدايا وقبلها فانه يهلك ويزداد غرورا . وتقول له نفسه : لولا أنك مخلص فى ذلك ما عكف الناس على بابك ولا خدموك هذه الخدمة ، وربما لامه أحد من اخوانه على ذلك ، فيقول : أنا لا اختيار لى مع الله تعالى ، وقد أجمع القوم على وجوب تقديم تخليص نفسه من الشوائب على تخليص غيره . وإن كان كل منهما واجبا إذ الغريق لا يطالب بإنقاذ غيره من الغرق إلا إذا خلص من الغرق ، وكان الشيخ محى الدين رضى الله عنه يقول : من تصدر لقضاء حوائج الناس قبل تخليص نفسه من أسر هواها وسخرية الشيطان بها فهو مفتون ، لأن كل عمل لا يراد به وجه الله تعالى ، فهو كالهباء المنثور ، وقال ﷺ :

---

(١) فى الأصل (رياسه) .

من أخذ بكلام في سبيل الله والله أعلم بمن تكلم في سبيله(١) ، فأعلمنا ﷺ أنه ليس كل من قتل في صف القتال يكون مقتولا في سبيل الله عند الله . فاعلم ذلك واعرض ما قلناه لك على من يدعي الصدق على مريدي عصرك تعرف حالهم ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(١٢٢) ومن أخلاقهم ، القناعة باليسير من الدنيا سواء كان دراهم أو أكلا أو شربا أو ملبسا أو نوما أو لغوا أو جماعا ، ونحو ذلك بخلاف أحوال الآخرة فلا يقنعون منها باليسير لحديث لا يشبع مؤمن من خير ، وقد عد القوم القناعة من الدنيا بوقوف النفس كلما رزقت من غير تشوق إلى زيادة . وكان سيدي على الخواص رحمه الله تعالى يقول : لا يكمل المؤمن في مقام العبودية حتى يشهد أعماله كالهباء ، وإن كانت كالجبال من حيث الكثرة ، وهذا الخلق قد صار نادرا في مريدي هذا العصر فأعرضه عليهم تجد غالبهم لا يشبع ولا يقنع من الدنيا ، ولا تنسى فأعرضه على نفسك والحمد لله رب العالمين .

(١٢٣) ومن أخلاقهم الشكر على الضراء كما يشكرون الله على السراء ولا يتجرد أحدهم من ثوب يعطيه لأحد إلا على طهارة ، وكذلك من أخلاقهم أن لا يحلقوا شعرا ولا يقصوه ولا يقصوا أظفارا إلا على طهارة عملا بحديث الملائكة الكرام الكاتبين في قولهم أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون ، ومعلوم «أن صلاة كل شئ بحسب ذلك الشئ ولا تصح الصلاة من شئ إلا على طهارة ، كما أوضحنا الكلام على ذلك في كتاب المنن الكبرى ، وكذلك من أخلاقهم غض البصر عن فضول النظر والأسراع في المشي وفي الحديث من أراد أن لا يلحقه تعب في مشيه فليشد وسطه ويقارب خطاه أو كما قال وذلك أبعد عن الزهو والعجب ، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه لا

(١) ورد هذا الحديث لم نجد له أصلا .

يفارق البرنس صيفا ولاشتاء ، يقول أن يكف البصر عن فضول النظر. انتهى . ومن لم يجد البرنس فليرخى الطيلسان عن عينيه بحيث لا يرى إلا موضع قدميه ولا يكلم أحدا حتى يرفعه ، وكان على ذلك شيخنا شيخ الإسلام زكريا رحمه الله كانت طيات عمامته بيده حتى يكلمه ثم يرخيها . فاعرض يا أخى هذا الخلق وما قبله على مريدى عصرك تعرف حالهم ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(١٢٤) ومن أخلاقهم ، العمل على تنظيف قلوبهم من كل شئ يحجب عن الله تعالى حياء منه تعالى ، وكان سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول : لا يبلغ أحد مقام الاستحياء من الله تعالى حق الحياة حتى يطلع الحق فى سريرته وحركاته وسكناته ، فلا يرى شيئا يكرهه . وفى رواية أخرى حتى يطلع الحق جل وعلا فى قلبه ، فلا يرى فيه (رئاسة)[1] لغيره ولا شوقا إلا إليه ولا حبا إلا لله ، وفيه ومنه . وفى رواية حتى يطلع على سريرته فلا يرى فيها إلتفاتا لغيره ، انتهى . فاعرض يا أخى ذلك على مريدى عصرك تعرف حالهم ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(١٢٥) ومن أخلاقهم غلبة الرجاء عندما يريد سلطان القنوط أن يتحكم فيهم ، وفى غير هذه الحالة ، فالخوف لهم أكمل وأجمل ، وكذلك من أخلاقهم الانقباض إذا رأوا منكرا فى الشرع ايثارا لجناب الشرع ، كما أن من أخلاقهم التعامى عن عيوب الناس حتى لا يصيروا يعتقدون فى المسلمين إلا خيرا وكان سيدى على الخواص رحمه الله يقول : لا يكمل الفقير فى مقام الإرادة حتى يعمى عن مساوئ الناس كلها ، فلا يشهد فيهم إلا خيرا ، وذلك عنوان على أنه يصلح فى الطريق وكل مريد شهد نقائص الناس فهو شر الناس لأنه

---

(١) فى الأصل (مطموسة) .

لا يشهد في الناس إلا صورة نفسه ، ولو انه كان تنظف من الرذائل كاملا . لم يشهد في الناس إلا خيرا وسمعته يقول : يحتاج المريد أن يكون له عينان ، عين ينظر بها في كمال الناس ، وعين ينظر بها إلى ما وقع منهم من البدع والمعاصي ، ينكرها عليهم . فقد أجمعوا على أنه يجب على كل مسلم نشر محاسن الخلق وستر مساوئهم إلا المبتدعة ، فإنه يجب على كل مسلم أن يعرف الناس أحوالهم ليأخذوا منهم حذرهم من باب الرحمة بهم وبالمسلمين ، فإن على المبتدع وزر كل من تبعه زيادة على اثمه هو ، وهذا معدود من جملة اماطة الأذى عن الطريق ، إذ لا فرق في الأذى بين اماطته في الطريق الظاهر أو الباطن[1] ثم أن أكثر من يقع في خيانة العمل بهذا الخلق من لا شيخ له من المريدين من أوائل دخوله الطريق . فاعرض يا أخي ذلك على من يدعي الصدق من أهل عصرك تعرف حالهم ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(١٢٦) ومن أخلاقهم طرح الميل إلى الكونين بقلوبهم إلا بقدر الضرورة بحيث لا يحجبهم ذلك عن شهود الحق جل وعلا في سماعه من ليل أو نهار ، وكذلك من أخلاقهم اعطاء المحتاجين كل ما بأيديهم فلا يتركون منه إلا ما دعت ضرورتهم إليه ، وكل مريد منع المحتاج بغير ضرورة ، فهو من أبناء الدنيا لم يشم من طريق القوم رائحة ، ثم إذا بلغ مقام الكمال ، فله ميزان آخر خلاف هذا وهو أن يقدم حاجة نفسه على حاجة غيره لحديث : «الأقربون أولى بالمعروف» ولا أقرب للانسان من نفسه ، بل هي حقيقة ذاته ، وما مدح الله المؤثرون على أنفسهم إلا تقوية لقلوبهم ليخرجوا عن ورطة الشح الذين فتحوا عيونهم

---

(١) هذه النظرة العميقة تميز بين الرحمة والعدل ، وهذا يلاحظ في المتزمتين عند تطبيقهم لأحكام الله . أما الذين خلصت قلوبهم فيمتازون فضلا عن العدل بالرحمة .

فى الدنيا عليه ، فانه من أقبح الصفات فى المؤمن ، فإذا خرج عن ذلك صار لا يرى إنه آثر أحدا بشئ من رزقه هو وإنه ما اعطى الناس إلا ما قسمه الله لهم وإن لم يكن قسمه له لا يمكن أن يعطى غيره منه ذرة ، وهناك يؤمر بالبداية بنفسه عملا بحديث «ابدأ بنفسك ثم بمن تعول» . فأما من قال الإيثار مطلقا أفضل (والبداية)[1] بالنفس مطلقا ، فهو يبلغ مقام الكمال . فاعرض يا أخى ما قررته لك على مريدى عصرك تعرف مقامهم ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(١٢٧) ومن أخلاقهم التباعد عن كل ما للنفس فيه غرض طبيعى لا شرعى ، كأن يتناول شهوة بغير شهود الحق جل وعلا ، على جهة التمنى والتعنى والطلب لها ليخرج من سبقت له تلك الشهوة بغير تعب، ولا سؤال ، فإن مثل هذا له أكلها وتناولها إلا أن يكون فى مقام المجاهدة أو فى مقام توفير اللذة فى مواطنها الحقيقية وكان على هذا القدم الامام عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وأبو ذر[2] واضرابهم ، وورثهم فى ذلك عمر بن عبدالعزيز وعتبة الغلام وبشر الحافى وجماعة كسيدى عبدالعزيز الديرنى وسيدى عهد الله المنوفى والشيخ عبدالحليم ابن مصلح ونحوهم ، فليس لمن هو فى مقامهم أن يتناول شيئا من طيبات الشهوات . وكان إبراهيم بن أدهم رضى الله عنه يقول : الدنيا حرام على أهل الآخرة والآخرة حرام على أهل الله عز وجل . انتهى ، فاعرض يا أخى ذلك على مريدى عصرك تعرف حالهم ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(١٢٨) ومن أخلاقهم ، أن يعملوا على تحصيل الحضور مع الله تعالى فى جميع عباداتهم ولا يفترون بشئ لم يحصل لهم فيه حضور

---

(١) فى الأصل : (البداة) .

(٢) أبو ذر الغفارى .

لأن ما لا حضور فيه عادة لا عبادة والأمور العادية لا ثواب فيها ، ولا تقرب إلى حضرة الله ، فإن الله تعالى يقول للملائكة الكرام الكاتبين : اكتبوا عمل عبدى فلان واكتبوا أين كان قلبه حال العمل لأجازيه بمثله . انتهى ، وربما كان عمل العبد فى عينه كالجبال الرواسى ولا يتحصل منه قيراط واحد من أربعة وعشرين قيراط ، وما كان كذلك فهو إلى الاثم أقرب ، وقول بعضهم إذا حضر العبد فى جزء من صلاته يشفع ذلك الجزء فى بقية الأجزاء ، فيقبل الله شفاعته فضلا منه ورحمة من باب الترخيص لا ترقى بها باجماع القوم ولا دليل على ما قاله هذا البعض من كتاب ولا سنة ، وأين مقام الحاضر مع الله من مقام الغافل عن الله ، وكان سيدى على الخواص رحمه الله يقول : لو فتش الفقير من نفسه لوجد عبادته طول عمره لا تساوى عبادة العارف بالله تعالى يوما واحدا ، وقد قال أبو عبدالله الحصرى للشبلى وهو مريد : يا أبا بكر ان خطر ببالك من الجمعة إلى الجمعة غير الله ، فلا تأتينى فإنه لا يجئ منك شئ فى الطريق ، فانظر تكليف الحصرى لمريده بالحضور من الجمعة إلى الجمعة فى صلاة أو غيرها ، فكيف بمن لا يحصل له ذلك فى صلاة من الخمس فضلا عن النوافل . فعلم بما قررناه أن عبادة أكثر مريدى هذا الزمان لا ترقى فيها لاشتغال قلوبهم بغير الله تعالى . فاعرض ذلك على من يدعى الصدق من مريدى زمانك تعرف حالهم ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(١٢٩) ومن أخلاقهم ، زيادة الاحترام لاخوانهم الذين لا لسان لهم ولا يد يقابلون به من يؤذيهم فان الله تعالى يكون خصما لكل من أذى مثل هؤلاء فانهم كالأيتام فى حجر تربية الحق جل وعلا ، فيأخذ لهم حقهم من خصمهم ولو لم يسأل الله تعالى ذلك ، ومن كان من المريدين يؤذى اخوانه بغير حق فهو عدو الله تعالى رضى الله كيف يدعى أنه يصحب طريقه . فاحذر يا أخى من أن تؤذى من كان من

اخوانك بهذه الصفة ، فإن المقت أسرع إليك من السل إلى منتهاه ، ولذلك عدم فقراء الزاوية المشاحنون لاخوانهم النفع وصحبوا أهواء أشياخهم حتى ماتوا فلم يفتح على أحد منهم ، ولو أنهم كانوا صادقين فى طلب الطريق لعظموا كل من انتسب إلى الله تعالى ، واكتفى بعلمه فيه . فاعرض يا أخى ذلك على فقراء عصرك تعرف حالهم ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(١٣٠) ومن أخلاقهم ، لبس المرقع من الثياب بالنسبة الصالحة لا بقصد التميز عن الاخوان ، ففى الحديث الشريف : «شر الناس من أشار الناس إليه بالأصابع» اللهم إلا أن يكون مع جماعة كلهم لابسين المرقعات كجماعة سيدى عبدالعزيز الديرينى[1] وسيدى عبدالله المنوفى[2] واضرابهم ، فمثل هؤلاء لا بأس بموافقتهم فى لبس المرقع ولهم فى مثل ذلك مشاهد صالحة منها أعلام الناس أن دينهم ممزق مرقع كل فى سائر أقوالهم وأفعالهم ، فليس لهم عمل صحيح كله أبدا . ومنها تخفيف (المؤنة)[3] على اخوانهم إن لم يكن لهم كسب يسترهم بين الناس ، وقد كانت المرقعات عندهم تحته دو ، فصارت سترا[4] تحت فواحش وقبائح ، لو اطلع عليها الناس ما سلموا على أصحابها ، ولقد أنشد فى ذلك الشيخ العارف بالله تعالى الخطيب بن أحمد الفيومى فقال : من جملة أبيات :

واها لغفلة إنسان ينام ∴ وقد صاح المشيب به ياصاح اوسمعا

حتى إذا زادت الآثام واجتمعت ∴ عليه فرقت الأيام ما جمعا

---

(١) راجع فهرست الأعلام .

(٢) راجع فهرست الأعلام .

(٣) وردت فى الأصل (المونة) .

(٤) يقصد سترا تحت فواحش .

يا من يكاثر بالدنيا وهمك هل ∴ رأيت مالا غدا [illegible] متبعا
ثم من قنع بشيء الدنيا ورقعها ∴ تراه في النار يوم الحشر [illegible]
له اشتمال على جمع الحطام ولو ∴ من [illegible] تراه يشتكي الورعا
ويلبس الثوب قد خيطت به رقع ∴ وليس من [illegible] الله قد قرعا
فلو نظرت إلى مكنون باطنه ∴ رأيت أحشاءه [illegible]
لو كان يعرف ما لبس المراقع لم ∴ يكن بتلبيسه قد دنس الرقعا
إن المراقع في أربابها صدف ∴ الدر من كدر الأغيار قد منعا
فإن أردت طريق الحق تسلكه ∴ فكن عن الميل للأهواء منخلعا
وانبض على السنة الغراء بيديك تكن ∴ ومن لآثار خير الرسل تبعا

إلى آخر ما قال .

ثم اعلم يا أخي أن السلف الصالح ما خاطوا المرقعات اختيارا ، وإنما ذلك لضيق أيديهم عن الحلال ، فلا تظن أنهم كانوا كفقراء هذا الزمان من الأحمدية والبرهامية والسهروردية[1] ونحوهم ممن يقطع القماش الملون اختيارا ويخيطه بعد ذلك فإن ذلك كله حظ نفس لا يزداد به صاحبه عن حضرة الله إلا ادبارا ، وقد رأيت من صرف على مرقعة نحو أربعمائة نصف ، ولو أنه لبس بهذا الثمن جوخة أو صوفا لكان أفضل له وأحسن . وقد عد أشياخ الطريق لبس المرقعات من الموت الأخضر على النفس فخرج من يفرح بلبس المرقعات وقالوا لابد لكل مريد أن يموت أربع موتات : الموت الأحمر وهو مخالفة الهوى ، والموت الأبيض وهو الجوع ، والموت الأسود وهو تحمل الأذى من

(١) الأحمدية هي طريقة العارف بالله أحمد البدوي ، والبرهامية على طريقة سيدي إبراهيم الدسوقي ، والسهرودية هي طريقة شهاب الدين السهروردي .

الناس ، والموت الأشنص وهو طرح الرقاع ، فما عدوا ذلك موتاً إلا لمخالفته لهوى نفوسهم ، وأما إذا وافق هواها ، فذلك من جملة حظوظها . انتهى . وقد بسطنا الكلام على ذلك فى كتاب المنن الكبرى فراجعه . واعرض يا أخى ما ذكرته هذا على مريدى عصرك تعرف حالهم ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(١٢١) ومن أخلاقهم ، إذا وسع الله عليهم الدنيا أن لا يأكلوا الطعام الدسم اللذيذ أو الحلو مثلا ولا يلبسوا الثياب الفاخرة ، ولا يطعموا الطعام المكلف لضيف كذلك أن علموا من نفوسهم أى من ضيفهم القيام بالشكر العادى[1] ، فان علموا من نفوسهم العجز عن ذلك وجب عليهم فى طريق المجاهدة أن يفطموا نفوسهم من ذلك ، وقد كان إبراهيم بن أدهم رضى الله عنه يخلط دقيقة بالرماد نحو الثلث ويقول نحن لا نقوم بشكر[2] . وهذا الذى قررناه من شأن المريد ما لم يطلعه الله تعالى على ذلك الطعام أو الثوب مثلا أن الله تعالى قسمه له أو لضيفه فهو مثاب على تركه الأكل واللبس له أو لضيفه . أما إذا أطلعه الله تعالى على ما قسمه له أو لضيفه ، فهو أدب آخر سيأتى بيانه فى هذه الأخلاق إن شاء الله تعالى ، ووالله إن الله تعالى قدرنى أن على أعمل عندى الطعام الدسم اللذيذ كل يوم لى ولضيفى ومع ذلك أتركه رحمة بى والضيف ومحبة فيه ، ويعجزنا عن القيام بشكره عادة ، فان من الواجب على من غرق فى النعم لا ينام الليل لا شتاء ولا صيفا ، ولا يغفل عن ربه ساعة ، وكان سيدى على الخواص رحمه الله يقول : من طلب من الله الكثير من الرزق طالبه بالكثير من العمل وبالعكس . انتهى ، فكن يا أخى حاذقا ولا تضيع دراهمك فى شىء

---

(١) وردت فى الأصل (بالشك) .

(٢) وردت فى الأصل مطموسة .

آخره بيت الخلاء وما انفق العقلاء فى كل عصر إلا فيما يقربهم إلى الله تعالى ، أو يقرب أخوانهم إليه أما ما يعجزوا عن آداء شكره فلا . وقد كان الحسن البصرى رضى الله عنه يقول : وددت أن آكل آكلة فتصير فى بطنى كالآجرة حتى أموت ، فانه بلغنا أنها تمكث فى الماء نحو ثلاثمائة عام . انتهى فاعرض يا أخى هذا الخلق على مريدى عصرك تعرف هذا تقوم به أم لا ولا تنس نفسك والحمد لله رب العالمين .

(١٣٢) ومن أخلاقهم ، أن يبذل أحدهم وسعه فى حضور القلب فى الورد الذى جعله شيخه له من قراء ، أو ذكر وصلاة على رسول الله ﷺ ، فان فتوحه فى ذلك ومن علامة بذل وسعه فى الحضور مع الله سبحانه وتعالى فى ذكر الورد أن يجد عنده داعية للاشتغال بحفظ بوجد أو قراءة ورد آخر ، فانه لو بذل وسعه ما وجد عنده داعية فى ذلك الوقت ، وذلك أن شيخه حكيم لا يحمله إلا قدر طاقته . وبالجملة فقد عدم أكثر المريدين مع اشياخهم وصار أحدهم شيخ نفسه ، وأكثر ما يقع فى ذلك فقهاء أطفال الزاوية ، فيقول الشيخ لهم خلوا الاطفال يحضروا مجلس ذكر الله ليحصل لهم جلاء باطنهم ، فيغمز أحدهم الأطفال أن اقرأوا فى الواحكم دون حضور الذكر . ويرجح رأيه على رأى شيخه ، فكل ذلك معدود من جملة الخيانة للشيخ والحمد لله رب العالمين .

(١٣٣) ومن أخلاقهم ، أن يحسنوا إلى الضعيف باطنا وظاهرا ، وذلك بأن يطعموه الطعام الحلال القليل ، لكن من لون واحد . وهيهات أن يجد أحدنا لونا واحدا من الحلال ، وهذا الخلق يخل به أكثر المريدين فيلون أحدهم الطعام لضيفه من الشبهات أو الحرام عند أهل الورع فيحسن إليه ظاهرا ويسئ إليه باطنا ، ولو أنه كان أطعمه لونا واحدا قليلا من الحلال لأحسن إليه باطنا وظاهرا ، فليتنبه الفقير لمثل

ذلك ، ويراعى الاحسان إلى ضيفه باطنا وظاهرا ، دون احدهما ، وليلعلم أن الاحسان إليه باطنا مع غضب الضيف عليه أفضل من اساءته على الضيف باطنا مع محبته له ، فإنه إذا أساء إليه[1] ظاهرا أحسن إليه باطنا . وبالعكس ، ومن هذا الباب أيضا أخراج الطعام الكثير للضيف إذا غلب على ظنه إنه لا يقدر على رد نفسه عن الشبع المفرط ، فهو كذلك إحسان للضيف ظاهرا اساءة إليه باطنا . وكذلك تدفئة الضيف بالغطاء أيام الشتاء هو احسان له في الظاهر[2] ، إساءة إليه في الباطن ، ان كسل بذلك عن قيام الليل ، ثم أنه لا يقدر على العمل بهذه الأخلاق إلا من خرج عن حكم الطبع ، وكان أشفق على دين اخوانه من المسلمين من أنفسهم ، وقليل من يخرج عن ذلك من المريدين . فاعرض يا أخي هذه الأخلاق على مريدي عصرك تعرف حالهم ولا تنس نفسك والحمد لله رب العالمين .

(١٣٤) ومن أخلاقهم أن يحسنوا إلى كل من صحبهم من ناطق وصامت ، ويقومون بحق صحبته ، فلا يهبوا[3] عبدهم مثلا إلا لمن يحسن إليه أكثر منهم أو مثلهم ، ولا لمن هو دونهم في الاحسان إليه ، ولو كان من أكبر المخالفين لأغراضهم الآبقين عن طاعتهم ، ولا يهبوا شيئا من ثيابهم إلا لمن يكون أكثر طاعة لله تعالى فيها منهم من وهب ثوبه إلى من يكون أقل طاعة لله تعالى منه فقد أسئ في حق ذلك الثوب وذلك اللابس ، فإن الثياب تتشرف بلابسها إذا كان أكثر طاعة الله تعالى ، وهبت مرة صوفي الأبيض لبعض أخواني التجار، فجاءني[4]

(١) ورد في الأصل (أساء عليه) .

(٢) يقصد الشعراني أن هذه المعاملة للضيف باعتباره من المريدين الصادقين .

(٣) يقصد الهبة .

(٤) يقصد إنه رأى الثوب في المنام .

فى المنام ، وقال أعطيتنى لشخص ينام جنبا ، ولا يقوم من الليل شيئا ولا يذكر الله تعالى والدار الآخرة إلا قليلا ، بعدما كنت أتشرف معك بالوقوف بين يدى الله تعالى فى ظلام الليل ، والله ما كان هذا جزائى بعد صحبتك عشرين شهرا . فأستيقظت متأسفا على كونى لم أفتش على من أعطيته ذلك الصوف قبل أن أعطيه له . هل يقوم الليل أم ينام ، وهل يطيع الله فيه أم يعصيه ووهبت مرة أخرى جبتى لفقيه أكثر عبادة منى فجاءتنى الجبة . وقالت لى جزاك الله عنى خيرا فى اعطائك لى هذا الرجل الصالح الذى لا ينام من الليل إلا قليلا ، فشكرت الله تعالى على ذلك . وقد ذكرنا فى كتاب المنن الكبرى أن من الأدب مع من لبس شيئا من ثياب الفقراء أن لا يعصى الله تعالى فيه ولا يحضر به فى مواضع المعاصى ، ولا يمتهنه برميه على الأرض ، ولا يعطيه لأحد ببيع ولا هبة ولو بذل فيه أضعاف ثمنه ، وأن الجنيد أعطى الشبلى رحمهما الله سواكا فبذلوا له فيه ألف دينار فهم أن يعطيه لهم فقال : قد يكون الجنيد رضى الله عنه طوى لى فيه شيئا من أسرار الله عز وجل . وقد مَنَّ الله على أصحابى بهذا الأدب فلم يعطه أحدا منهم لأحد شيئا بما وهبته له ، ولو بذل له فيه ما عسى أن يبذل منهم سيدى شرف الدين بن الأمير ومنهم سيدى محمد بن الموفق ، ومنهم سيدى أبو الفضل الحريرى ومنهم سيدى الشيخ شرف الدين الديصطى والشيخ تقى الدين بن المقبول وسيدى محمد الحنفى[1] رضى الله عنهم . فاعرض يا أخى هذا الخلق على مريدى عصرك تعرف حالهم ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(١٣٥) ومن أخلاقهم ، أن لا يسألوا الله تعالى الحفظ من الخطايا إلا مع سؤال الحفظ من الوقوع فى العجب ورؤية نفوسهم أنهم خير.

---

(١) راجع فهرست الأعلام .

من أحد من اخوانهم إلا على وجه الشكر . وأما قوله ﷺ : اللهم نقني(١) من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس . فإنما قال ذلك لأنه معصوم لا يخاف العجب عن نفسه وليس له ذنوب حقيقية ، وإنما هي ذنوب أمته التي وقعوا فيه فأضافها ﷺ إلى نفسه من حيث أنه هو المشرع والمبين لأمته تحريمها ، وإن فرض أنها لها كانت ذنوبا بل كانت بحكم المباحة كما أوضحنا الكلام على ذلك في كتاب (الصدق والتحقيق في تفليس غالب المدعين الطريق)(٢) . عن الأجوبة عن أكابر الحضرة الإلهية ، وكان سيدى على الخواص رحمه الله يقول . قل أحد من الأمة يحفظه الله من الذنوب إلا ويقع في العجب بحاله ، والادلال على ربه ويصير يستذكر من ربه تعذيبه لو شاء الله تعالى ، ويقول في نفسه كيف يدخلني النار وأنا لا ذنب لي . إنتهى . وكان أخي أفضل الدين يقول . من نعمة الله على المريد تعرفه إليه بالرضاء تارة وبالشدة أخرى ، وبتقدير الطاعات له مرة ، وبتقدير المعاصي عليه مرة أخرى ، وذلك ليشكر ربه تارة ويرضى بقضائه تارة ، ويعرف فضل الله عليه من جهة حلمه عليه ، وعدم معاجلته بالعقوبة ، ولأن يلقى العبد المؤمن ربه ذليلا خاضعا من كثرة الذنوب خيرا له من أن يلقى ربه معجباً بنفسه من حيث كثرة الطاعات لا يرى لربه تعالى حجة . انتهى ، فاعرض ياأخي هذا الخلق على مريدي عصرك تعرف حالهم ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(١٣٦) ومن أخلاقهم عدم إعتراضهم على شيخهم وغيره من الفقراء إذا رأوه يعطي ماله أو ثيابه أو يطعم طعامه للأغنياء ، ويترك الفقراء والمساكين في العري والجوع وضيق المعيشة ، ويقول لو أنه

---

(١) في الأصل (نقي) .

(٢) سبق الإشارة إليه في المقدمة .

أعطى ذلك أو أطعمه الفقراء والمساكين لكان أفضل ، فإن ذلك إعتراض بالجهل . فإن الله تعالى كثيراً ما يعطي الغني الذي يملك الألف دينار المائة دينار زيادة على الألف ويدع الفقير والمسكين إلى جنابه لا يعطيه الدرهم الفرد . فإن الفقراء في ذلك قد نشأوا[1] على الأخلاق الالهية ، بحسب القسمة وليس منعهم للفقير عن بخل ، إنما ذلك لحكمة رأوها ، ولا سيما إن سألهم الغني ذلك فإن السائل حقاً ولو جاء على فرس كما ورد ، وقد يكون منع الفقير إنما هو لما أعطاه كشف من قسمة ذلك للغنى دون الفقير فيكون المؤدي أمانة لشخص معين فليس له دفعها لغيره ثم لا فرق بين السؤال لهم بالحال أو القال . فإياك يا أخي والاعتراض على شيخك . إذا أعطى الغني (وحرم)[2] الفقير وأحمله على المحامل السنية وقد كان ﷺ يعطي الرجل العطاء إذا سأله ، ويقول إذهب بعطية يتأبطها نارا . فقال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه يا رسول الله فلم تعطهم نارا ؟ فقال له : ماذا أصنع ؟ يأبون إلا أن يسألوني ويأبى الله لي البخل . انتهى . فامتحن يا أخي هذا الخلق على مريدي عصرك تعرف هل سلم أحدهم من الاعتراض على شيخه إذا أعطى الغني وحرم الفقير أم وقع في الإعتراض بلسانه وبقلمه وخان عهد شيخه . ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(١٣٧) ومن أخلاقهم إذا كان أحدهم منشداً في مجلس شيخه أن يكون نيته بالإنشاد إمتثال أمر شيخه فقط لا ليشكره الناس على ذلك ، ويشهدوا له بالدخول وليحذر كل الحذر من أن يكون عنده هجوم على الشيخ أو مرآة عليه في الكلام أو المزح حال مد السماط في

---

(١) في الأصل (نشوا) .

(٢) في الأصل (وأحرم) .

الزلائم ونحوها فإن الأشياخ كالملوك لا يؤمن (مكرهم)[1] ولو ضحكوا في وجه من أساء[2] عليهم الأدب ، وقد مقت خلائق من المنشدين في مجلس سيدى مدين وسيدى أبى الحمايد وسيدى محمد الشناوى وسيدى إبراهيم المتبولى وماتوا على أسوأ حال . وكذلك مقت من المنشدين في مجلسى جماعة . منهم الآن في أسوأ حال . فإياك يا أخى من مثل ذلك ثم إياك ، والحمد لله رب العالمين .

(١٣٨) ومن أخلاقهم خفض الجناح لطلبة العلم الذين علمهم موضوع في نفوسهم دون أرواحهم فإنهم أكثر وأكبر نفساً من أمراء الجبابرة وليس عندهم هضم نفس ولا تواضع من خفض الجناح المشى إلى عيادتهم والسلام عليهم إذا قدموا من سفر ولا ينتظر الفقير أن يجئ أحدهم فيسلم عليه لكونه شيخ زاوية مثلا فإن ذلك من خفة العقل ، فإن أحدهم يرى نفسه أفضل منهم فكيف يطلب منهم أن يمشى إليه . وقد حج مرة شخص من طلبة العلم ولم أشعر به لأنه لم يعلمنى بسفره على عادة إخواننا معنا فلم أبادر بالسلام عليه ، فلا تسأل يا أخى ما وقع فيه من مرض مع أن حمزة أمير الحاج لما رجع من السفر بلغه أننى عازم على السلام عليه ، فركب وترك الصناجق والجاويشية فى بيته وجاءنى فسلم على وقال لى : أنا أحق بالسعى ، لأنى عبدكم ، فانظر كم بين مقام تواضع طالب العلم المذكور تعرف صدقى فى قولى أنه أكبر نفساً من الأمراء . فإياك يا أخى أن تخل بحق أحد من أصحاب الأنفس ، وتقول ليس على منه فإنك تأثم بتسببك فى وقوعه فى عرضك وعرض أهل الطريق وأحذر إذا ذهبت إليه أن ترى نفسك عليه فى التواضع له ، فانك تصير بذلك أكبر نفساً منه ،

---

(١) ورد فى الأصل مطموسة وزيدت ليستقيم المعنى .

(٢) فى الأصل (اسى) .

فاعرض ما قلناه لك فى هذا الخلق على نفسك ولا تنسى إخوانك والحمد لله رب العالمين .

(١٣٩) ومن أخلاقهم ، أن لا يظهر أحدهم شيئاً من الأخلاق الشرعية التى إندرست بإندراس العاملين بها لا لغرض صحيح كقصد الاقتداء بهم فيها أو إظهار نعمة الله بها عليهم ، ونحو ذلك من الأغراض الشرعية كل ذلك خوفاً من فتنة الشهوة بالخير دون الأقران، فإن فتنتها شديدة إذ الغالب على من يتميز على أقرانه بالأخلاق المحمدية ، كثرة حمد الناس له ، ومن لازم تحقر إخوانه إذا لزم من ذلك التحقير المذكور تحرك عندهم الوقيعة فيه وعمل المكائد ، حتى ربما رموا بينه وبين حكام بلده فتعاديه الولاة وإذا عادوه أتعبوا سره وأشغلوه عن ربه ، وكفى بذلك فتنة ، وكان سيدى على الخواص رحمه الله يقول : يجب على من يتميز على أقرانه بخلق غريب محمود ، أن يسأل الله تعالى أن يعمى عنه أبصار الحسدة وغيرهم ، حتى يصير يعمل غالباً الإخلاق المحمدية ، ولا يتفطن له أحد مدة حياته ، وذلك كالكرم والزهد والورع ، فيقول كلما أراد أن يظهر خلقاً غريبا : اللهم أسترنى بين عبادك ، وقد وقع لى أيام الشتاء فى سنة ثلاث وستين وتسعمائة[(١)] فرقت ثيابى كلها من أصواف وجوخ وجبب وقمصان على من له رزق فيها من الفقراء وبعت بعضها وأشتريت به جببا للعميان وغيرهم ، (واستعرت)[(٢)] ثيابا فلبستها فجاءنى سائل فلم أجد له سوى عمامتى ، فقطعت له منها نحو الربع فاشتهرت بذلك فى مصر ، وقدمنى أصحابى بذلك على سائر أقرانى ، ولو أنى كنت سألت الله تعالى أن يسترنى فى ذلك لربما فعل تعالى بى ذلك ولم يشعر بى أحد ،

---

(١) يتضح من هذا أن الشعرانى قد وضع هذا المخطوط فى الفترة مابين عامى ٩٦٣ ـ ٩٧٣هـ.
(٢) فى الأصل مطموسة .

وقد كان الواحد من السلف الصالح يأتي إلى بيت أخيه في غيبته، فيخرج ما فيه من ثياب وطعام ويفرقه على المارين على باب الدار ، فيأتي أخوه فيفرح بذلك ثم يتأسى من شدة الفرح ويقول : أذكرتني، يا أخي بما كان عليه السلف الصالح الذين مضوا ، انتهى . وهذا الأمر لو فعله أحد الآن من أصحابه لما قدر على الانشراح به ، ولو أنه انشرح به لعظمه الناس كل التعظيم لغرابته في هذا الزمان ، فعلم أن من تخلق بأخلاق السلف في هذا الزمان فشكره الناس على ذلك واثنوا عليه فهو علامة على ميل نفسه إلى الحمد والشكر ، ولو أنه صدق مع الله سبحانه وتعالى لدفع بهمته عنه جميع الناس الذين يمدحونه وخرج من الدنيا بأعماله كاملة لم ينقص من أجرها شئ ولم يقدمني أحد على أقراني . فاعرض يا أخي هذا الخلق على من يدعي الصدق من مريدي عصرك تعرف حاله ولا تنس نفسك والحمد لله رب العالمين .

(١٤٠) ومن أخلاقهم ، كثرة الحلم على الظالم الذي يشفعون عنده في الناس ولا يعجلون في الدعاء عليه بالهلاك تخلقا بأخلاق الله تعالى في حلمه على من عصاه ، حتى يستوفي جميع ما قدره عليه وعلى رعيته فان علة مركبة من الظالم ، (ومن)(١) رعيته هذا الفقير الذي يأكل حلالا ولا يقع في معصية ، أما من يأكل الحرام والشبهات ويقع في المعاصي فدعاؤه على الظالم مردود ، فضلا عن كونه يبطئ ، فليحذر شيخ النصف الثاني من القرن العاشر صاحب العجائب والغرائب أن يطلب أجابة دعائه على ظلمه وهو يأكل الحرام والشبهات لا سيما أن كان أكل له طعاما أو لبس منه ثيابا ، فان دعاءه مردود من وجوه عديدة وليس له قوة في التوجه إلى الله تعالى ، وقد بلغنا أن

---

(١) وردت في الأصل مطموسة .

السلطان سليمان بن عثمان رحمه الله ونصر عساكره وذريته لما سافر لقتال الصوفي ، اجتمع به شخص من مشايخ بعلبك ، فقال له : أعطني ألف دينار وأنا أتوجه إلى الصوفي أقتله وأريحك من التعب في التجاريد ، وبذل الأموال ، فأعطاه ذلك ووعده أربعين يوما فمضت الأربعون يوما . ولم يمت الصوفي فأرسل وراءه وقال أين ما وعدتنا به ، فقال توجهت إلى الله سبحانه وتعالى في قتله مدة أربعين يوما ليلا ونهارا ، وكان السلطان قد رتب له طعاما كل يوم فقال : أنظاروا هل كان يأخذ من طعامنا أو كان يطعمه لجماعة . فقالوا : كان يأكل منه . فقال السلطان : الذي يأكل من مال الولاة ليس له قوة توجه إلى الله ، ولا يمكن من دخول حضرته ، ثم سامحه في الألف دينار . وقال له : لا تعد توعد أحدا بموعد إلا أن علمت من نفسك القدرة على الوفاء . انتهى . فعلم أن من كان يأكل الحرام والشبهات بعيد عليه أن يجاب إلى أحد في سؤاله في أحد من الظلمة . أن الله يهلكه وكان سيدي على الخواص رحمه الله يقول : لا ينبغي لفقير أن يطلب ممن تشفع عبده من الظلمة أن يحبه أو يعظمه[1] ، فان ذلك محال . فان الظالم كالتمساح الهايج على السمك ، والفقير يقول له لا تمسك هذه السمكة ولا هذه السمكة فلا يقدر التمساح يطيعه في ترك كل السمك ، ويموت جوعا . وكذلك الظالم لا يقدر على منع نفسه من أكل أموال الناس بالباطل ، ولو أنه طلب الحلال لما احتاج الناس إلى شفاعة الفقير . انتهى . وسمعته أيضا يقول : من آداب الفقير أن يدعوا للظالم بالهداية والتوفيق ليكون رحمة عليه ولا يكون عذابا ، ثم إذا استوفى الظالم جميع المظالم التي قدرها الله تعالى عليه ، فللفقراء الدعاء عليه بالهلاك، لكن مع التوبة أو العقوبة التي تكفر ذنوبه وإن أراد سرعة هلاك ذلك

---

(١) في الأصل مطموسة .

الظالم ، فليلبس له ثيابا دنسه ، ويمشى إلى دار الظالم حافيا مكشوف الرأس ويغلظ عليه القول فانه (بالضرورة)[1] يزدرى الفقير فينفذ فيه سهم الله تعالى ، فيستريح منه العباد والبلاد . انتهى ، وقد فعلت أنا ذلك مع الأمير محمد الزردكاز أيام توليه الوزير على باشا بمصر ، فأخرب الله دياره ومات على أسوأ حال ولم أذهب إليه ، وإنما أرسلت إليه النقيب ، وقلت له : ارجع إلى الله وإلا توجهنا فيك إلى الله تعالى ، أن يخرب ديارك . فصاح أين الغلمان ، يضربون هذا . فلم يجدوا أحدا منهم ، فقبض الله له فى تلك الليلة ولده أصابه . فأذوى فيه للباشا على أنه يحمل الزغل ، وقال أرسل الوالى معى أطلعكم على الآلات المتعلقة بالزغل ، فارسلوا معه الوالى ، فرأى الأمير كما أنهاه ولده فوضعوه فى جنزير[2] واسلموه الوالى وأخذوا منه نحو سبعة أكياس ذهبا ، وهدوا داره بنواحى مصر العتيق ، كما أشار إلى ذلك الفقراء ، فلم يدعوا فيها قاعة ولا منظرة ، وقطعوا أشجار جنينته ، ونقضوا الجدران ، فهى خراب إلى الآن . وسلبوا جميع خدمه وأمتعته ، وما كانوا إلا شنقوه . فليحذر الظالم من توجه الفقير فيه ، ولو كان من أكبر ملوك الدنيا كما وقع للسلطان (قايتباى) مع سيدى على النبتيتى الضرير فان السلطان أراد أن يهدم طاحون الشيخ لأجل عمارته فى عمارة (الخانقاه السرياقومية) ويعطيه بدلها ، فأرسل سيدى على يقول له : ياقيتباى مالك قدرة على توجه الفقراء . فيك إلى الله تعالى فخاف السلطان ورجع عن هدم الطاحون ، فينبغى للفقير إذا أراد صحبة أحد من الظلمة أن يسأل الله أن يقربه منه أن كان فيه خيرا وإلا فيبعده عنه ، ثم بعد ذلك أن قرب كان الخير فى صحبته ، وإن بعد كان الخير

---

(١) فى الأصل (ضرورة) .

(٢) وردت فى الأصل مطموسة .

في بعده . فأعلم وأعرض ما قررناه لك على مريدى عصرك تعرف حالهم ولا تنس نفسك والحمد لله رب العالمين .

(١٤١) ومن أخلاقهم أن يسألوا ربهم أن لا يصلى عليهم بعد الموت إلا من خالطهم ، واطلع على زلاتهم من طريق الكشف أو غير ذلك ولو بسوء الظن ، وذلك ليسأل الله سبحانه وتعالى للميت أن الله يغفر له ذنوبه على التعيين ، بخلاف سؤال المغفرة على الأجمال وإن كان الحق جل وعلا يعلمها فان دعاء المصلى يكون (خداجا)[1] كدعاء الشبعان أن الله يرزقه رغيفا ، فان (أعضاءه)[2] لا يستجيب له فى السؤال على وجه الاضطرار كالجيعان ، فافهم . وكذلك القول فى دعاء المعتقد فى الميت الخير والصلاح ، فان دعاءه يكون خداجا ولورد[3] العلم فيه إلى الله سبحانه وتعالى ، وإيضاح ذلك أن المصلى على الجنازة شافع لها ، فكلما عرف ذنبه اشتد كربه عليه ، كما قالوا فى أدب المريد أنه ينبغى له أن يعرض صحيفته كلها على شيخه فى هذه الدار ، ليشفع له فى ذنوبه عند ربه حتى لا يحوجه لطول الوقوف فى الحساب بين يدى المولى سبحانه وتعالى ، وإنما قلنا أن من يسئ الظن بالميت أولى مما يحسن به على سبيل الغرض والتقدير أو بحكم الفراسة والقرائن الدالة على سوء ظنه بالناس فانه يدعوا للميت مع تخيل ذنوبه التى قاساها على نفسه ، وقد قدموا أخى أفضل الدين مرة للجنازة فتأخر ، وقال : قدموا غيرى ممن هو يعرف زلاته ليشفع له فيها عند ربه على التعيين ، فانى محتاج إلى من يشفع فى ، فان قيل أن العلماء قالوا أن دعاء الصالح أقرب للاجابة ، ومعلوم أن

---

(١) الخداج هو كل نقصان فى شئ .

(٢) وردت فى الأصل مطموسة .

(٣) وردت فى الأصل مطموسة .

الصالح ممنوح الحال ، فالجواب إنما قدرناه لا ينافى ذلك فقد يطلع الصالح على ذنوب الميت من باب الكشف كما قدمناه أو من طريق المخالطة أو من طريق الالهام ، فيكون أولى من جهتين ، من جهة صلاحه ومن جهة اطلاعه على ذنوبه ، وقد بسطنا الكلام على ذلك في رسالة الأنوار القدسية . فاعرض يا أخي ما قررناه لك من يدعي الصدق تعرف حاله ولا تنس نفسك والحمد لله رب العالمين .

(١٤٢) ومن أخلاقهم ، أن لا يرون لهم فضلا على من أعطوه شيئا من الذهب أو الفضة ، بل يرون التبعة عليهم فى ذلك لأن الغالب على من يطلب صدقات الناس محبته الدينار والدرهم ، ولا يكاد تجد أحدا ممن يسأل الناس بالحال أو القال زاهدا فى الدنيا ، ومعلوم أن الدنيا أبنة أبليس ، وكل من أدخل حبها قلبه دخل له إبليس ليزور بنته وصهره ، فيفسد عليه قلبه وفى سد خلقه بركة العطاء بما حصل له من فساد قلبه بدخول إبليس فيه ، فربما أتلف قلبه وولد نفسه المعاصي والغفلة والاعراض عن الله والاقبال على زينة الدنيا فاعلكه . واعلم أنه ينبغي لمن أعطى فقيرا ذهبا أو فضة أن يسأل الله تعالى له الحفظ من ميل القلب إليه . حتى لا يدخل إبليس باطنه ، وذلك بالزهد في الدنيا حتى يصير الذهب كالتراب على حد سواء ، ومن نظر بعين التحقيق رأى ضرر العطاء للفقير أشد من ضرر الشحيح والبخيل عليه ، وكان سيدى على الخواص رحمه الله يقول : ينبغي للمصدق أن يرى الفضل لمن يقبل صدقته ، فانه لولا قبوله الصدقة ما حصل للمتصدق أجر ولازال منه دون ، فحكم الفقير إذا قبل صدقتك حكم من غسل ثوبك ، إذا اتسخ بلا أجرة ، فله الفضل عليك ، وليس لك الفضل عليه . انتهى، فاعرض يا أخي هذا الخلق على غالب مريدي عصرك تجدهم لا علم لهم بما قررناه بل ولا خطر ببالهم ولا تنس نفسك والحمد لله رب العالمين .

(١٤٣) ومن أخلاقهم طلبهم الدعاء من الأمراء والأكابر من حيث أن الله تعالى أعطاهم التصريف فى هذه الدار دوننا ، وجعلهم أبوابا لقضاء حوائج الخلق ، فربما تعطف الحق تعالى عليهم بإجابة الدعاء فى حق كل من دعوا له ليلا يخجلهم بين الناس ، ولو لم يعدلوا كما وقع لفرعون ، لما سأل الله سبحانه وتعالى فى طلوع نيل مصر بعد توقفه ، ولم يرد (دعاءه)[1] وهذا سر خفى له لا يطلع عليه كل أحد . وقد كان سفيان الثورى[2] رحمه الله يطلب الدعاء من أعوان الوالى ، ويقول ربما كان قلب أحدهم أخلص لله من قلبى ، وربما كان غفر لأحدهم ذنوبه دونى . انتهى . وقد سمعت سيدى على الخواص رحمه الله يقول : إذا توقفت عليكم حاجة عند الله فاسألوا فيها نائب مصر ، فانه أعظم النواب درجة لكون غالب رعيته فى مصر حملة العلم والقرآن ، ومن ولاه الله تعالى على مثل هؤلاء ، فهو أعظم ولاة الله على الجند والعوام والمبتدعة من سائر أقطار الأرض وقد أجمع الناس على أنه ليس فى بلاد الإسلام أكثر حفظا للقرآن والعلم من أهل مصر ، فاعلم ذلك والحمد لله رب العالمين .

(١٤٤) ومن أخلاقهم ، سد باب الانكار على شيخهم جملة ، وذلك بالعمل على تنظيف باطنهم من سائر الأدناس والخواطر الرديئة ، فان المريد مادام فى قلبه شئ من الأدناس فهو يحمل على ذلك شيخه ظنا أو حضورا ، ولا ينفك عن مثل ذلك إلا أن أشرف على مقام الكمال ، ودخل أوان الفطام ، ومن هنا طالت الطريق على غالب المريدين فى كل زمان ، فظنوا بأشياخهم الشر فعدموا النفع بهم وكل شيخ حق ، له

---

(١) فى الأصل : (دعاة) .

(٢) ذكره صاحب اللمع باعتباره أحد الأولياء الكمل ونقل عنه قوله مجال قلوب العارفين بروضة سماوية من دونها حجب الرب معسكرها فيها ومجنى ثمارها بنعيم روح الأنس بالله من القرب .

قدم المشيخة فهو يعلم من ذلك ولو تبرأ منه المريد . فاعمل ياأخى على تطهير نفسك من الأدناس لتنتفع بشيخك ، ويرقيك فى مراتب القرب من حضرة الله تعالى ، فانه مادام فى باطنك شهوة لحرام أو مكروه ، فلا يقدر شيخك على ادخالك حضرة الله تعالى أبدا ، ولو كنت على عبادة الثقلين ، فاعرض يا أخى هذا الخلق على من يدعى الصدق من مريدى عصرك تعرف هل وفى به أو وقع فى شيخه إذا رآه فى محل ريبة كخلوته بأجنبية ، ونحو ذلك . ولا تنس نفسك والحمد لله رب العالمين .

(١٤٥) ومن أخلاقهم أن يزكوا أصحابهم فى غيبتهم ، فى كل مجلس ذكرهم الناس فيه بسوء ، ثم لا تطلب نفوسهم منهم أن يعلموا بذلك إخوانهم لا بنفسه ولا بغيرهم . وهذا خلق لا يقدر على التخلق به إلا من يعامل الله تعالى خالصا لوجهه الكريم . فليمتحن الذى يزكى اخوانه ، ويذكرهم بخير فى غيبتهم نفسه : فان رآها تميل إلى أعلام من زكاة ويحصل عندها بعض قبض ، إذا لم يصل إليه علم ذلك : فليعلم أن تزكيته أخاه من ورائه بخير ، إنما هو رياء وسمعة ، فانه لو كان يعامل الله تعالى لاكتفى بعلمه تعالى ، ولم تتشوف نفسه إلى أعلام أحد من الخلق بذلك فاعرض يا أخى ذلك على نفسك وعلى مريدى عصرك تعرف حالك وحالهم والحمد لله رب العالمين .

(١٤٦) ومن أخلاقهم ، أن يحذر أحدهم كل الحذر من الوقوع فى شئ من المعاصى سراً لا سيما ما يوجب الحد أو التعزير أو النفى أو إسقاط المحبة من قلوب المؤمنين ، ولا يتساهل فى الوقوع فى ذلك اعتماداً على ما عهده من حلم الله ، وستره عليه . فإن الحق تعالى ربما ستر على العاصى ثم أخذه من بلاده ، وسلط عليه . من يضربه الحد وأكثر أو يعزره بين الناس بالتجريح والصفع والتقريع غيرة على

شرع نبيه ، أن ينتهكه أحد سراً ، فإنه بمرأى من الله يسمع ، وإنما قلنا غيرة على شرع نبيه تلويحاً لأن الله تعالى لا يؤاخذ الخلق إلا لاخلالهم بحقوق الخلق إذ الألوهية لا تنتقم لنفسها لأنها خالقة لأفعال العباد ، وإنما تنتقم للخلق بعضهم من بعض من حيث كسبهم ، ومن هنا يعلم أن جميع ما يؤاخذ به الخلق ، إنما هو بذنوبهم التى أحصاها الله تعالى عليهم ، وإن نسوه فلا ينبغى المبادرة إلى الترجع لمن نفى من بلاده سنين أو جلد ، بل ينبغى التربص فربما زنى وهو بكر ، ولم يعلم به إلا الله تعالى ، فالصادق من سد باب العقوبات عنه بعدم وقوعه فى الذنوب سراً أو جهراً : فاعرض ذلك على من يدعى الصدق من المريدين تعرف حاله ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(١٤٧) ومن أخلاقهم كتمان الفقر والغنى ، فإن إظهار الفقر فيه شكوى البارى جل وعلا ، ودعوى التجرد من الدنيا ، وكذلك القول فى إظهار الغنى فيه دعوى الكبر من كان فيه وصف الغنى أو العزة للنفس ، كما أنها مباحة لمن كان فيه وصف الفقر والذل ، فيدخل حضرة الله عز وجل ، فى أى وقت شاء لا يمنع فى وقت من الأوقات ، فعلم أنه ينبغى لكل من سئل غنى أم فقير ، أن يقول : أنا بخير . ولا يتعرض لفقر ولا غنى والحمد لله رب العالمين .

(١٤٨) ومن أخلاقهم ، مزاحمة الأبطال فى التقوى والاكثار من عمل الآخرة ، فقد قالوا ليس البطل من يقطع البرارى والقفار ، إنما البطل من يتق الله ويخالف هواه ، وقالوا عليكم بالتقوى ، فانها ما جاوزت قلب عبد إلا وصل إلى حضرة الله عز وجل . وقالوا لا يبلغ العبد حقيقة التقوى حتى يصبر على شدة الجوع والعرى والآلام كما يصبر القابض على الجمر فى كفه ليلا ونهاراً مدة حياته . انتهى .

وهذا أمر لا يصلح إلا ممن أيده الله تعالى بقوة من قوة أهل حضرته . فاعرض يا أخي ذلك على نفسك ومريدى عصرك تعرف حالك وحالهم والحمد لله رب العالمين .

(١٤٩) ومن أخلاقهم ، عدم الخوض في أعراض أحد ممن مات فضلا عن أهل الزمان وذلك لأنه قل من يكون في نعمة إلا ويكون له أعداء وأضداد ، ينقلون عنه البهتان والزور ، فالعاقل من حفظ لسانه عن الأحياء والأموات وأطلق لسانه بالحمد والشكر والثناء بطريقه الشرعى ، وقد قالوا من أراد العز عند الله وعند الناس فليسكت عن ذكر عيوب الناس ما أمكن : قالوا ويتأكد ذلك على كل من اعتزل فى رؤوس الجبال والقفار ليشاكل بعضه بعضا ، فإن صورة المعتزل صورة من إنقطع إلى الله سبحانه وتعالى ، وترك الناس ، وذكره لعيوب الناس التى بلغته عن ألسنة الفسقة محا صورة حاله ، وذلك بأكل الحسنات التى عملها حال عزلته فيذهب إلى الآخرة صفر اليدين ، وهذا الأمر قل أن يسلم منه معتزل ، لكون إبليس له بالمرصاد ، لايكاد يفارقه ، ويقول له أذكر أقرانك الذين لم يعتزلوا الناس بسوء لتنفرد أنت بالصمت ويكمل لك اعتقاد الأمراء فلا يلتفتون إلى غيرك فتصير تشفع فى الناس عندهم ، ولا يردون لك شفاعة ، ويزين له ذلك كل التزين حتى يهلكه . فاعرض ذلك على من يدعى الصدق من مريدى عصرك تعرف حاله ولا تنسى نفسك والحمد لله رب العالمين .

(١٥٠) ومن أخلاقهم ، العمل على جلاء قلوبهم من الشهوات والأدناس حتى لا تصير خواطر العقول فى الفحشاء تخطر على قلوبهم وذلك ليصح لهم دخول حضرة الله سبحانه وتعالى فى الصلاة والمكث فيها ، وقد كنت مرة فى حضرة الله تعالى وعندى من الخشوع ما الله به عليم ، فخطر فى بالى سوء ظن بشخص ممن يكرهنى ، فطرد

قلبي من الحضرة وضرب الحجاب بيني وبينها ، فاستجليت ذلك بالإستغفار حتى عجزت ، فلم أقدر على دخول الحضرة عدة أيام ، هذا في خاطر لم يستقر فكيف بالخواطر التي استقرت وصارت عزماً . وهذا الخلق قد صار غريبا في أكثر المريدين . فاعرضه على نفسك وأقرانك تعرف حالك وحالهم والحمد لله رب العالمين .

(١٥١) ومن أخلاقهم ، أن لا يتخذ أحدهم نقيبا حدث السن . وإنما يتخذون من جرب الأمور من الكهول لأنهم أقرب إلى معرفة مرادهم من الأحداث في صغر السن ، والأحداث في الطريق ، فإنهم ليسوا بمحل لأسرار الرجال ، وربما لاث الناس بالفقير إذا كان نقيبه حدثا ، وظنوا فيه السوء وقد قالوا من سلك مسالك التهم وطلب حسن الظن به ، فهو كمن يريد أن يحجب نور الشمس عن الأرض بلا حجاب سحاب ، فكما أن الشخص تحكم بحرارتها الإرض ، فكذلك سوء الظن بمن سلك مسالك التهم يحكم على الناس به . وقد أقمت مرة نقيباً أمردا ، فكشف لي فرأيت معه شيطانين ، واحداً أمامه وواحداً خلفه ، كلما يدخل على ، فعزلته ، ومن ذلك اليوم ما وليت نقيباً إلا أن كان طعن في السن وبدارت لحيته ، من حكمة إتخاذ النقيب من الأحداث سقوط جاه الفقير من قلوب الناس فلا يصير له جاه في قلوبهم ، وذلك أن الميل إلى كل (مستحسن)[1] في الوجود دون الله تعالى يورث المقت والاهانة عند الله تعالى فضلا عن الخلق ومن يهن الله فما له من مكرم ، وقد قال أشياخ الطريق كلهم إذا أراد الله هوان عبد ألقاه إلى هؤلاء الأنتان والجيف . يعني بذلك صحبة الأحداث ، وقالوا ما ابتلى عبد بذلك إلا أهانه الله وخذله ولو يألف ألف كرامته أهله[2]

(١) في الأصل (مستحن) .
(٢) المقصود : كرامة لأهل الله .

لأن الحق تعالى غيور ، ولا يحب أن يرى قلب عبده المخصوص بغيره، وربما رأى تعالى محبة أحد فى قلب وليه فمقت ذلك الولى أو ذلك المحبوب ، وربما غار الحق على قلب وليه أن يدخل محبته ، غيره ، فقضى حوائج كل من توجه إلى ذلك الفقير من غير علمه خوفا أن يشغل قلب وليه بأحد سواه ، ولو حصل بذلك الثواب ، لأنه ثم مقام رفيع أرفع ، ومن هنا يعرف المحقق سر أمره ﷺ بالإستغفار فى سورة النصر مع أنه ﷺ كان تحت أمر الله تعالى فى كل شئ فعله أو قاله . فإياك يا أخى وظن السوء فى الفقراء الذين اتخذوا أحداً من الأحداث نقيبا ، فربما قصدا بذلك حفظه من الفواحش ، وقد مقت خلق كثير باعتراضهم على الأشياخ كسيدى يوسف العجمى وسيدى إبراهيم المتبولى ، ومات المعترضون عليهم على أسوأ حال ، ثم لا يخفى أن كل فقير جعل لظاهره الشرع عليه اعتراضا ، فهو ناقص رتبة الرجال إلا أن يحمى نفسه من المعترضين ، فيأخذ بأفواهم عن الكلام فى حقه وبقلوبهم عن سوء الظن به ، كما أوضحنا الكلام على ذلك فى كتاب المنن الكبرى فأعرض يا أخى ما ذكرته لك على نفسك وأقرانك تعرف حالك وحالهم والحمد لله رب العالمين .

(١٥٢) ومن أخلاقهم أستجلائهم لصحبة الولاه إذا رأوا فيها مصلحة ترجح على التباعد منهم وطردهم كذلك من صحبتهم إذا رأوا أن ذلك الطرد أرجح فى حقهم وذلك لأنهم لا يفعلون شيئا إلا أن رأوا رضى الله عنه فيه ، فليحذر الأمير إذا تودد إليهم ، أن يرى له فضلا عليهم بتردده بل الواجب عليه أن يرى فضل الفقراء عليه ، وتقريبهم له من حضرتهم لأنها حضرة الله عز وجل ، ومن أدخل مطرودا حضرة الله عز وجل فلا يصح له مكافأة من أدخله بشئ من الكونين . وكان سيدى على الخواص رحمه الله إذا طلب أحد الأمراء أن يصحبه يتوضأ ويصلى ركعتين ثم يقول فى سجوده : اللهم أن فلانا قد عزم

على صحبتنا فإن كان فى صحبته خير لى وله فسهل علينا ذلك وإلا فاصرفه عني صدقة من صدقاتك على . فيصبح ذلك الأمير عنده بنفسه من غير استجلاب ، فيعرف بذلك أن صحبته خير وإن لم يصبح عنده يعرف أن صحبته شر . وقال سيدى على الخواص رحمه الله لا يصفوا الوقت الفقير فى صحبة الأمير إلا بعد صدمة تحصل له من عزل أو مصيبة فى بدنه ويجد الخلاص منها على يد الفقير ، وما لم تحصل له الصدمة فلا تصفو محبته معه ، وكان أيضا يقول : لا ينبغى لفقير صحب أميرا بعد الاستخارة وظهور أن صحبته خير ، أن يأكل من هديته أبدا ، وقد وقع لى أن الأمير عبدالله بن بغداد أرسل للزاوية عشرة أرادب بسلة فأكلت منها يوما ناسيا فتقيأته وكل من لم يعطه الله التصريف فى الظلمة فاستجلابه لصحبتهم من سخافة العقل ، فان من حق الظالم على الفقير إذا صحبه أن يتحمل عنه جميع مظالم العباد يوم القيامة أو يشفع له عند الله تعالى فيرضى عنه أصحاب التبعات كلهم حتى يخرج من قبره نقيا من الذنوب ليس لأحد من الخلق عليه حق ، فمن قدره الله تعالى على ذلك فليصحب الظلمة وإلا فليكن عن صحبتهم بمعزل ، وقد وقع أن عبدالله بن بغداد خرج عن طاعتى فيما أمره به من الخير ، فتوضأت وصليت ركعتين ، وقلت اللهم إن كان فى صحبة هذا الولد خيراً فأجعله منقاد القلب لما آمره به من الخير ، فأصبح عندى من بكرة النهار ، فعلمت أن صحبته لى خير من مقاطعتى ، وكان أخى أفضل الدين رحمه الله يقول : كل فقير توجه إلى الله فى ولاية أحد من الولاة فهو وشريكه فى جميع الاثم الذى يحصل له ، فليوطن الفقير الذى توجه فى ولاية ظالم نفسه على تحمل مظالمه يوم القيامة . فاعلم ذلك واعرفه على فقراء عصرك تعرف حالهم ولا تنس نفسك والحمد لله رب العالمين .

(١٥٣) ومن أخلاقهم تفويض أمرهم إلى الله تعالى فى إصلاح أولادهم إذا كانوا على غير قدم الاستقامة النسبية لأمثالهم ولا تعبوا أنفسهم فى تربيتهم من غير تفويض أمرهم إلى الله تعالى ، فإن ذلك لا يفيد لاسيما أن ضرب أحدهم ولده وجوعه وأعراه ، فإنه لا يزداد إلا جوعا . وقد كان الإمام عمر بن الخطاب رضى الله عنه من أشد الناس فى دين الله تعالى ومع ذلك ابتلاه الله تعالى فى ولده أبى مشحمه وكان مغرما بشرب الخمر وعجز أبوه وهو يحده ، وهو لا يرجع ، ففوض أمره إلى الله تعالى فتاب من يومه ، وصلح حاله ، وكذلك وقع الكثير من أولاد العلماء والصالحين ، وأخبرنى شيخنا أن بعض أولاد مشايخ الإسلام كان مغرما بالشراب والشيخ يقول : تكذبون عليه ، فلما أكثروا عليه قال لا آخذه إلا بطريق شرعى من اقراره أو بينه أنه شرب غير مكره ، فأتوه به مرة فى دست طباخ وحملوه بغير عقل ، وقالوا له : أنظر ولدك فكشفوا الدست بين يديه ، فوجد ولده لا يعرف السماء من الأرض ، فأثر فى والده ذلك ، فلما كان الليل كشف الشيخ رأسه وسأل الله تعالى أن يتوب على ولده ، فأصبح الولد تائبا وما شئ أبغض إليه من الشراب ، فاعلم ذلك وفوض أمر ولدك إلى الله تعالى وأمر إخوانك بذلك والحمد لله رب العالمين .

(١٥٤) ومن أخلاقهم العمل على تحصيل محبة الله تعالى لهم حتى أن الحق تعالى يحميهم من الوقوع فى شئ يحجبهم عن حضرته ، فإنه هكذا يفعل مع من يحبهم عكس من يكرهم ، ومن فائدة محبة الله تعالى أيضا للعبد ، أنه يرسل على كل جارحه من جوارحه الظاهرة والباطنة ملكا يحرسها ويحفظها من أن تتصرف فى شئ يكرهه الله سبحانه وتعالى ، وقد رأيت ذلك الموكل فى ليلة من الليالى حين كشف الله عن بصرى ، فشهدت الملك الموكل بعينى ،

والموكل بلساني ، والموكل بفرجي ، والموكل بقلبي ، ففرحت بذلك غاية الفرح ، ثم حزنت بذلك أشد الحزن ، خوفا من خيانتي لرسل الله تعالى إلا في حالة ذهولهم عن حفظي بما تجلى لهم من عظمة الله سبحانه وتعالى مثلا ، فإن قلت : كيف الوصول إلى مقام محبة الله . فالجواب أن ذلك بمتابعة رسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وزهده وورعه وغير ذلك من أحواله . قال تعالى : «قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله»(١) . وإن قلت : كيف الوصول إلى متابعة رسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله والموانع دونها قائمة ؟ فالجواب يصل العبد إلى ذلك بالسلوك على يد شيخ صالح يزيل منه الموانع شيئا بعد شيء ، حتى لا يبقى بينه وبين مقام الاتباع مانع إلا عدم القسمه الالهية ومن ثمرة محبة الله سبحانه وتعالى للعبد أيضا حمايته من أكل الحرام والشبهات ومن أن (لا)(٢) يرد له دعاء . فان أكل الحرام والشبهات مانع من قبول الدعاء مادام في البدن شيء من قوى تلك اللقمة ، وقد قالوا أن اللقمة يمكث قواها في ثلاثين يوما . وقلب العبد أقوى من الحجارة لا يكاد يظن أن الله سبحانه وتعالى يجيب له دعاء فيجني ثمرة سوء ظنه بربه ، عكس من يأكل الحلال فانه لا يرد له دعاء لحسن ظنه بربه ، ثم انه يتعين ترك أكل الشبهات على كل من صار معروفا بقضاء حوائج الناس عند الله تعالى . فاعرض ذلك على مريدي زمانك تعرف حالهم ولا تنس نفسك والحمد لله رب العالمين .

(١٥٥) ومن أخلاقهم ، أن يحكموا بين الفقراء بالعدل ولا يميلوا مع ولدهم أو صاحبهم ولو بالقلب ، بل البعيد والقريب عندهم في الحق سواء وقد أجمعوا على أن كل شيخ حكم بين الفقراء (بالهوى)(٣)

---

(١) سورة : آل عمران ٣١ .
(٢) في الأصل مطموسة .
(٣) في الأصل مطموسة .

ذهبت حرمته من القلوب وهيبته لزوال تعظيمه عند الله سبحانه وتعالى، وكل من حكم بالحق عظمه الله تعالى فى قلوب عباده وأعطاه الهيبة فى قلوبهم . فاحكم يا أخى بالحق وإلا ذهبت حرمتك وهيبتك من القلوب وعدمت انتفاع الفقراء بك ولاه ثوابك بالسنتهم وقلوبهم واعلم أنه يجب على شيخ الزاوية أن يقوم كل القيام على ولده وأخيه وابن عمه إذا تخاصم مع أحد من الفقراء ليرضى الله والناس والا ذهبت رياسته على الفقراء ، وخرجوا من تحت طاعته قهرا عليه ، فاعرض يا أخى على نفسك وأقرانك حالك وحالهم والحمد لله رب العالمين .

(١٥٦) ومن أخلاقهم تنقيتهم لأعمالهم من الشوائب الفاضحة فى الأخلاص ، فانها تعب من غير فائدة فيحملها صاحبها على ظهره إلى أن يضعها عند الميزان ، فتأتى بها الملائكة فتميز ما كان منها لله تعالى ويضمحل ما لم يرد به وجهه ، فحكم هذا من فتح مطلبا فى دار الدنيا وملا منه جرابه . فلما جاء به إلى داره وجده بعرا أو خنفسا ، فانه يندم حيث لا ينفعه الندم ، ولعل هذا الحال هو حالنا اليوم فى أعمالنا ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . فاعرض ذلك على نفسك وأقرانك تعرف حالك وحالهم والحمد لله رب العالمين .

(١٥٧) ومن أخلاقهم أن يكون لهم حال المعصية عينان أو عين ، فعين ينظرون بها كسبهم المعاصى بعد نهى الشارع لهم عنها فيستغفرون منها ، وعين ينظرون بها حكمة التقدير الالهى ، فيرضون بذلك عن الله ، وهذا معنى قول الأئمة رضى الله عنهم يجب الرضى بالقضاء لا بالمقضى . وقولهم نؤمن بالقدر ولا نحتج على الله به . ومن هنا كان بعضهم يقول فى دعائه : اللهم احفظنى من الوقوع فيما يكره أنبياؤك ورسلك وعبادك الصالحون . ولا يقول : احفظنى مما تكره . فان الله تعالى هو خالق لأعمال العباد ومختار لها ، وما كان من فعله

واختياره لا تتخلص لكراهته من كل وجه كيف يتصور حقيقة كراهيته لما (خلقه)[١] واختاره . انتهى . واعلم أن معنى عدم محبة الحق تعالى لشئ من الأعمال وبغضه له أنه لا يحبه لعبده شفقة على عبده ، مثل قوله تعالى : «ولا يرضى لعباده الكفر»[٢] وقوله في الحديث القدسي : في عبده المؤمن من يكره الموت مع أنه تعالى هو الذى قدره عليهم فافهم فما تفاضلت الأعمال إلا بالنظر إلى الخلق واكتسابهم وإلا فمن جعلها إلى الله تعالى كلها من حيث كونه خالقا لها ، ومن هنا قالوا الربوبية لا تنتقم لنفسها ، إنما تنتقم لكون بعضه من بعض وكذلك القول فى إبليس يجب عليهم عداوة أفعاله من حيث كونها حاجبة لهم عن حضرة ربهم لايجوز لأحد أن يتبعه فيها كما يجب على كل عارف أن يطلب من الله تعالى الحكمة فى لغة إبليس مع أنه لا يتحرك بحركة إلا أن حركة الله تعالى بقدرته . وهنا أسرار فى الكلام على حقيقة مرتبة إبليس لا تسطر فى كتاب . فأعرض يأخى ما ذكرناه على نفسك ومريدى عصرك تعرف حالك وحالهم فى هذه المشاهدة والحمد لله رب العالمين .

(١٥٨) ومن أخلاقهم ، أن لا يستحى أحدهم أن يذكر لشيخه أمراضه التى أبتلى بها فى الباطن ، لأن المريد مريض والشيخ هو الطبيب ، وإذا كتم المريض داءه عن الطبيب طال زمن مرضه ، وليس من شرط الشيخ الاطلاع على ذنوب المريد ، إنما الواجب على المريد ، إنما هو الذى يذكر عيوبه لشيخه لأن حضرته منزهة عن شهود النقائص والقبائح ، إذ هى بعينها حضرة الأنبياء والملائكة والأولياء وليس فى حضرة أحد من هؤلاء شئ من النقائص التى تسخط الله

---

(١) مطموسة فى الأصل .

(٢) سورة الزمر : ٧ .

تعالى ، وإنما هى حضرة رضى الله تقريب ومنح وعطايا ، عكس حضرات الشياطين ، فانها حضرة سخط وبعد عن الله ومقت وحرمان، وقد قدمنا فى هذا الكتاب أنه يجب على المريد أن يعرض صحيفته كل يوم أو ليلة على أستاذه ليشفع له فى ذنوبه عند الله تعالى أو يدله على طريق مغفرتها ، وأنه ليس بين المريد وبين شيخه عورة ، لأنه نائب الحق تعالى فى محاسبة المريد فى دار الدنيا ليخف حسابه فى الآخرة، وقد حكى القشيرى[1] فى باب رؤيا النوم ، من رسالته بأن بعض الأولياء رؤى بعد موته ، فقيل له : ما فعل الله تعالى بك ؟ فقال : غفر لى كل ذنب أقررت له به إلا ذنبا واحدا استحييت أن أتلفظ به فأوقفنى فى العرق حتى سقط لحم وجهى . فقيل له : وما ذلك الذنب ؟ فقال : نظرت يوما إلى أمرد بشهوة حال بدايتى . فلو أن هذا الشخص كان ذكر ذلك لشيخه فى دار الدنيا لكان شفيع له فيه عند الله تعالى أو علمه الدواء المكفر لذلك . فعلم أن كل مريد كتم عن شيخه ذنبا من الذنوب فقد غش نفسه وخان شيخه[2] . فأعرض يا أخى صحيفتك كل يوم أو ليلة على شيخك ولا تخف من ازدراء شيخك لك ، فان الأشياخ لا تزدرى أحدا من العصاة بذلك ، بل ينظرون إلى كل عاص بعين الرحمة وإقامة العذر فى الباطن ، وإن زجروه فى الظاهر ، وأكثر من يعمل بهذه الخلق طائفة الدنيا ، فيخبرون أشياخهم بكل ما خطر ببالهم أو فعلوه رضى الله عنهم أجمعين . فأعمل على ذلك لكن يكون ذلك سرا بينك وبين الشيخ . هذا شأن المريد ما لم يتحد بالشيخ ، فان وقع له اتحاد ، فهناك يكفيه التوجه إليه بقلبه ، ولو كان بينه وبينه بعد المشرقين . والحمد لله رب العالمين .

---

(١) الرسالة القشيرية ، جـ ٢ .

(٢) ينظر الصوفية التى شيوخهم نظرة المربى والمعالج للأمراض الباطنية ، وإن المريد إن لم يكاشف شيخه بآفاته فهو الذى يعلمه العوم فى البحر اللجى غرق .

(١٥٩) ومن أخلاقهم إذا وقع أخوهم فى ذنب يستقبح ذكره عادة كتقبيل امرأة أجنبية ، وأراد تأديبه أن يراعيه بذنب لا يُستقبح عرفا كالبول قائما بلا عذر وتركه قيام ليلة ونحو ذلك كيلا يخجلونه بين الناس لا سيما إن كان فى مجلس المناقشة من لبس خرقة الفقراء ، وقد كان سيدى أبو السعود الجارحى إذا وقع له مناقشة فقير على ذنب عظيم بين العامة يقلب ذكر الذنب إلى شئ لا يراه العامة ذنبا كجمعه الدينار وتبييته للدينار والدرهم فى داره مع علمه بحاجة أحد من المسلمين إليه فتقول العامة للشيخ : شئ لله المدد ، ويتعجبون من مثل ذلك ، وكان يخرج فى الليل فيضع يده على فروج المريدين وهم نائمون فكل من رأى فرجه منتشراً عاتبه بكرة النهار وأمره بالجوع والأعمال الشاقة خوفا عليه من الفواحش ، ويقول إذا كان فرجك منتشرا وأنت نائم وروحك بين يدى الله عز وجل ، فكيف بك إذا كنت مستيقظا ونفسك فى حضرة الشياطين والفساق . انتهى . يتوهم منه محبة الفاحشة فيه فلو كان ذلك الشخص يمس الشاب لفاحشة لنفر منه ، وقد كان الشيخ عبدالحليم بن مصطلح يقول : إذا رأيتم الشاب يحب الملتحى فظنو بالشباب خيرا ، وإذا رأيتم الملتحى يحب الأمرد ، وهو غير محفوظ الظاهر فهو محل الريبة . انتهى ، وكلامنا فى غير أرباب الأحوال ، أما من كان له حال مع الله تعالى فهو محفوظ غالبا من الوقوع فى فاحشة ، وقد كان سيدى إبراهيم المتبولى رحمه الله تعالى ينام مع الأمرد فى الخلوة ويقول : احفظه من أهل الفساد . فانكر عليه فقيه فى ذلك فقال له : إنما أفعل ذلك لأحفظه منك ، ومن أمثالك ، فاستفتى على الشيخ فمسكوه ثانى يوم بأمرد من مماليك الأكابر فدخلوا به بيت الوالى وضربوه ضربا مبرحا ، وحبسوه سنة كاملة ، فأرسل يقول للشيخ : تبت إلى الله . فقال : غدا يطلق : فأطلق. وكذلك كان سيدى إبراهيم يجمع بين المردً والرجال الغرب فى مكان

واحد ، ويقول كل من تعدى على أخيه لحقته الباردة والسخونة تهزه وأسنانه تضرب عليه سبع شهور فما كان إلا هلك . انتهى . فان كنت ياأخى تعلم من نفسك حماية نفسك وحماية الشاب ، فلك أن تتبع سيدى إبراهيم وإلا فابعد عن ذلك لئلا تهلك وتهلك الناس (بسببك)[١] . فاعلم ذلك وأعرضه على نفسك وأقرانك تعلم حالك وحالهم والحمد لله رب العالمين .

(١٦٠) ومن أخلاقهم ، إذا شاورهم أحد من الولاة فى صحبة أحد من إخوانهم (نفروه)[٢] عنه جهدهم ويجرحوا فيه عندهم إلا أن وثقوا برسوخه فى الطريق وقبول شفاعته عند ذلك الأمير مثلا فحينئذ يرغبونه في صحبته ويذكرون له محاسنه وكراماته . وكان أخى أفضل الدين يقول : مذهبى وجوب التنفير من صحبة أمثالنا لغلبة الميل إلى الألوهية يقينا ، وكان يشكر الله تعالى ويحمد كل من ينفر منه أحد من الولاة . ويقول جزا الله أخانا فلانا خيراً على ما فعل معنا . انتهى . وقد وقع أن الشيخ أحمد القلتى رغب الأمير عبدالله بن بغداد فى صحبتى فشكرته من حيث ظنه فى الخير ، ثم أرسلت أقول له : لا تعد ترغب فى صحبتى أحداً من الولاة . فان السلامة مقدمة على الغنيمة، ومن حق الأخ أن يحتاط لأخيه كل الاحتياط وفاء بحقه ، وقد بسطنا الكلام على ذلك فى المنن الكبرى . فأعرض ياأخى ما ذكرته لك على نفسك وأقرانك تعرف حالك وحالهم والحمد لله رب العالمين .

(١٦١) ومن أخلاقهم إذا حج أحدهم ورجع إلى بلاده أن (يبدأ)[١] بإخوانه بالسلام ، ويذهب هو إلى بيوتهم ويسلم عليهم ولا يحوجهم إلى

---

(١) وردت فى الأصل مطموسة .

(٢) وردت فى الأصل مطموسة .

(٣) فى الأصل (يبدوا) .

الذهاب إليه ، ولو كانوا دونه فى المقام عادة وفى ذلك من التواضع ورياضة النفس وتهذيب أخلاق الاخوان ، وقد دخل أبو حفص النيسابورى[١] بغداد (فبدأ)[٢] بمنزل أبى القاسم الجنيد[٣] ، فسلم عليه لئلا يحوجه بالمشى إلى المشى له فتعانقا وتحادثا ملياً ، ثم خرج أبو حفص إلى مكانه ، فما إستقر إلا والجنيد عنده ، فسلم عليه ثانيا ، ثم قال : ذلك فضلك وهذا حقك . انتهى ، فليحذر الفقير إذا حج أن يحوج أحدا من أكابر العلماء والصالحين أو الأمراء أن يأتوا إليه ، بل يبدأهم هو بذلك ، إلا أن يترتب على ذهابه إليهم لوث بعرضه يرجح ضرره على ضرر عدم الذهاب ، فهناك يعمل بالأرجح ولا يذهب إلى أحد منهم ، وقد سمعت سيدى على الخواص رحمه الله يقول : إياك أن تلتفت إلى مجئ أحد يسلم عليك إذا رجعت من سفر الحج لا سيما أكابر الناس ، فان ثواب حجك لايجئ (من)[٤] حق طريق واحد منهم ، فيجب عليك رد النفس عن طلب زيارتها ما أمكن . فان كل من لم يأته فقد عتقها من منته عليها ، ولكن أن جاءه أحد مع غير قصد ، فأشكر الله تعالى وكافئه على ذلك بقضاء حاجة له أو تودد لزيارته أو هدية ترسلها إليه ونحو ذلك وهذا الخلق يخل به كثير من أصحاب الرعونات المتمشيخين بأنفسهم حتى أن شخصاً من تلامذة سيدى على المرصفى حج فلم يأت إليه سيدى على ، فانقطع عن زيارته إلى أن مات ، وهذا الأمر واقع فى غالب فقراء هذا الزمان ، فيعادى أحدهم

---

(١) هو أبو حفص عمرو بن سلمه وقيل بن سالم والأول هو الأصح كما ذكر فى كتب الطبقات ـ توفى سنة ٢٧٠هـ وقيل ٢٦٧ صحب على النصر اباذى وأحمد بن خضرويه البلخى كان أحد الأئمة والسادة وانتمى إليه شاه بن شجاع الكرامانى وتتلمذ عليه قوم كثيرون وهو من أعاظم الصوفية .

(٢) فى الأصل (فبدء) .

(٣) شيخ الطائفة .

(٤) زيادة يقتضيها السياق .

من لم يسلم عليه ويهجره إلى أن يموت ، وربما كان أحدهم أكبر نفسا من الأمراء أو هو يظن بنفسا نيته من الصالحين ، وقد وقع أن الأمير حمزة كاشف الغربية والأمير خضر كاشف الشرقية والقليوبية لما حجا سنة اثنين وستين وتسعمائة[1] أتيا إلى زيارتي قبل أن آتي إليهما فعلماني بذلك التواضع من كونهما من الولاة ولم يروضوا أنفسهم ولم يدعيا الصلاح ، فإذن هما أحسن من كثير من مشايخ الزمان الذين تأنف نفوسهم أن يبدأوا بزيارة أحد من الولاة والفقراء إذا رجعوا من الحج ، وربما ظن أحدهم بنفسه الصلاح وأنه غفر للحاج تلك السنة بسببه وربما سمع من يقول بذلك فى حقه فيسكت ولا ينكره ، فيرجع من مكة ممقوتاً ، ولذلك قالوا : إذا حج جارك فحول باب دارك ، أى لأنه لا يرجع من الحج يرى نفسه على ، ويقول : ذنوبى قد غفرت كلها بالحج بخلاف جارى . فيقال لمثل هذا : فإذا غفرت ذنوبك فدم على احتقار نفسك ورؤية عيوبك خوفا أن تموت فى تلك السنة فلا يقع لك بعدها حج ، فتذهب إلى الآخرة بكل ذنب يعادل ذنوبك السابقة . وقد أوضحنا الكلام على آفات رؤية النفس فى كتاب المنن والأخلاق الكبرى فراجعها إن شئت واعرض ما قلناه على نفسك وأقرانك تعرف حالك وحالهم والحمد لله رب العالمين .

(١٦٢) ومن أخلاقهم ، أن يفتش أحدهم فى هدية الحاج قبل أن يأكلها ولا يبادر إلى الأكل منها تبركا بها لكونها جاءت من مدينة رسول الله ﷺ مثلا ، كما يقع فيه كثير من المسامحين . وقد وقع لى حمزة أمير الحاج أرسل لى جراب تمر فرقته على المجاورين فأكلت ثلاث ثمرات فاحسست بأنه نزل فى بطنى حجر معصره ، ثم لعبت نفسى وتقيأت كل ما فى بطنى من تلك التمرات حتى خرج طعام اليوم

(١) يؤكد أن هذا المخطوط كتب بعد سنة ٩٦٢هـ .

الذى قبله ، وهاتان العلامتان تقعان لى كثيرا فى الحرام والشبهات ، فما أحس بثقل فى بطنى ، فأشرب عليه ماء واتقيأه . واما نفسى فيطلع بنفسه ، وهذا من أكبر نعم الله تعالى على ، فان فيه قطع مادة المعاصى فانها لا تنشأ إلا من أكل الحرام ، وهذا الأمر يقع فيه كثير ممن لم يستبرأ لدينه ، فيبادر إلى الأكل من الهدايا التى تأتى من الحجاز والتطيب بطيبها والتسوك بمساويكها ، ولا يلتفت إلى المادة الأولى التى اشتريت تلك الهدايا بها ، هل هى حلال أم حرام ، وقد سئل الإمام أحمد رضى الله عنه مرة عن نبيذ الجرة ، فقال اسألوا عن الثمن الذى اشترى منه الزبيب قبل أن يتنبذ . انتهى . وقد اعدت تلك الصلاة التى صليتها والتمرات فى بطنى وأمرت الاخوان الذين أكلوا من ذلك التمر أن يعيدوا تلك الصلاة لما ورد أن الله تعالى لا يقبل صلاة عبد وفى جوفه شئ من الحرام . فاعلم ذلك وأعرضه على نفسك واخوانك تعرف الحال والحمد لله رب العالمين .

(١٦٣) ومن أخلاقهم ، أن يعمل أحدهم الأعمال الصالحة غير طامع فى الثواب ، فان طلب الثواب على العمل من سقاطة النفس ، وهو محظور عند شريف الأصل فإن الأكابر إنما تخدعهم غلمانهم قياما بواجب حقهم لا لأجل أن يعطوهم أجرة على ذلك ، كان سيدى على الخواص رحمه الله يقول .. من طمع فى فضل الله فقد حجر على الحق أن لا يحرمه مما طمع فيه ، وذلك معدود من سوء الأدب كما قالوا فى الرجاء : أنه من أنواع التحجير على الحق جل وعلا ، وأيضاً فان العمل الذى يطلب للأجرة نسبته ، هو خلق الله وحده لا خلق له عبد[1] . فكيف يسوغ له أن يطلب أجرة على فعل هو لغيره ، فكان من رجا فى الله خيراً يحجر عليه بقلب أن لا يفعل معه ضده والحق

(١) المقصود انه لم يخلق لعبد هذا الحق .

تعالى مطلق لا يدخل تحت تحجير عبده ، وطريق العبد أن يسأل الله سبحانه وتعالى إظهار للفاقة والحاجة ويظهر الطمع والرجاء فى فضله من غير ترجيح للعطاء على المنع . انتهى . وسمعته يقول أيضاً : إذا تصدقت بمال وهبه الناس لك ، فأجره لمن اكتسبه بتجارة أو صنعة ولك أجر نية الخير لا غيره ، وقد رأيت زبيدة فى المنام بعد موتها ، فقيل لها ما فعل الله بك بعد تلك الصدقات العظيمة التى كنت تتصدقين بها . فقالت أجرها لأربابها وحصل ثواب النية فى تفرقها للفقراء والمساكين . انتهى . ولو أن زبيدة حققت النظر لوجدت نفسها لا تستحق ثوابا على نيتها لأن النية هى من خلق الله أيضاً[١] . فأعرض ذلك على نفسك وأقرانك تعرف حالك وحالهم والحمد لله رب العالمين .

(١٦٤) ومن أخلاقهم الواجبة عليهم إعانة الملهوف فمن ادعى الولاية وقلبه فارغ من تحمل هموم الناس فهو كاذب فى دعواه حتى ان القطب الغوث[٢] لم يلقب بالغوث عندهم إلا لإغاثة الملهوفين من جميع العالم ، وهذه الحقيقة سارية منه فى جميع الأولياء وكذلك من أخلاقهم عدم الاحتجاب عن الناس إلا لضرورة ولا يخلون قط على أبوابهم حجابا إلا أن كان فى البيت عيال لا مكان لهم يتوارون فيه ، وذلك حتى يكون كل من طلبهم فى حاجته وجدهم ، وكل من أرادهم وصل إليهم إلا أن يكثر الواشون الذين يدخلون عليهم لغير غرض شرعى ، فيشغلوا الوقت بغير فائدة ، وكان سيدى عبدالقادر الدشوطى[٣] رحمه الله يقول : من شرط الفقراء أن يتواروا عن أحد إلا لعذر ولا يقولون لمن قصدهم لحاجة : ارجع بعد ساعة ولا يمنعون قط

---

(١) ذلك مخالف للحديث (إنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى) .

(٢) رئيس الحكومة الباطنية وقطب زمانه .

(٣) راجع فهرس الأعلام .

سائلا إلا بحكمة لا لبخل رضى الله عنهم أجمعين . فاعلم ذلك وأعرضه على نفسك وأقرانك تعرف حالك وحالهم والحمد لله رب العالمين .

(١٦٥) ومن أخلاقهم أن لا يطلبوا من الخادم أن يجرى على أغراضهم وإذا أتاهم بما لا يوافق أغراضهم لا يعتبونه على ذلك إلا أن يكون الخادم تلميذ للشيخ ، فله أن يؤدبه من حيث مخالفته أمر شيخه لا لغير ذلك ، وإنما تركوا العتاب لمن خالفهم من الخدام ، وخالف أغراضهم تهذيباً لأخلاقهم ورياضة لنفوسهم كما أنهم يحتملون الأذى من الخلق ، ولا يقابلونهم بنظير ذلك ويحملون مؤنتهم عن الناس ولا يلقون كلهم على أحد ، ومن شأنهم أن ينبهوا الغافل ، ويرشدوا الضال ، وكان سيدى على الخواص رحمه الله يقول : من القوم من صارت إرادته متعلقة بكل ما يجريه الله تعالى عليه من الكون من غير تخصيص ما عدا محارم الله عز وجل ، فإنه لا يرضاها كما أن الحق يريدها ولا يرضاها ، ومن تحقق بهذا المقام صار يرضى بكل ما يفعله الخادم أو الخلق معه ، ويراه غير خارج عن غرضه لرضاه بكل شئ أجراه الله تعالى على أيدى عباده ، وهو فان عن حظ نفسه لمفارقته عالم نفسه ، ومن لا نفس له لا غرض له ، ومن زال غرضه زال مرضه ، فإن سبب الأمراض عدم موافقة الأغراض . فأعلم ذلك وأعرضه على نفسك وأبناء جنسك تعرف حالهم والحمد لله رب العالمين .

(١٦٦) ومن أخلاقهم عدم اختبار الشيوخ إذا دخلوا عليهم ، كأن يقول أن ألهمنى الشيخ الفلانى كذا اعتقدته ، وأن لم يطعنى ذلك لم أعتقده ، وذلك لأن كل من دخل على شيخ يختبره فهو جاهل ممقوت عند الله ، فان الشيوخ لا يختبرون البتة لكمالهم ، وإنما الحق تعالى هو

الذى يختبرهم ، وأما الخلق فهم دونهم فى المقام ، فكيف يختبرونهم فى مقامات لا يذوقونها . وكان سيدى على المرصفى رحمه الله تعالى يقول : لا يطلب من الشيوخ الكلام على هواجس النفوس ، وإنما يطلب منهم معرفة الأمراض والأدواء ونحو ذلك مما هو من شروط المشايخ ، فإن المكاشفات إنما هى من أخلاق المريدين لا من أخلاق الكمل العارفين . وقد كان سيدى إبراهيم المتبولى رحمه الله إذا سأله عن عبده الآبق مثلا : أين هو ؟ يقول للسائل : أصبر حتى يأتى مريدنا فلانا يكشف لك عنه . فقالوا له يوماً : وكيف يحتاج مثلكم إلى من يكشف له ؟ فقال : يا ولدى العارف إذا بلغ مقام العرفان يسير يهرب من مشاركة الحق تعالى فى الاطلاع على الغيوب فلا يكون له التفات إلى شئ من المكاشفات لا سيما إطلاعه على عورات الناس . إنتهى . وفى الفتوحات المكية للشيخ محى الدين أن من عباد الله من كشف له عن ملكوت السموات والأرض على التفصيل ، ومع ذلك لا يعلم ما فى جبينه لأنه مع الله تعالى بحسب ما يطلبه لا مع ما تشتهيه نفسه . فاعلم ذلك وأعرضه على نفسك تعرف حالك وحالهم والحمد لله رب العالمين .

(١٦٧) ومن أخلاقهم إذا صحبوا أحداً من الولاة يعلموه الأدب مع مُراسلاتٍ إذا وردت عليهم فى أمرهم بمعروف مثلا وأن يقبلوها ويضعوها على أعينهم ، لأن بذلك تدوم ولايتهم ، وقد بلغنا أن كتاب يعقوب عليه السلام لما ورد على يوسف عليه السلام بمصر فقبله يوسف ووضعه على عينيه ، وقال : أتدرون لما فعلت ذلك ؟ فقالوا : لا . قال : لأنه من سنة الملوك ، وبذلك يدوم ملكهم . انتهى . وذكر صاحب الدلالة على الله ، أن فى أولياء الله من إذا أرسل السلام لظالم واحد من العصاة تاب الله عليه وسامحه فى جميع التبعات التى عليه ، وذلك لأن الله تعالى ينتصر لأوليائه ولا يخذلهم فى الدنيا ولا فى الآخرة،

ويستحيى أن يؤمن أحد من أوليائه بإرساله لأحد ويخذله فى أمانة ، فينبغى للفقير إذا صحب أحد من الولاة أن يخبره بهذا السر العظيم ، ولا يرد على فقير مراسلاته له بالسلام ، وقد لى مع بعض بنى بغداد أنه صار يرد مراسلاتى ولا يقرأها وتارة يعطيها للنصارى ، ويستنكف عن قراءتها فصرت أكاتبه وأسقط البسملة والصلاة على رسول الله ﷺ والسلام عليه خوفا أن يمقته الله تعالى باعطائه النصارى اسم الله تعالى ، فينتهكون ذلك ، فمكث بعد ذلك مدة يسيرة وعزل وأدخل البرج ، وعوقب ، هذا أمر شهدته فيهم ، وبالجملة فمن لم يكن له حال مع الله تعالى يحمى به نفسه من الظلمة وتصريفا فيهم بالولاة والعزل ، فليس له التصدر فى الشفاعات عندهم ، فإن ذلك لا يتم له لا سيما ظلمة (النصف)(١) الثانى من القرن العاشر أبى العجائب والغرائب فإنه لا يكاد تجد أحداً من الولاة يعتقد فى فقير ولو أظهر له كرامة قال هذا ساحر فإن أعطاك الله ياأخى التصريف فى الظلمة ، فافتح باب الشفاعة عندهم وإلا فكف عن ذلك . والحمد لله رب العالمين .

(١٦٨) ومن أخلاقهم ، عدم المبادرة إلى تصريف المنكرين على أهل الطريق وعدم الخوض فى أعراض الفقراء بمجرد اشاعة النقائص عنهم فإذا قام على أحد من أخوانهم منكر فلا يصغون إلى شئ من كلامه فى حق أخيهم ، بل يتربصون وينظرون فى أعمال أخيهم الصالحة وأعمال المنكر عليه ، فكل من رأوه أكثر أعمالا وورعا وزهدا واحتمالا للأذى ، قدموه فى المحبة والتعظيم ، ولاشك أن أعمال القوم ولو نزلوا إلى أدنى المراتب اظهروا أكثر وأحسن من أعمال المنكر عليهم . ومن هنا قالوا : لم تزل الأشراف تبتلى بالأطراف . انتهى . وما رأينا أحداً قط تظاهر بأنه من أهل الطريق يترك الصلاة أو يشرب

---

(١) فى الأصل (القرن) والتصحيح ليستقيم المعنى .

الخمر ولا يزنى ولا يتعاون فى الناس عند الظالمين ، ولا يزاحم على الدنيا ، وإنما هم على الدين والخير حتى لو أراد أحد أن يثبت فسقهم، لما قدر على ذلك ، وغاية أمر المنكرين على الفقراء أن يرموهم بالأمور الباطلة كالرياء والكبر والحسد والغل ونحو ذلك ، وهذا أمر لا يطلع عليه غالبا إلا الله سبحانه وتعالى ، وقد وكل ﷺ سرائر الخلق إلى الله تعالى بقوله فى حديث (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله وحسابهم على الله[1]) . انتهى . فباب سده رسول ﷺ فلا يجوز لأحد أن يفتحه . فاعرض يا أخى هذا الخلق وما قبله على نفسك وأقرانك تعرف حالك وحالهم والحمد لله رب العالمين .

(١٦٩) ومن أخلاقهم ، الاعتناء بالذب عن أهل الطريق ورد المنكرين عليهم بالأدلة الواردة فى الكتاب والسنة وإن كان المنكر معدودا من الجهال المأمور بالأعراض عنهم ولو أنه كان عالما لم يقع منه انكار ، بل كان يستدل بأفعالهم وأقوالهم بالكتاب والسنة ، كما أوضحنا ذلك فى كتاب المنن والأخلاق ، والحمد لله رب العالمين .

(١٧٠) ومن أخلاقهم ، كثرة التعفف عن أموال الناس وأطمعتهم ظاهرا وباطنا لا سيما الولاة فإنهم إذا علموا من الفقير سقاطة النفس ازدروه ، ولو كان له سبحة وعمامة صوف جعلوه من جملة النصابين فلا يقع له نفع لأحد من المسلمين على أيديهم فيحتاج الفقير الذى يشفع عند الولاة أن يكون أعف الناس أن طلب ليكون أكثر الناس شفاعة ، وأعلم يا أخى أن من علامة النصب المكشوف أن يهدى الفقير لذلك الأمير حلاوة ماء ورد أو سكر ونحو ذلك ، لأن الأمير فى غنية عن مثل ذلك ، وأول ما ينظر الأمير معه هدية يفهم منه

---

(١) ذكر هذا الحديث عن أبى هريرة وهو متواتر والسيوطى فى الجامع الصغير مع تغيير فى اللفظ .

أنه شحاذ ، وقولهم : «أجبروا بخاطر الفقراء يوزن ونفاق ، لأن الفقير الصادق لا يطلب جبر الخاطر من الولاة لأن مرتبته فوق ذلك ، بل الولاة هم الذين يطلبون منه جبر الخاطر بإطعامهم من طعامه لأن كل لقمة من الفقير تعادل فى هذه الأيام ألف دينار ليلة الجلال المناسب للفقراء الآن ، فما كل طعام يليق بهم الأكل منه ، وما كان لباس يليق لهم اللبس منه ، فإذا سمح لذلك الأمير بأن يأكل من طعام الفقراء ، فذلك غاية التبجيل والتعظيم ، ومن رأيتهم يرون الفقراء أعظم منهم درجة ، ويتبركون بالأكل من طعامهم ، أولاد بغداد فكل يوم يأكلون فيه عند فقير يعدونه يوم عيد عندهم ، ويقدمون طعام الفقراء على أبناء الدنيا ولو ملحا وعدسا وبسلة . فاسأل الله تعالى من فضله أن يسبغ النعمة عليهم فى الدارين وأن يديم عليهم عمارة بيتهم بتولية خيارهم ويعطفهم على شرارهم آمين . انتهى . وهذا آخر الكتاب المسمى (بالكوكب الشاهق فى الفرق بين المريد الصادق وغير الصادق) تأليف سيدنا وقدوتنا إلى الله سبحانه وتعالى سيدى الشيخ عبدالوهاب الشعراوى صاحب الكرامات والعلوم والمعانى رحمه الله آمين ورضى عنه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، ووافق الفراغ من هذه (الكلمات)[١] الشريفة المباركة المبجلة المعظمة صبيحة الجمعة خامس من شهر شهور سنة سبعة وثلاثين بعد ألف .

(١) وردت فى الأصل مطموسة) .

تعليق على المخطوط

يبدو لنا من دراستنا لمخطوط الشعرانى أن تلك الأخلاق التى ذكرها هى أخلاق نادرة الوجود فى عالمنا المعاصر ، حيث أن الناس قد غلبتهم مطالب الحياة وحظوظ الدنيا فتغيرت أخلاقهم وتبدلت نفوسهم ، وكأن هذه الأخلاق التى يحكى عنها الشعرانى هى أخلاق مثالية لا يمكن أن تكون لأحد من البشر .

لكننا لو تأملنا أخلاق الصحابة والتابعين وتابعى التابعين . نجد هذه الأخلاق تاج على رؤوسهم فالإيثار سمة ملازمة لأشخاصهم ، والإحسان وصف لطباعهم ، والأخوة فى الله رابطة لعلاقاتهم ، والصبر فى الله وصف لسلوكهم ومجاهدة النفس رمز لحياتهم ، ومخالفة الهوى أساس فى طريقهم ، والتقوى ردائهم ، والنقاء والصفاء والإخلاص سبيلهم إلى الله ، والتفويض وإسقاط التدبير والتوكل على الله شرعتهم ومنهجهم إليه تعالى ، فالدنيا عندهم مزرعة الآخرة ، فلا ينظرون إليها إلا نظرة عابر سبيل يودعها عما قريب إلى ما هو أعظم وأبقى ، وهكذا نرى الإسلام قد ربى رجالاً عظماء هم قدوة للإنسانية ومفخرة لشرعة الله ، وأين هذه الأخلاق الكريمة والقيم العظيمة والمفاهيم النبيلة من أخلاقيات الأمم السالفة والحاضرة ...

إن أخلاق هذه الأمة الإسلامية هى الأنموذج الذى يجب أن يقتدى به الناس جميعا . ففيها نجد الصلاح والنجاح والفلاح ، حيث أن هذه الأخلاق تستقى من أخلاق الله من رحمة وعفو وصفح جميل ، ومن المنبع الذى لا ينضب معينه ألا وهو سنة رسوله الأمين محمد ﷺ وما فى فكره وسلوكه وحياته من التواضع والطهارة والصفاء والنقاء .

إن اتهام المسلمين بالإفتقار إلى النظرية الحياتية قول مرفوض ودعوى زائفة ، وزعم باطل ، فالمسلم منهجه وسلوكه وقيمه ومفاهيمه ونظرته الواضحة للحياة ، فليس هو الذى يأخذ عن غيره ، وإنما ه الذى يعطى المفاهيم الرائدة التى تواكب الفطر السليمة وتوافق العق الرشيد وينزع إليها القلب السليم . ومن هذا المنطلق يبدو لنا منه المسلم الفريد فى تطبيقاته فى التربية والأخلاق والاقتصاد والتشريع .

فالمسلم نظريته الحياتية فى الأخلاق وهى مستقاه من أخلاق أم بها الله سبحانه وتعالى ، وتلك الأخلاق تشتمل على الإيثار والإحسا والأخوه فى الله والأدب والطاعة والتقوى والورع والصدق والإخلاص وهذه المعانى مستقاه من شريعة الله وسنة رسوله ، فإذا قارنا النظري الأخلاقية لوجدنا أنها تحقق للإنسان الكمالات الأخلاقية ، وترتفع ب إلى قمم شامخة فى التحضر القلبى والسمو الإنسانى الذى لا يمك أن نجد مثيلا لهذه النظرية الأخلاقية الحياتية فى أى من العقائد سوا القديم منها أو الحديث .

نظرة المسلم الحياتية :

ذلك أن النظرية الأخلاقية للمسلم لم يضعها مشرع عاجز ، ولا عقل قاصر ، ولا قلب يشوبه الهوى ، فيميل ميلا ويجنح إلى الإفراط تارة وإلى التفريط تارة أخرى ، وإنما وضع هذه النظرية الأخلاقية رب العباد وفاطر السموات والأرض العالم الخبير بالنفس البشرية وما يصلح لها وما لا يصلح وما ينفعها فى دنياها وما يفسدها .

ومن هنا نجد أن النظرية الأخلاقية الإسلامية نظرية متوازنة فهى ميزان عدل وحكمة لا تنحرف يمينا ولا شمالا ، وإنما هى نظرية مستقيمة ليس فيها عسف ولا عنت ولا إرهاق لمن يتبعها ويسير على

هداها ويعمل فى إخلاص وصدق بنصوصها وفصوصها وحكمتها ، وهذا ما يجعل المسلم فى أمن دائم واستقرار نفسى وصحة قلبية وعقلية .

والأخلاق الإسلامية ترتبط بالمعاملات كما ترتبط بالعبادات فاقتصاد الإنسان المسلم إنما هو اقتصاد مقرون بسلوكه الأخلاقى كما أن عبادته ليست طقوس وشعائر وممارسات شكلية أو مظهرية إنما هى تعبير عن الحياة الأخلاقية الإسلامية .

فالسلوك الإقتصادى والفرائض والتكاليف الشرعية كلها نابعة من نظرية أخلاقية تجعل ظاهر المسلم كباطنه فلا تناقض بين الأخلاق والمعاملات والعبادات كل فى قطار واحد مترابط منسجم بعضه مع بعض ، وفى قمة هذا السلوك الرائد نجد أهل الله بهم الثلة الصالحة الذين يقتدون بالرسول ﷺ فى تطبيقاته العملية لكلام الله ، فيتبعونه فى كل أمر وينتهون عما نهى عنه من أقوال وأعمال .

إذن فأخلاق الصوفية ليست شذوذا ولا إنحراف عن السنة الشريفة ، ولا ابتعاد عما هو فى كتاب الله من آيات بينات كما يظن بعض السطحيين والظاهريين والقشريين ، إنما هو ثمرة طيبة نتيجة لإتباعهم الدين القيم والشريعة السمحاء .

الصوفية والباطنية :

إن اتهام الصوفية بأنهم يرفعون التكاليف والفرائض الشرعية قول مردود ودعوى كاذبة ، فالصوفية يؤمنون إيمانا راسخاً بأنه لا شريعة بلا حقيقة ولا حقيقة بلا شريعة ، فمن تشرع ولم يتحقق فقد تفسق ومن تحقق ولم يتشرع فقد تزندق ، فاعمال القلوب يجب أن ترتبط بأعمال الجوارح فلا تباين بينها ولا تناقض ولا انفصال ولكل عضو من

أعضاء الجسم وظيفته التى يجب أن يؤديها فى معاملاته وعباداته وتكاليفه الشرعية ، كما أن عقل الإنسان ونفسه وقلبه جميعاً يجب أن تتكامل مع جوارحه بالتقرب إلى الله تعالى ، فإذا ما انفصلت أعمال الجوارح عن أعمال القلوب فسدت النفس والبدن جميعا .

فكيف يمكن أن يقال بعد ذلك أن الصوفية قوم خمول وتبطل وتكاسل وأنهم يدعون إلى رفع التكاليف الشرعية وهم الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه الكريم .

ويبدو للمتأمل السليم القلب أن هناك اختلافا بيِّنًا بين أهل الحق الذين يتبعون شريعة الله وسنة رسوله ، وبين المبتدعة الذين يخالفون قول الله وسنة رسوله ، فيبتدعون أعمالا وأفعالا من عند أنفسهم ، ويأولون كلام الله فيحرمون أشياء ويبيحون أشياء بحسب أهوائهم .

وهؤلاء ليسوا من الصوفية ، إنما هم دخلاء على أهل الله ، وهم من مرضى القلوب يزعمون أنهم من الصوفية وهم إلى الكفر أقرب منهم إلى الإيمان .

ومن هذه الفرق من يقولون أن للقرآن ظاهر وباطن ، وأن ظاهره هو القشر وباطنه هو اللب وأن الجاهل هو الذى يأخذ بالقشر ، وأما اللبيب الفطن فهو الذى يأخذ باللب وبذلك يبيحون لأنفسهم الأفطار فى رمضان ورفع التكاليف الشرعية والإتيان بالفواحش .

ولقد ذكر الإمام أبو حامد الغزالى + ٥٠٥هـ هذه الفرق وعددها وسماها بالباطنية أى الذين يهتمون بالباطن ، وينكرون الظاهر من العبادات ومازالت هذه الفرق التى ذكرهاالغزالى تعشعش فى عقل الأمة الإسلامية وتروج لدعاويها البعيدة عن الحق والعدل وشريعة الله .

وقد يختلط على كثير من الناس أمر هؤلاء فيعتقدون أن هذه الفرق التى هى من المبتدعة هم أنفسهم الصوفية وبذلك يتهم الصوفية

بأنهم من المبتدعة حيث يخلط بين أهل الحق وأهل الباطن برغم وضوح مذهب الصوفية ونقاؤه وبعده عن الإنحراف وتمسكه بشريعة الله وسنة رسوله .

الإسلام والمسلم :

وفى تصورنا أن الطاعن فى أهل الحق تزداد خصومته للصوفية لما يراه ويشاهده فى بعض الموالد والجلوات من أمور مستقبحة ينفر منها صاحب العقل الرشيد والنفس المستقيمة ، فقد تؤدى بعض الممارسات المستقبحة وتختلط النساء بالرجال فى تبرج وسفور ، ويدعى إلى تلك المجالس بعض السفلة من الناس فيدعون إلى الفواحش فتقترف الرذائل وتؤتى المستقبحات، ويقوم الجهلة من الناس ببعض الممارسات البعيدة عن هدى الدين فيجعلون من الحق باطلا ومن الباطل حق، حقا ثم يزعمون فى آخر الأمر أن ذلك من الدين فيشوهون حقيقة الإسلام ويظهرون المسلمين على أن دينهم القيم يدعو إلى هذه الظاهرة اللاأخلاقية .

والحقيقة أنه يجب أن نفرق بين الشريعة الغراء والدين القيم وبين تلك الممارسات اللاأخلاقية التى يقوم بها بعض ادعياء الإسلام ، فهناك بون شاسع بين الإسلام وحال المسلمين فى انتكاسهم واندحارهم وتكالبهم على الدنيا وإنحلالهم الأخلاقى . ويتوجب على الصادق الأمين أن يفرق بين من يتبع الدين ومن يتبع الأهواء والشهوات ، فإذا خلط بين حال المسلمين اليوم وبين منهج المسلم القويم فى حياته إذا خلط الإنسان بين هذا وذاك فإنه يصبح ظالما لنفسه ولدينه الذى يدعو إلى القيم العليا والآداب السامية والمفاهيم الطيبة الصالحة .

إن أئمة الصوفية الذين جاهدوا فى سبيل الله فكراً وسلوكاً عمليا كانوا ومايزالوا هم حملة راية الإسلام فى المشرق والمغرب على

السواء يدعون إلى ربهم خوفا وطمعا ، لايتظاهرون ولايتاجرون بكتاب الله ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ولا يخشون إلا الله عز وجل .

أنهم قوم آمنوا بالله فزادهم الله إيمانا وعلى ربهم يتوكلون ، يعملون بما يعلمون فوهبهم الله بفضله ومنته ، علم ما لا يعلمون وشرح قلوبهم بأنواره وعطاءه وتجلياته وفتوحه ، وملأ قلوبهم بالأمن والطمأنينة والسكينة والرضا بحضرة الله والرجاء فى وعد الله والخوف من وعيده .

إن قوما مثل هؤلاء لا يمكن أن يصدر عنهم إنحراف أو باطل أو دعاوى يدعونها لأنفسهم ، إنما هم قد أسقطوا التدبير مع الله وفوضوا أمرهم إليه تعالى وتوكلوا عليه بالكلية ، وخالفوا هوى نفوسهم فاستقامت وسكنت واعتدل أمرها ، فكيف يقال أن هؤلاء أبتعدوا عن حقيقة الدين وهم الساهرون على المحافظة على تعاليمه وأحكامه وعباداته .

فلسفات الأخلاق المعاصرة :

إن الأخلاق الصوفية هى أخلاق جديرة بالإتباع ، ولقد جرب العالم قديمه وحديثه فلسفات فى الأخلاق مادية وحسية وتجريبية وعقلية ، لكنه لم يستطع بهذه الفلسفات تحقيق التوازن النفسى والوصول إلى الكمالات الأخلاقية ، إنما على العكس من ذلك تماماً فقد ظلمت هذه الفلسفاتالأخلاقية الإنسان فى هذا العصر كما ظلمته فى كل عصر فبدلا من أن تدعو إلا الصلاح والإصلاح والاستقامة تدعو الآن إلى السفور والتبرج والإنحلال والزنا والربا والفسوق والعصيان ، وقد أريد بهذه الفلسفات اللاأخلاقية الحرية الفوضوية ، فتجعل من الخير شراً ومن الشر خيراً ، كما نجد ذلك واضحا فى

السوفسطائية الحديثة(١) ومذاهب اللذة ودعاوى النفعيين والحسيين والتجريبيين الذين يريدون أن يطبقوا المناهج العلمية الحديثة على فلسفة الأخلاق ويغفلون ويتقاتلون على أن الإنسان غير المادة والحيوان .

فالإنسان خلق فى أحسن تقويم ، إنه يولد على الفطرة السليمة والفطرة السليمة هى أساس الدين ، والدين هو التوازن والقوامة والاعتدال والتناسب والتناسق بين الروح والبدن والقلب والعقل والظاهر والباطن والشريعة والحقيقة .

فإذا اتبع الإنسان فلسفات الأخلاق المادية أو التجريبية ، فإنه سيجد نفسه فى آخر الأمر ضائعاً يائساً قنوطاً حيث أنها لا تحقق له الأمن والسكينة والطمأنينة إنما تتركه يصارع فى بحر لجى عميق الأغوار فيضيع ضياعا رخيصا ويفقد دنياه وآخرته جميعا .

أن الرجوع إلى الأخلاق الصوفية إنما هو رجوع إلى الأصل الذى يجب أن يتوخاه الإنسان فإذا ما أصبحت هذه الأخلاق فكره وسلوكه وقدوته فإنه لن يضيع أبدا لأنها تواكب الفطرة السليمة التى فطر الله الناس عليها .

حضارة القلب :

ما أحوج المسلمون إلى تلك النظرية الصوفية الأخلاقية فى وقتنا الحاضر الذى غلبتهم فيه ماديات الحياة فأضاعت منهم عروة الإسلام الوثقى وبدأوا يقلدون كل ناعق ، ويسايرون كل فاسد ، ويوافقون أصحاب الأهواء والشهوات بدعوى أن الحضارة الغربية الحديثة هى القدوة التى يجب أن يقتدى بها الناس جميعا ، ومن ثم فإن على المسلم أن يتبع أخلاقيات الغربيين حتى يمكن أن يعيش فى مجتمع متحضر

---

(١) السوفسطائية الحديثة هى الوجودية .

كما يعيش الغرب ، وهذا الإستغراب فى الفكر نتاج للقصور فى فهم الدين الإسلامى والعقم فى التفكير العقلى ذلك أن هناك فرق بين الحضارة المادية وحضارة القلب ، فالقلب المتحضر لا يمكن أن يأتى الفاحشة ولا يمكن أن تسيره المعاملات الربوية وتقوم علاقاته بين الناس على أساس المنفعة والمصلحة الذاتية .

إن القلب المتحضر هو الذى يؤثر غيره على نفسه وهو القلب السليم الذى لا ينافق ولا يرائى ولا يظهر غير ما يبطن ولا يفعل المستقبحات ، إنما هو قلب يشع حبا ونوراً على الناس جميعا ويتعاون مع غيره من أجل الاصلاح والصلاح والسمو عن الدنايا والارتفاع بالنفس إلى الاستقامة والتوازن والاعتدال .

إن الصوفية هم أصحاب حضارة القلب بحق فيعملون على تطهير قلوبهم من الرجس والفسوق والعصيان ويدعون إلى الله بصدق وطهارة وإخلاص دون سلبية أو تبطل أو إنعزال ويسعون فى الأرض يجاهدون من أجل الرزق الحلال الطيب ، فإذا أنعم الله عليهم كانوا من الحامدين الشاكرين وإذا ابتلاهم كانوا من الصابرين الراضين .

أليست هذه هى الأخلاق التى يدعونا إليها فاطر السموات والأرض ويوصينا باتباعها فى كتابه العزيز وسنة رسوله الأمين أنها أخلاق الله تعالى التى يرضى عنها ويحبها . «ومن أصدق من الله حديثا» .

الشعرانى كباحث :

إن هذه الدراسة التى قام بها الإمام الشعرانى لطوائف الصوفية فى عصره [illegible] مما لا يدع مجالا للشك فيه أنه استخدم منهجا علميا سليما ، واستخلص منه نتائج محددة مما يضفى على الدراسة الموضوعية التى هى أساس البحث العلمى الحديث ..

كما إستخدم الإمام الشعرانى الدراسة المقارنة ، وعقد تلك المقارنة بين مجتمع الصوفية فى القرون السالفة على عصره باعتبارها الأصل ، وبين مجتمعه الذى يعيشه وهو القرن العاشر باعتبارها امتداد للأصل ، فظهر له بذلك مدى الإنحراف والتغير عن الأصل رغم وجود اتفاق فى الاطار الخارجى أو الشكل .

والدراسات الانثربولوجية الحديثة عندما تدرس مجتمعا ما إنما تحاول أن تعمد إلى مقارنة الأصل بالمجتمع الجديد الذى تمخض عنه مع أظهار مدى التغير أو الإنحراف عن الأصل . وهذا فعلا ما فعله الشعرانى فى دراسته للمجتمع الصوفى فى عصره .

ولقد اعتمد الشعرانى على الملاحظة المباشرة المتأنية وقد ساعده على ذلك فهم طبيعة المجتمع الصوفى وتفاعله معه واندماجه فيه وتعرفه لأوراده وممارساته الروحية وشعائره وطقوسه ، ثم أنه يستطيع أن يفهم معانى الصوفية ولغتهم ومصطلحاتهم وألفاظهم الذى يستخدمونها الأمر الذى ساعده على كشف طبيعة البناء والوظائف الإجتماعية لذلك المجتمع ...

الشعرانى رائد الدراسات الانثربولوجية الحديثة :

ويتفوق دراسة الشعرانى على الدراسة الانثربولوجية الحديثة فى أنه استطاع أن يغوص فى أعماق المجتمع ولا يقتصر على دراسة البنية والوظائف الاجتماعية فحسب .. ذلك لأنه تدارس المعامل الروحى وتأثيره على شخصية المريد فى الطريق الصوفى وهذا المعامل من الصعب على الباحث الانثربولوجى الحديث أن يدخله فى دراسته لمجتمع محدود .

إذ أن هذا العامل شئ غير منظور وربما يتخفى عليه ولا يستطيع استبيانه برغم استخدام أساليب البحث والتحصيل ..

إن العامل الروحي يعد من الأهمية بمكان ، إذ أنه بدونه لا يمكن أن يقال أن الدراسة المسحية قد استكملت أو أن الباحث قد وصل إلى نتائج محددة بالنسبة للفرض الذى وضعه والذى يود امتحان صدقه من كذبه فى دراسته للمجتمع المدروس ...

فدراسة الشعرانى للمجتمع الصوفى تعد بحق من الدراسات الانثربولوجية الرائدة فقد أضاف البعد الذوقى الذى تفتقر إليه الدراسات الحديثة ومن ثم استطاع أن يخرج بنظرية متكاملة تفسر الحياة فى ذلك المجتمع الصوفى .

والذوق يختلف عن النظر لأن المعرفة الذوقية أضافة إلى معارفنا المحدودة ، فيها يشرق العقل بالمفاهيم والمعانى التى تستغلق عليه عند بحثه مستخدما أدوات المعرفة الحسية والظنية . ذلك لأن الذوق نوع من الكشف لا يعتمد فيه الباحث فحسب على الرؤية البصرية أو السمعية أو اللمسية ، إنما يتجاوز ذلك إلى الرؤية القلبية أنه نوع من الالهام يفتح فيه الباحث آفاق جديدة كانت من قبل مستغلقه عليه .

المعرفة الذوقية :

فالمعرفة الذوقية تختلف عن علوم النظر ذلك لأن الأخيرة علوم كسبية علوم يتحصل عليها بالمجاهدة أما الذوقية فانها أنوار تقذف على القلب العبد فتصبح علما . ويمكن تقسيم مراتب العلوم بهذا المعنى إلى مراتب ثلاثة .

العلم الأول : علم العقل : وهو كل علم يتحصل عليه بطريق الضرورة إذ هو نتيجة نظر ، وبحث دليل بشرط الحصول على برهان وهذا العلم منه صادق وكاذب ، بل منه صحيح وفاسد .

العلم الثانى : علم الأحوال : ولا سبيل إلى الوصول إليه إلا ذوقا ولا يتحصل عليه عن طريق العقل فلا يقدر عاقل أن يجده أو يقيم دليلا على معرفته وهذه المعارف من المحال يعلمها أحد إلا إذا كان يتصف بها أو يتذوقها ..

العلم الثالث : علم الأسرار : وهو العلم الذى يتجاوز طور العقل وهو نفث روحانى ويختص به الأنبياء والعلماء من الصالحين .

لذلك فإن الباحث إذا كان مريدا صادقا لله . فإن سلاحه فى المعرفة يكون هو الذوق بالإضافة إلى الحس والعقل وهنا يكاشف ويشاهد ويراقب بالذوق أو البصيرة ما يعجز عنه بالفكر والعقل ...

ويرتبط الذوق بالإيمان لأن الإيمان هو الذى يجمع المريد الصادق إلى الله وبالله .. فمن وافق الله فهو المؤمن الموحد . وأما من وافق الأشياء مزقته الأهواء .

لذلك فإننا نجد أن الشعرانى استخدم فى دراسته للمجتمع الصوفى فى عصره أدوات ووسائل تعز على أكثر الباحثين الذين يهتمون بالدراسات الانثروبولوجية الحديثة واشترط أن تكون من صفات الباحث فكون الباحث ، مثقفا ودارساً ومتفهما للمجتمع المدروس وعارفاً بلغته ومستخدما الموضوعية العلمية والإحصاء والإستقراء والقياس .. كل هذه الأدوات فى رأيه غير كافية للباحث لتفهم المجتمع المدروس وستظل النتائج التى يصل إليها أى باحث من هذا الطراز عاجزة تماما عن فهم طبيعة العلاقات الاجتماعية ومن ثم طبيعة المجتمع المدروس .

أن اضافة العامل الروحى فى الدراسات الانثروبولوجية ــ كما سبق الاشارة ــ يعطى لهذه الدراسات بعداً جديداً تفتقر إليه دراساتها للمجتمعات النامية والمتخلفة والبسيطة .

ويستحيل على الباحث أن يتفهم الممارسات والطقوس والشعائر والأخلاقيات والمفاهيم والقيم التى يستكشفها فى المجتمع المدروس إلا من خلال علمه الذوقى وهذا العلم هو موهبة وأستعداد لا يحظى به غير المؤمنين إذ أنه نوع من الكشف والبصيرة التى يمكن أن تنفذ من خلال الحجب فتتفهم ما لا يمكن تفهمه عن طريق التحليل والاستدلال والاستقراء والقياس .

وليس معنى ذلك أننا ننكر استخدام علوم النظر الكاشفة عن العلل والمعلولات والأسباب والمسببات القريبة ، أو إستخدام الأقيسة والاستنباطات والاستدلال العقلى إذ أنها معارف ضرورية للباحث إذ أنه بدونها يعد جاهلا لا يستطيع أن يدرك الأفعال والأعمال أو يحكم على ما يراه أو يشاهده أو يلمسه : كما أنه لا يمكن أن نقول أنه يكفى الباحث علوم النظر فى الدراسات الأنثروبولوجية ذلك لأنه إذا تم الإسترشاد بها فإنها لن تكون كافية للوصول إلى نظرية متكاملة تفسر الحياة فى المجتمع المدروس .

يقتضى الأمر إذن الاستعانة بالمنهج الذوقى بالإضافة إلى علوم النظر حتى يتكامل البحث وتصبح الدراسة أكثر فاعلية وإيجابية وأقرب إلى الحق منها إلى الباطل .

وهذا ما فعله الشعرانى فى دراسة المجتمع الصوفى المعاصر فقد استخدم الملاحظة المباشرة وغير المباشرة بالإضافة إلى الدراسة المقارنة [illegible] طريقة فريدة [illegible] [illegible]

ذلك أي هل هذا السلوك يتطابق مع السلوك في المجتمع الأصلي أم أنه ينحرف عنه وما سبب ذلك الإنحراف والتغير إن وجد .

الفروض العلمية والنتائج :

ويستخلص الشعراني في نهاية الأمر نتائج للبحث ويمين الأسباب التي دعت إلى هذا التغير عن الأصل ، وما هي الوسائل العلاجية التي أن تُعين ذلك المجتمع للتخلص من الآفات والعيوب والنقائص ، وحدد بين ثنايا هذا البحث تلك العلاجات ، فبين أن أهمها وأولاها هو التقيد بأحكام الشريعة والسنة واتباع القدوة الممثلة في شخصية الرسول ﷺ والصحابة والتابعين وتابعي التابعين .

وبين أن سبب الخروج والإنحراف عن الأصل إنما راجع لاتباع الهوى والأثرة وحب المدح والتفاخر والرضا عن النفس والاهمال في الفرائض والتكاليف الشرعية ، وبين أن من أكبر الآفات النفسية التي تتغلغل في المجتمع المدروس هو الرياء وهو الشرك الخفي الذي هو الطريق المؤدي إلى فساد النفس وعطبها وتلفها ومن ثم يوصل الإنسان إذا لم يصلح نفسه إلى الشرك الأكبر أو الإلحاد .

فالشعراني وضع فرضا علمياً قبل دراسته ، حاول امتحانه عن طريق الدراسة الحسية الذوقية ومؤداه أن مريدي عصره قد ابتعدوا عن الأخلاق القويمة التي كانت عند السلف الصالح من الصوفية . وانتهى إلى إثبات صحة هذا الفرض بعد اقامة البراهين والأدلة القاطعة عن طريق التمثيل بما يلاحظه ويشاهده من العينات الممثلة التي جمعها وهي أكثر من مائة مريد في الطريق الصوفي ، ثم بين بعد الدراسة المستفيضة لهم أنهم قد ابتعدوا عن الأصل أو مجتمع أهل السلف من الصوفية وهذا ما دعاه إلى اثبات صحة الفرض الذي

وبين الإمام الشعرانى أسباب هذا الخلل أو الإنحراف ثم وضع التوصيات اللازمة لإصلاح المجتمع المدروس ، وبين أنه إذا لم يؤخذ بتوصياته فسيكتب لهذا المجتمع الارتكاس والاندحار على مر السنين .

أهمية المخطوطات الإسلامية :

أن هذه الدراسة نحن أحوج إلى مثيلاتها فى مجتمعنا المعاصر ، يمكن أن تستكشف النقائص والعيوب والآفات التى تستغلق على الكثير من الباحثين ، فلا يهتموا بإبرازها بوعى أو بغير وعى ، وإذا ما تم لنا ذلك فإننا نكون قد وضعنا أيدينا على الداء وبعدها يسهل علينا العلاج.

لقد سبق الشعرانى عصره بأكثر من خمسة قرون عندما قام بهذه الدراسة العظيمة ، ونحن نعرضها المتخصصين ليعرفوا أن المسلمين قد أنتجوا علوماً رائدة فى مجال الاجتماع والانثروبولوجيا وغيرها وقد سبقت الدراسات الاجتماعية والأنثروبولوجية الحديثة وتميزت عليها وقدمت منهجا يتفوق على مناهجها ويقدم حلولا أكمل لقضايا المجتمعات ومشاكلها الاجتماعية .

ولاشك أنه إذا رجع الباحثون إلى تراثنا الإسلامى فإنهم سيجدون ما يشفى غليلهم العلمى ويشبع نفوسهم وقلوبهم وعقولهم من تلك الموارد من ذلك النبع الفياض الذى لا ينضب أبداً .

إننا ندعو الباحثين والمتخصصين من علماء الانثروبولوجيا الحديثة إلى الرجوع إلى تلك المخطوطات العربية التى تذخر بها المكتبة الإسلامية للكشف عن كنوزها وإنتقاء فصوصها النادرة وعمل الدراسات المقارنة بين ما وصل إليه العرب فى عصورهم الحضارية الزاهرة وبين ما توصل إليه العلماء الغربيون من نتائج فى دراستهم العلمية الميدانية .

وسيجد الباحث مما لاشك فيه ثراء المكتبة العربية القديمة وسيعجب عندما يكتشف أن العرب هم رواد بلا منازع في العلوم الحياتية كما هم رواد أيضا فى العلوم التطبيقية والعملية .

لقد عشنا بين ثنايا هذا الكتاب الرائع لنتعرف على أخلاق الصفوة من المسلمين الذين اتخذوا من القرآن الكريم شرعتهم ومنهاجهم ومن سنة وأخلاق رسول الله قدوتهم فى الفكر والسلوك والحياة .

ولا عجب إذا تبرزت تلك الأخلاق فى العالم كله قديمه وحديثه ، ففيها شفاء للقلوب العليلة ، وارشاد للنفوس الظامئة لمعرفة الحق والحقيقة ..

ولقد اتسمت أخلاق الصوفية بعديد من الكمالات الإنسانية التى يهفو للوصول إليها كل قلب سليم وعقل رشيد ونفس نقية تقية ورعة ..

ومن العلامات الدالة على صدق أخلاقيات الصوفية ، انها لا تهتم كثيراً بالألفاظ التى قد تبدو لامعة براقة ، إنما تركز هذه الأخلاق على السلوك والعمل ، ومن هنا كانت معانيهم تفض استار الحجب ، وتنفذ إلى شغاف القلب فيتملك المستجيب الأنس والأمن والطمأنينة .

وتلك الكلمات الصادقة لا تحتاج إلى الكثير من التأويل والتفسير والشروح فهى تنفذ إلى القلب فى يسر وسهولة بلا تكلف وافتعال فتصبح نورا يضئ جنبات القلب الظامئ إلى النور .

وتعديد الشعرانى لأخلاق الصوفية إنما هو تذكرة لكل قلب مؤمن حتى لا يغفل ولا ينسى .. فإن من طبيعة النفس الإنسانية مالم تتعهد بالذكر الدائم والاستعاذة من الشيطان ، التكاسل عن الواجبات والمطالبة بالحقوق ، ومن ثم تطبع ببعض الآفات الضارة والأمراض المزمنة التى تسبب لها الارتكاس والسقوط إلى الهاوية .

الأخلاق وأضدادها :

لذلك رسم الشعرانى لنا الأخلاق الفاضلة وأضدادها ، ليبين للمريد مقامه فيعرف أين هو فى طريق الله ، فلا تغشه نفسه ، ولا يضيع حياته وهو يظن أنه فى خير وهو هالك فى الضلال .. ومن ناحية يتكشف المريد الصادق من خلال عرض الشعرانى لأخلاق الصوفية وبين أن من صدق طريقه فيشكر الله على ذلك ويزداد تمسكا بتلك الأخلاق ولا يجد أفضل منها طريقا ...

أن المؤمن يحتاج دوما إلى التثبيت فى المقام ولا يتمكن من ذلك حقا إلا إذا وجد نفسه يقتدى علما وعملا برسول الله ﷺ وبالصحابة والأئمة التابعين . ومعرفة ذلك الحال مما يزيد المؤمن ثباتا والمريد الصادق رسوخا ويقينا .

وأما المريد الذى يزعم لنفسه الصلاح ومازالت نفسه تبحث عن العلائق والحظوظ ، فإنه من دراسته لتلكم الأخلاق يستطيع أن يستكشف باطنه ، ومن ثم يحاول أن يتجنب العيوب والنقائص التى تشيع دايه حاله ، ويخالف هوى نفسه الذى سبب اقباله على اشباعات الحس والمطالب والحاجات التى لا تشبع .. وبهذا يمكن أن يتخلص تماما من آفاته واسقامه ويصلح ما اعوج من أمره يمتثل إلى أمر ربه .

ولاشك فى أن مصارحة النفس بعيوبها وآفاتها واسقامها والتعرف على نقائصها وأمراضها هو الباب الموصل إلى إصلاح أمرها من العطب والتلف والخسران ..

ذلك لأن المريد أن لم يصارح نفسه ويصدق معها ويراقبها فى جميع أمورها ، فإنه لن يتعرف على حقيقة ما خفى عليه من أمرها ، ويصبح بعيدا عن الله ويظن القربة منه تعالى رياء وكذبا ..

آفة الرياء :

فالرياء يدخل إلى النفس مثل دبيب النمل ، وربما لايشعر الإنسان بدخول الرياء إلى القلب، وحيث لم يتعهد نفسه بالمراقبة والمحاسبة ، إنما يستحسن أفعالها ويرضى عنها ويتملكه الغرور فيجاهر بعلمه الواسع ، وعمله الخيرّ ، دون أن يظن أنه يفعل ذلك رياء ونفاقا ...

والمنافق يظهر أشياء ويخفى أشياء ، فيظهر غير ما يبطن ويعيش فى أكذوبة ظانا أنه يخدع الناس والحقيقة أنه يخدع نفسه فهو خادع مخدوع ...

لذلك فإن الأخلاق الصوفية تركز على كشف المريد غير الصادق الذى خدعته نفسه فيظن بها الخير وهى تضمر له الشر ، وأن فى كشف خداعها وحيلها وكذبها وتملقها ونفاقها ، الطريق الذى يعاون على فضح أمرها واستجلاء بواعثها واظهار عيوبها ، الأمر الذى يعين الإنسان للرجوع إلى الحق والهداية والرشاد .

وبعض الصوفية يقول : إذا أردت أن تعرف مقامك فاعرف أين سبحانه وتعالى أقامك .

ومعنى ذلك أنه عليك أيها المريد أن تستكشف دخيلة نفسك ، وتتعرف على صدقها من كذبها ، فإن وجدتها تميل إلى الدنيا وشهواتها وأهوائها وحظوظها ، فاعلم أنك بعيد عن الله ، وإن ظننت القرب منه تعالى ، مردود وأن ظننت القبول . وأن وجدت أيها المريد نفسك طيعة طائعة لله ، متوكلة عليه بالكلية ، مسترسلة معه فى كل أمر ونهى ، مسقطة التدبير مفوضة الأمر لله تعالى ، صابرة على المحبوب والمكروه ، راضية بقضاء الله عاملة عابدة فى سبيله ، فاعلم أيها المريد أن الله تعالى يحبك ويرضى عنك ، وقد ثبت قلبك على الإيمان .. فاشكر الله وأحمده على منته وعطاياه . فإنك قد أغلقت باب الذل ودخلت باب العز .. وكفى بالله معينا ونصيرا .

إن الصوفية أساتذة كبار فى علم السلوك فهم يعطون للمريد مفاتيح للدخول إلى أبواب النفس المغلقة فيستجليها ، ويتعرف على ما بداخلها ويحاول تطهيرها . مما قد ألم بها من آفات وأدران وعيوب .

ولا نجد فى علم النفس الحديث بجميع مدارسه ما يروى غليلنا فى الكشف عن أسرار النفس ، بل ربما يتدارس الطالب المدارس النفسية الحديثة ويتعمق فى أبوابها وفصولها ثم يخرج بعد ذلك مهموما محصوراً ، لا يعرف حقيقة نفسه ، فكيف يستطيع أن يتعرف على سلوك غيره ، ويكتشف اسقام وأمراض الآخرين فإن فاقد الشئ لا يعطيه .

أما الصوفية فقد صدقوا ما عاهدوا الله عليه ففتح عليهم بمننه وعطاياه أبواب عظيمة فى المعرفة كشفت لهم عن مخبؤات النفس البشرية فشخصوا أمراضها وعالجوها علاج العالم العارف لا علاج الجاهل المدعى .

إن التصوف كمنهج من مناهج الدراسات النفسية أولى بأن يجد طريقه فى هذا العصر الذى تناقضت فيه النظريات النفسية ، وأصبحت أساليب العلاجات المختلفة لا تفيد قليلا أو كثيراً مرضى النفوس . لذلك فإن علينا أن نجرب ذلك المنهج الذى اتبعه الصوفية فى علاج أمراض النفس لنتعرف إلى أى مدى يتفوق على المناهج النفسية الوضعية فى التطبيق والعلاج .

فقد جربنا مئات من الطرق العلاجية حتى الآن ولا نستطيع أن نقول أن أحداها قد نجح فى الوصول إلى تماثل المرضى للشفاء . فلماذا لا نجرب هذا المنهج المجرب والذى نعتقد أنه أسلوب ناجح فى العلاج فهو مأخوذ من الطب النفسى النبوى الذى علمه الله تعالى لنبيه محمد ﷺ ومن أصدق من الله حديثا .

منهج الشعراني الأخلاقي :

إن الشعراني في دراسته وضع نصب عينيه أن يجعل من أخلاق الرسول ﷺ وصحابته والتابعين القدوة المباركة التي يجب أن يقتدي بها كل سالك للطريق .

ومن هذا المنطلق يضع الشعراني العينات التي جمعها من طوائف الصوفية على ميزان الشريعة ليمتحن به صدق المريد أو عدم صدقه ، ومن خلال ذلك المنظار الدقيق يتفحص تلك العينات التي حللها ليرى إلى أي حد ابتعدت عن الأصل ، وجنحت عن الصواب ، وتظاهرت بزي الشريعة وخرجت عن الحقيقة ، وهي بعيدة كل البعد عن حقيقة الديـن .

إن هذه النظرة الفاحصة لأخلاقيات مريدي عصره ، لتبين بصورة لا مراء فيها أن الشعراني قد نجح في إستبار ما شملته الدراسة ، وغاص في أغوار النفوس البشرية ليتعرف على معادنها الخسيس منها والثمين .

والشعراني لم يقف موقف المتعالي لينظر من علٍ إلى الذين يخطئون ويقعون في المثالب والآفات ، بل نجده يتهم نفسه أولاً بأنه من الجائز أن يقع فيما وقع فيه المريد من أمراض وآفات ، ويبين لنا كيف استطاع بممارساته السابقة أن يتخلص من تلك الآفات ، أنه لا يريد أن يفتش عن عيوب المريدين ليكشفها للناس ، إنما هو يريد على الحقيقة أن يشخص الأدواء ، ويوضح الطرق العلاجية التي تعالج بها هذه الأمراض وتلك الأسقام ، فإذا ذكر العيوب والآفات التي يسقط فيها بعض المريدين فإنه يبادر في الوقت نفسه بإيضاح الفرق بين هذه الأخلاقيات وبين ما درج عليه السلف الصالح من كمالات ، ثم يأخذ بيد المريد ليقتدي بالأئمة الصالحين الذين هم صفوة الناس في التقيد بالكتاب والسنة .

وهذا المنهج الذى إتبعه الإمام الشعرانى وجمع فيه بين التحليل والوصف والتاريخ لأئمة الصوفية هو منهج متكامل حقا ، حيث يشعر الإنسان فى غمرة تدارسه أنه يخاطبه وحده وأنه يقصده بهذا الحوار النفسى .

وما من شك أن كل من قرأ كلام الشعرانى يشعر أنه يشخص له علله ، وأوجاعه ، وأنه يقدم له الدواء الناجع الذى يظفر بواسطته بالأمن والسكينة ، وينجو من الهم والغم والكروب التى تحاصره ، ويدفع عنه بعيدا حب المدح والرياء الذى يهدد حياته النفسية .

إن الشعرانى يعد بحق من هذه الناحية الطبيب النفسى الذى يعالج القلوب ، قلوب المرضى .. بلا مبضع يقطع به الأشياء ويدمى به الأفئدة ، وإنما هى سنة استلهمها من الرسول ﷺ فى معالجته للقلوب المريضة وهى استخدام معامل الحب والصفح الجميل والإيثار والأخوة فى الله ، والبعد عن الحسد والحقد والعجب والاغترار والفتنة والشر والطمع والجشع وحب المال والأنانية والنفاق .

إن هذه الآفات النفسية التى يمكن أن يصاب بها المريد هى كما يصورها لنا الشعرانى الأسباب المباشرة التى تحيل بين العبد وبين الوصول إلى التوازن النفسى والصحة القلبية ولن يتسنى له أن يصل إلى الأمن والطمأنينة والسكينة التى ينشدها كل إنسان إلا إذا عود نفسه على الأخلاق النبيلة ، وتطبع بالإيثار بدلا من الأثره وحب الذات، وبالإحسان بدلا من الشره والحرص والشح والبخل ، وبالصبر على الإبتلاءات بدلا من الجرى وراء الشهوات والأهواء ، والتوكل على الله بدلا من التدبير والاعتراض والتحدى واللوم لله على ما ابتلاه من محن ومصائب وامتحانات ، وبالإخلاص فى العلم والعمل بدلا من النفاق والرياء وطلب الرياسات وحب المدح والإمتنان بالنفس والرضا عنها .

ويركز الشعراني على أن الطريق الواضح الذي يوصل إلى هذه الأخلاقيات إنما يتحدد على الحقيقة في مخالفة النفس ، فالنفس لا تصدق والقلب لا يكذب ، وكلما أراد الإنسان أن يشبع مطالب نفسه ، ويلبى حاجاته المتزايدة ، ومطالبه التى لا تتوقف عند حد كلما انشغل بحظوظ الدنيا وأصبحت كل همه ، فحجب عن الحق تعالى ، فمن انشغل بالخلق حجب عن الحق ، ومن انشغل بالحق حجب عن الخلق والدنيا جميعا .

فالشعراني يريد أن يوجه النفس الإنسانية بطريقة مقنعة إلى أنه لا سبيل إلى تحقيق الأمن والسكينة النفسية إلا بالإلتجاء إلى الله والعمل بما شرعه ، والنهى عما نهى عنه ، وفى اتباع السنة الشريفة ينجو الإنسان من جميع الأمراض النفسية ، فيتواضع لله بعد أن كان مغترا بنفسه ، ويطيع الحق تعالى بعد أن كان يطيع الشيطان ، ويهدى إلى الحق بعد أن كان ظالما لنفسه عدوا لغيره وربه جميعا .

إن السكينة النفسية هى منتهى غاية السالكين إلى الله والتجربة الذوقية الصوفية تشهد بأن أعظم النعم التى يمكن أن يحظى بها الصوفى إنما هى لذات ونعم ومبشرات وفراسات وإشراقات ومنن وعطايا وتجليات وفتوحات وكشوفات كلها تشهد أنها لن تتحقق إلا بسكينة القلب وطمأنينة النفس والقرب من الله تعالى .

وخلاصة القول أن الشعراني يختلف فى دراسته المسحية كثيراً فيما يتعلق بالوسائل التى استخدمها والنتائج التى توصل إليها فى دراسته لمجتمع محدود وهو مجتمع الصوفية فى عصره ، وفى مصر بالذات ، وفى القاهرة على جهة التخصيص ولمائة من مريدى عصره كعينات ممثلة للطريق الصوفى .

يختلف الشعرانى فى دراسته المسحية عن الطرق المستخدمة عند الأنثروبولوجيين المحدثين فى أنه لم يقرر الواقع ويتفحصه فحسب ، ولم يعتمد على الملاحظة المباشرة وغير المباشرة فى مرحلة جمع البيانات فقط ، وإنما قام بعملية هضم لهذا المجتمع المدروس وطبقه على الأصول التى استقى منها هؤلاء الصوفية سلوكهم ، ثم عمد إلى إظهار الفروق الواضحة بين الأصول وبين المجتمع المدروس وأظهر بصورة مدعمة بالأدلة والقرائن مدى بُعد وجنوح هؤلاء الذين درسهم عن الأئمة السابقين من السلف الصالح .

وبذلك ظهرت لنا من هذه المقارنات فى كل دراسة بصفة من صفاتهم ، نتائج فورية توضح هذه الفروق توضيحا تاما لا ابس فيه ولا غموض ، وهذا لا يحدث فى الدراسات الأنثروبولوجية الحديثة التى تعرض الممارسات والطقوس والشعائر والتقاليد والعادات والدين والأخلاق فى المجتمعات التى تدرسها إذ انها تهتم برصد العلاقات بين الأفراد وتعمل على تحليلها لتصل إلى نظرية فى آخر الأمر تفسر الحياة فى مجتمع مدروس وتستهدف من ذلك ليس إصلاح هذا المجتمع بقدر ما تستهدف دراسة الانساق والأبنية الإجتماعية قبل أن يندثر ذلك المجتمع ، عندما يداهمه التغير الإجتماعى ويفقد سماته الأصيلة ، بغزو الحضارة الحديثة . وهى تفترض فى دراساتها لمجتمع محدود ، تفترض فرضا تحاول امتحانه ، وهذا ما سبق إليه الإمام الشعرانى فى دراسته المجتمع الصوفية فى عصره ، فلقد أشار فى مقدمته إلى أنه قد عمد إلى هذه الدراسة واضعا فرضا مؤداه أن المريدين قبل عصره هم فى منزلة مشايخ عصره ، وإن مشايخ عصره فى منزلة المريدين قبل عصره ، وهو بذلك يريد أن يقول أن هناك حالة تفليس للمريدين فى الطريق الصوفى وأنهم ابتعدوا عن الأصل وحاول امتحان ذلك الفرض بطريقة عملية مستعينا بعينات من مريدى عصره،

ومقارنا بينهم وبين المريدين فى العصور السابقة ، وكما سبق الاشارة فقد أظهرت النتائج التى عددها الإمام الشعرانى فى أكثر من مائتى نتيجة أن هناك اختلافا بين الأصل الذى يعتبر المجموعة الضابطة للطريق الصوفى ، وأن هناك جنوحا عن تطبيق قواعد وأخلاقيات الصوفية فى عصره تحتاج فعلا إلى علاج سريع ، وقد وصف لنا الداء والدواء وبذلك تعتبر دراسة الشعرانى دراسة متكاملة استخدم فيها جميع المقاييس العلمية والأدوات التى يحتاج إليها كل باحث مدقق فى مجال علم الإنسان الاجتماعى ، بالإضافة إلى استباره للمعامل الروحى التى تفتقر إليه الدراسات الأنثروبولوجية الحديثة ، والذى هو من الأهمية بمكان بحيث أن لم يفصح عنه فإن الدراسة تكون بدونه ناقصة ومشوهة لا تفسر حقيقة المجتمع المدروس ولا تكشف عن واقعه ومنهجه الحياتى ونظريته الإجتماعية .

الفهارس

فهرست الأعلام

فهرست الأعلام

فهرست الأعلام

إبراهيم بن أدهم

هو شيخ الصوفية أبو اسحق إبراهيم بن أدهم من أبناء الملوك والأغنياء ، خرج مرة للصيد فهتف به هاتف أيقظه من غفلته ، فاتبع طريق أهل الزهد والورع وخرج إلى مكة ، وصحب بها سفيان الثورى والفضيل بن عياض .

ذكر عنه السلمى فى طبقاته قوله : «من عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل ، ومن أطلق بصره طال أسفه ، ومن أطلق أمله ساء عمله ، ومن أطلق لسانه قتل نفسه» .

وذكر المناوى فى الكواكب الدرية قوله «لو علم الملوك ما نحن فيه من النعيم والسرور ولذة العيش وقلة التعب لجالدونا عليه بالسيوف» وقال : «طلبوا الراحة والنعيم فأخطأوا الصراط المستقيم» توفى رضى الله عنه سنة ١٦٢هـ .

ابراهيم الدسوقى القرشى

يقول عنه الشعرانى : هو من أجلاء مشايخ الفقراء أصحاب الخرق ، صاحب كرامات ظاهرة ومقامات فاخرة ، ومآثر ظاهرة وبصائر باهرة وأحوال خارقة .

كان رضى الله عنه يقول : يجب على المريد أن لا يتكلم قط إلا بدستور شيخه ، إن كان جسمه حاضرا ، وإن كان غائبا يستأذنه بالقلب ، وذلك حتى يترقى إلى الوصول إلى هذا المقام فى حق ربه عز وجل ، فإن الشيخ إذا رأى المريد يراعيه هذه المراعاة ، رباه بلطيف

الشراب ، ولاحظه بالسر المعنوى الإلهى فياسعادة من أحسن الأدب مع مربيه ، ويا شقاوة من أساء . وكان يقول : «من لم يكن متشرعا متحققا نظيفا عفيفا فليس من أولادى ولو كان ابنى لصلبى ، وكل من كان من المريدين ملازما للشريعة والحقيقة والطريقة والديانة والصيانة والزهد والورع وقلة الطمع فهو ولدى وإن كان من أقصى البلاد» وقيل له مرة ما تريد ؟ فقال : ما أراد الله عز وجل . توفى رضى الله عنه سنة ٦٧٦هـ .

إبراهيم المتبولى

من أصحاب الدوائر الكبرى فى الولاية ولم يكن له شيخ إلا رسول الله ﷺ .

وكان رضى الله عنه يلبس الصوف ويتعمم به ، وإذا جاءه جبة أو جوخة مثمنة يتحزم عليها بحبل ، ويعزق الغيظ وهو لابسها ويقول : ليس لملابس الدنيا قيمة ، وكان إذا فارقه أحد مريديه وذهب إلى أصحاب الخلوات والرياضات يهجره . ويقول له : يا ولدى أنا أريد أن أجعلك رجلا وأنت تريد أن تصير كالبومة العمياء لا تنفع أحداً ، وكان يعارض السلطان قايتباى فى الأمور ، حتى قال له : يوما إما أنا فى مصر أو أنت ، فخرج متوجها إلى القدس ، ومات رضى الله عنه هناك على ما يذكر الشعرانى فى طبقاته سنة نيف وثمانين وثمانمائة .

أبو الحسن الشاذلى

شيخ الطائفة الشاذلية على بن عبدالله بن عبدالجبار الشاذلى ومن أقواله : إذا عارض كشفك الكتاب والسنة فتمسك بالكتاب والسنة ، ودع الكشف ، وقل لنفسك أن الله تعالى ضمن لى العصمة فى الكتاب والسنة ولم يضمنها لى فى جانب الكشف ولا الإلهام ولا المشاهدة .

وقوله : إذ جاذبتك هواتف الحق فإياك تتشهد بالمحسوسات على الحقائق الغيبية وتردها فتكون من الجاهلين ، وأحذر أن تدخل فى شئ من ذلك بالعقل . وكان يقول : إذا أردت أن تكون مرتبطا بالحق من نفسك فاخرج عن حواك وقوتك . توفى رضى الله عنه سنة ٦٥٦هـ .

أبو السعود بن شبل

من أجل تلاميذ الشيخ العارف بالله عبدالقادر الجيلى رضى الله عنه ، قال عنه السهروردى : كان أبوالسعود رضى الله عنه من أرباب الأحوال السنية ، والواقعين فى الأشياء مع فعل الله ، متمكناً فى حاله، تاركا لاختياره ، سبق كثير من المتقدمين فى تحقيق ترك الاختيار ، شاهدنا منه أحوالا صحيحة عن قوة وتمكين .

ومن كلامه : لله قوم يتكلمون على الخاطر وماهم مع الخاطر ، يعنى يجرى الله على لسانهم ما هو الحاضر عليه من الحال فيقول من سمعه قد تكلم الشيخ على خاطرى والشيخ ليس معه حتى لو قيل له ما فى ضمير هذا الشخص لا يعرفه .

قال فيه ابن عربى رضى الله عنه أنه أعلا مقاما من شيخه الجيلى إمام وقته حينئذ بالعراق .

أبو بكر الشبلى

هو أبوبكر دلف بن جحدر الشبلى ، خراسانى الأصل ، بغدادى المولد تاب فى مجلس خير النساج ، وصحب الجنيد ، وكان عالما فقيها على مذهب الأمام مالك وكتب الحديث ورواه ، من كلامه حين سئل عن الوفاء «هو الإخلاص بالنطق واستغراق السرائر بالصدق» .

وقال عن التصوف : هو ضبط حواسك ومراعاة أنفاسك . التصوف : التآلف والتعاطف .

وسئل متى يكون الرجل مريدا ؟ فقال : إذا استوت حاله فى السفر والحضر ، والمشهد والمغيب .

توفى رحمه الله على ما يورد السلمى سنة ٣٣٤هـ .

أبو حفص النيسابورى

هو أبوحفص عمر بن سلمه ، وقيل بن سلم والأول أصح وهو من أهل قرية قريبة من نيسابور .

كان أحد الأئمة والسادة ، وانتمى إليه شاه بن شجاع الكرامانى وأبوعثمان سعيد بن اسماعيل ، وكان دائم الذكر لله ، وما يذكره إلا على سبيل الحضور والتعظيم والحرمة وكان يتغير عليه الحال ، حتى كان يرى ذلك جميع من يحضر مجلسه وكان إذا غضب يتكلم فى حسن الخلق حتى يسكن غضبه .

ويرى أن الفقير الصادق الذى يكون كل وقته بحكمة ، فإذا ورد عليه وارد يشغله عن حكم وقته يستوحش منه وينفيه وسئل عن العبودية فقال : ترك مالك والتزام ما أمرت به .

توفى سنة ٢٧٠هـ وقيل سنة ٢٦٧هـ .

أبو ذر الغفارى

صحابى جليل رفض الأزلام قبل نزول الشرع والأحكام ، أول من حىّ الرسول بتحية الإسلام ، أول من تكلم فى علم البقاء والفناء ومن كلامه : «تلدون للموت ، وتعمرون للخراب ، وتحرصون على ما يفنى وتتركون ما يبقى ، الا حبذا المكروهان الموت والفقر ، وقوله «نفس الإنسان مطيته أن لم يرفق بها لم تبلغه . وكان من أخوف الصحابة وأكثرهم تفكيرا فى شأن المعاد ، لا يدخر قوتا لغد ، ولا يعمر ما

أخرجهم من داره ويقول رب المنزل لا يدعنا نقيم فيه إلا قليلا مات رضى الله عنه سنة ٢٢٧هـ .

أبو القاسم الجنيد

هو أبوالقاسم بن محمد بن الجنيد البغدادى ، اشتهر بلقب سيد الطائفة الصوفية وأحيانا شيخ الطائفة . نشأ بالعراق وقال عنه صاحب الرسالة القشيرية أنه كان فقيها على مذهب الأمام أبى ثور بلغ فى التصوف مبلغا جليلا ، ومن أقواله :

«إن الله تعالى يخلص إلى القلوب من بره على حسب ما تخلص إليه القلوب فأنظر ماذا خالط قلبك» .

ويقول عنه السلمى فى طبقاته : لم يكن فى وقته أحسن طريقة منه ، ولا ألطف كلاما . سئل عن التصوف فقال قولته المشهورة : ليس التصوف رسوما ولكنه أخلاق ، صحب ذا النون المصرى وسرى السقطى وبشر بن الحارث وغيرهم وقيل أنه أول من تكلم فى الفناء والبقاء ، توفى رضى الله عنه سنة ٢٩٧هـ وقيل سنة ٢٩٥هـ .

أبو مدين المغربى

ذكر فى الطبقات الكبرى للإمام الشعرانى أن أسمه شعيب وولده مدين ولد بالمغرب وكان من أعيان مشايخها ودفن بمصر بجامع الشيخ عبدالقادر الدشطوطى ببركة القرع .

من كلامه رضى الله عنه «ليس للقلب إلا وجهة واحدة متى توجه إليها حجب عن غيرها» قيل له مرة : أحقيقة سرك حقيقة سرك فى توحيدك، فقال : «سرى مسرور بأسرار تستمد من البحار الإلهية التى لا ينبغى بثها لغير أهلها ، إن الإشارة تعجز عن وصفها وأبت القدرة الإلهية إلا أن [illegible] وهى أسرار مجبولة بالوجود لا يدركها إلا من

كان بهاته مفقودا ، وكان في عالم الحقيقة موجودا [illegible] بقائه [illegible]
الحياة الأبدية ، وهو بسره حاضر في أنسام الملكوت يسرح من
سرادقات الجبروت ، وقد تخلق بالأسماء والصفات ، وغاب عنها
بمشاهدة الذات ، هناك قراري ووطني ، وقرة عيني ومسكني ، والحق
تعالى في غني عن الكل ، قد أظهر لي وجودي بدلائل قدرته ، وأقبل
علي بالحفظ والتوفيق ، وكشف لي عن مكنون التحقيق ، فحياتي قائمة
بالوحدانية ، وإشاراتي إلى الفردانية ، فروحي راسخ في علم الغيب ،
يقول لي مالكي ياشعيب ، كل يوم جديد على العبيد ولدينا مزيد»
رضي الله عنه .

أبويزيد البسطامي

هو أبويزيد طيفور بن عيسى بن سروشان ، وكان جده سروشان مجوسيا فأسلم وكان لطيفور أخوان هما آدم ، وعلى ، والثلاثة من الزهاد العباد أصحاب الأحوال وسمى بالبسطامى نسبة إلى أهل بسطام وهى بلدة قريبة من نيسابور .

ويحكي البسطامي عن نفسه أنه في ابتداء أمره اخطأ في أربعة أشياء بالنسبة لله تعالى فيقول : توهمت أنى أذكره وأعرفه وأحبه وأطلبه ، فلما انتهيت رأيت ذكره سبق ذكرى ، ومعرفته تقدمت معرفتى ، ومحبته أقدم من محبتى ، وطلبه لى أولا حتى طلبته .

ونصح مرة تلاميذه قائلا : إذا صحبك إنسان وأساء عشرتك فادخل عليه بحسن أخلاقك يطب عيشك ، وإذا أنعم عليك فابدأ بشكر الله عز وجل ، فإنه الذى عطف عليك القلوب ، وإذا ابتليت فاسرع بالاستعانة بالله فإنه القادر على كشف ما ابتليت به دون سائر الخلق .

وسئل ما علامة العارف فقال «الا يفتر من ذكره ولايمل من حقه ، ولا يستأنس بغيره (تعالى) وقد ورد قوله : «لا يعرف نفسه من صحبته شهوته ، وقد عرفت الله بما دون الله بنور الله عز وجل ، مات رضى الله عنه سنة ٢٦١هـ .

أحمد البدوى

شهرته تغنى عن تعريفه .

ولد بمدينة فاس بالمغرب ولما بلغ سبع سنين سمع أبوه يقول له فى منامه : «يا على انتقل من هذه البلاد إلى مكة المشرفة فان لك فى ذلك شأناً» ، وكان ذلك سنة ثلاث وستمائة فرحل إلى مكة مع إخوته . وفى شوال سنة ثلاث وثلاثين وستمائة رأى فى منامه ثلاث مرات قائلا يقول له : قم وأطلب مطلع الشمس فإذا وصلت إلى مطلع الشمس فاطلب مغرب الشمس ، وسر إلى طنطا فإن بها مقامك أيها الفتى فقام من منامه وشاور أهله وسافر إلى العراق ثم إلى مصر حتى وصل مدينة طنطا ومات رضى الله عنه سنة ٦٧٥هـ .

أحمد الرفاعى

هو أحمد بن أبى الحسين الرفاعى ، انتهت إليه فى زمانه الرياسة فى علوم الطريق ، شرح أحوال القوم وكشف مشكلات منازلهم ، ومما ذكره الشعرانى عنه فى طبقاته قوله : الزهد أساس الأحوال المرضية والمراتب السنية وهو أول قدم القاصدين إلى الله عز وجل والمنقطعين إلى الله والراضين عن الله والمتوكلين على الله فمن لم يحكم أساسه فى الزهد لم يصح له شئ مما بعده .

وقوله : إذا صلح القلب صار مهبط الوحى والأسرار والأنوار والملائكة وإذا فسد صار مهبط الظلم والشياطين ، وإذا صلح القلب

أخبرك بما وراءك وأمامك ونبهك على أمور لم تكن تعلمها بشيء دونه وإذا فسد حدثك بباطل يغيب معه الرشد وينتفي معه السعد .

وكان رضى الله عنه يقول من لم ينتفع بأفعالى لم ينتفع بأقوالى توفى سنة ٥٧٠هـ .

الحسن البصرى

كان لفضول الدنيا وزينتها نابذا ، وقال : ما الدنيا كلها من أولها إلى آخرها إلا كرجل نام نومة فرأى فى نومه ما يحب ثم انتبه .

ومن أقواله «الدنيا عمل من صحبها بالبغض لها والزهد فيها سعد بها ونفعته صحبتها ، ومن صحبها برغبة ومحبة شقى بها وأسلمته إلي مالا صبر له عليه .

وكان رضى الله عنه إذا قعد بين الناس يقعد ذليلا ، وإذا تكلم تكلم بكلام رجل أمر به إلى النار كأنها لم تخلق إلا له . توفى سنة ١١٠هـ .

الفضيل بن عياض

هو الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمى .

من كلامه : «أحق الناس بالرضا عن الله أهل المعرفة بالله عز وجل» «أصل الزهد الرضا عن الله تعالى» . وسئل عن التواضع فقال : أن تخضع للحق وتنقاد له ، وتقبل الحق من كل من تسمعه منه» . «من أظهر لأخيه الود والصفاء بلسانه ، وأضمر العداوة والبغضاء ، لعنه الله ، فأصمه وأعمى بصيرة قلبه» . توفى رضى الله عنه سنة ١٨٧هـ .

أنس بن مالك

أخذ رضى الله عنه العلم عن تسعمائة شيخ منهم ثلاثمائة من التابعين ، كان يقول : «ليس العلم بكثرة الرواية إنما هو نور يضعه الله تعالى فى القلب» .

وكان إذا أراد أن يجلس لحديث رسول الله ﷺ اغتسل وتبخر وتطيب ومنع الناس أن يرفعوا أصواتهم وسئل رضى الله عنه عن معنى قوله تعالى الرحمن على العرش استوى فعرق وأطرق وصار ينكت بعود فى يده ثم رفع رأسه وقال : «الكيف منه غير معقول والاستواء منه غير مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة» .

ويذكر الشعرانى فى طبقاته أنه ولد سنة ٧٣هـ . ومات سنة ١٧٩هـ . ودفن بالبقيع .

أويس القرنى

ذكر فى كتب الطبقات ، ويروى أن النبى ﷺ ذكره لأصحابه وأوصى به عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

كان من أكابر زهاد التابعين دائم الخشوع لله لا يكاد يرى للناس إلا مرة او مرتين فى العام الواحد ، وكان مشغولا بخدمة أمه ، فلم يلق رسول الله ﷺ مع معاصرته له وكان أكثر الناس زهدا وورعا ، لم تذكر كتب الطبقات تاريخ وفاته ، لكنه عاش فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

بشر بن الحارث

هو أبونصر بشر بن الحارث بن عبدالرحمن بن عطاء بن هلال ابن ماهان بن عبدالله الحافى أورده السلمى فى طبقاته ومما ذكره من أقواله قوله :

[illegible]

[illegible]

«الدعاء ترك الذنوب» [illegible]

حبيب العجمى

كان من أبناء الملوك ، فانقذته العناية الربانية فصار من أهل السلوك وأشترى نفسه من الله بأربعين ألف دينار تصدق بها ، له كرامات كثيرة منها أنه كان يرى بالبصرة يوم التروية وبعرفه عشية عرفة .

من أقواله : لا قرة عين لمن لم تقر عينه بك ، ولا فرح لمن لم يفرح بك ، وعزتك أنت تعلم أني أحبك .

وقال : من أوقفه الله في ميدان التفويض يزف إليه المراد كما تزف العروس إلى بعلها» لم تذكر كتب الطبقات وفاته إلا أنه توفى فى النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى .

حسن العراقى

كان يتردد على الشعرانى وهو شاب قد رحل من دمشق ، ثم ذكر عنه الشعرانى فى طبقاته أنه كان يجتمع يوما فى الجمعة على اللهو واللعب والخمر حتى جاءه التنبيه من الله تعالى يوما : ألهذا خلقت ؟ فترك ما كان عليه وأصبح من أهل الطريق ، وكان إذا جاءه شخص بجوخة أو ثوب صوف يأخذ السكين ويشرحها سيورا ثم يخيطها بخيط دارج ومسلة ويقول أن نفسى تميل إلى الأشياء الجديدة ، فإذا قطعتها لم يبق عندى ميل . توفى رضى الله عنه سنة نيف وثلاثين وسبعمائة من الهجرة .

سفيان الثورى

كان سيد أهل زمانه علما وورعا قال عن التصوف : براعة فى المعارف وبلاغة فى المخاوف ومن أقواله «من عرف الله تحقق فى التوكل وتشوق إلى التنقل» ، وقال «التوكل هدو الضمير عند هجوم التقدير» . إذا عرفت نفسك فلا يضرك ما قيل فيك» . ومن كلامه «لا يتعلم أحد العلم حتى يتعلم الأدب ولو عشرين سنة» . توفى رضى الله عنه سنة ١٦١هـ .

سرى السقطى

هو أبوالحسن سرى بن المفلس السقطى ويقال عنه أنه خال الجنيد شيخ الصوفية وأستاذه ، وقد صحب معروفا الكرخى ، كما يقال أنه أول من تكلم فى بغداد فى لسان التوحيد وحقائق الأحوال ، ويعد السرى السقطى رضى الله عنه أمام البغدادين وشيخهم فى وقته ، وإليه ينتسب أكثر مشايخ الصوفية .

سمعه الجنيد مرة يقول : «أعرف طريقا مختصرا يوصل إلى الجنة . فقال : ما هو فقال السقطى : لا تسأل أحد شيئا ، ولا تأخذ من أحد شيئا ، ولا يكن معك شيئا تعطى منه أحد . وله أقوال جليلة ، وحكم رائدة .

يقول السقطى : أحسن الأشياء خمسة ، البكاء على الذنوب ، وإصلاح العيوب ، وطاعة علام الغيوب ، وجلاء الغين من القلوب ، وألا تكون لكل ما تهوى مركوب .

ويقول أيضا أربعة أشياء لايسكن فى القلب معها غيرها ، الخوف من الله وحده ، والرجاء لله وحده ، والحب فى الله وحده ، والانس بالله وحده . مات رضى الله عنه سنة ٢٥١هـ .

عبدالعزيز الديرينى

كان مقامه رضى الله عنه بريف مصر ، وكان شيخا عالما زاهداً ، له مصنفات كثيرة فى التفسير والفقه واللغة والتصوف وغير ذلك .

طلب منه جماعة من الفقراء كرامة فقال لهم : «ما أرادوا وهل ثمة كرامة أعظم من أن الله تعالى يمسك بنا الأرض ولم يخسفها بنا وقد استحقينا الخسف» . مات رضى الله عنه سنة ٦٩٧هـ ودفن بديرين .

عبدالقادر الجيلانى

هو شيخ الطريقة القادرية أبوصالح عبدالقادر بن موسى بن عبدالله بن يحيى الزاهد ، ويرتفع نسبه إلى الحسن بن على رضى الله عنهم أجمعين وكان مؤيد بالكرامات منذ ميلاده إذ قيل عنه أنه كان لا يرضع ثدى أمه فى نهار رمضان .

ومما ذكره الشعرانى فى طبقاته عنه قوله عن الحلاج : «لم يكن فى زمانه من يأخذ بيده» وأنا لكل من عثر مركوبه من أصحابى ومريدى ومحبى إلى يوم القيامة آخذ بيده» .

وورد عنه قوله : من أراد الآخرة فعليه بالزهد فى الدنيا ومن أراد الله فعليه بالزهد فى الأخرى . توفى رضى الله عنه سنة ٥٦١هـ .

عبدالله المنوفى

رجل صالح ، عابد ، زاهد ذو كرامات كثيرة .

مات فى السابع من رمضان سنة ٧٤٨هـ ودفن تجاه قبر السلطان قايتباى وكان يوماً مشهوداً حيث حضر جنارته نحوا من ثلاثين ألف رجل .

عتبة الغلام

سمى بالغلام لأنه كان فى العبادة كأنه غلام لا لصغر سنه .

كان يأوى إلى المقابر والصحارى ويخرج إلى السواحل فيقيم فيها فإذا كان يوم الجمعة دخل البصرة ، فيشهد الجمعة ثم يأتى إخوانه ، فيسلم عليهم وكانوا يشبهونه فى الحزن بالحسن البصرى . مات رضى الله عنه شهيداً فى قتال الروم .

عطاء السلمى

يروى عنه الشعرانى فى طبقاته .

أنه مكث أربعين سنة على فراشه من الحزن والخوف حتى أنه لم يستطع القيام من على فراشه والخروج من بيته ، كان رضى الله عنه يبكى الثلاثة أيام بلياليهن لا يسكن له دمع إذا بكى يرى حوله بلل يظن أنه من أثر الوضوء ، وإنما هى دموعه ، وإذا خرج إلى جنازة يغشى عليه فى الطريق مرات ويخر من على الدابة ثم يرجع .

وكانت كل بلية نزلت بالناس يقول : «هذا كله من أجل عطاء لو مات استراح الناس منه» .

على الخواص

أستاذ عبدالوهاب الشعرانى ومعلمه يقول الشعرانى عنه أنه كان أميا لا يقرأ ولا يكتب ، وكان يتكلم على معانى القرآن العظيم والسنة المشرفة كلاماً نفيساً ، وكان يعامل الناس على ما فى قلوبهم لا على حسب ما فى وجوههم ومر عليه مرة شخص من الفقراء والنور يخفق من وجهه ، فنظر إليه الشيخ فقال اللهم اكفنا السوء ، ان الله إذا أراد بعبد خيرا جعل نوره فى قلبه ، وإذا أراد به سوء أظهر ما فى قلبه على وجهه .

ومن أقواله «إذا كمل توحيد العبد لا يصح له أن يترأس على أحد من المخلوقين لأنه يرى الوجود لله» .

وقولـه «من طلب دليلا على الوحدانية كان الحمار أعرف منه بالله» . توفى رضى الله عنه سنة ٩٥٣هـ .

على النبتيتى الضرير

كان مقيماً ببلدة نبتيت بنواحى الخانقاه السرياقوسية . وكان يجتمع بالخضر عليه السلام وذلك أول دليل على ولايته فإن الخضر لا يجتمع إلا بمن حقت له قدم الولاية المحمدية سمعه الأمام الشعرانى : يقول : لا يجتمع الخضر عليه السلام بشخص إلا إن جمعت فيه ثلاث خصال ، فإن لم تجتمع فيه لم يجتمع به قط ولو كانت عبادة الملائكة . الخصلة الأولى أن يكون أمين على سننه فى سائر أحواله ، والثانية أن لا يكون له حرص على الدنيا ، والثالثة أن يكون سليم الصدر لأهل الإسلام ، لا غل ولا غش ، ولا حسد . توفى فى يوم عرفة سنة ٩١٧هـ ودفن ببلده .

على نور الدين المرصفى

كان من الأئمة الراسخين فى العلم واختصر رسالة القشيرى وتكلم عن مشكلاتها ، ويذكر عنه الشعرانى أقواله ، ليس للمريد أن يسأل شيخه عن سبب غيظه وهجره له ، بل ذلك من سوء الأدب ، وقوله لا يجوز للمريد عند أهل الطريق أن يجيب عن نفسه أبداً إذا لطخه شيخه بذنب لأنه يرى مالا يرى المريد فانه طبيبه .

إذا تكلم فى دقائق الطريق وحضر أحد من القضاة فإنه ينقل الكلام إلى مسائل الفقه . إلى أن يقوم من كان حاضرا ، ويقول ذكر

الكلام بين غير أهله عورة . مات رضي الله عنه سنة نيف وثلاثين وتسعمائة .

مالك بن دينار

ذكره المناوى فى الكواكب الدرية على أنه كان قدوة عصره فى معرفة التصوف يشار إليه فى المحافل ببنان التقدم والتعرف ومن أقواله : «بقدر ما تحزن الدنيا يخرج هم الآخرة من قلبك» وسئل عن لبس الصوف فقال : أما أنا فلا أصلح له لانه يطلب صفاء . وقال من لم يأنس بمحادثة الله عن محادثة المخلوق فقد قل علمه وعمى قلبه وضيع عمره» ومن كلامه خرج أهل الدنيا منها ولم يذوقوا أطيب شئ فيها وهو معرفة الله توفى رحمه الله سنة ١٨١هـ .

محمد بن اخت مدين

اشتهر بابن عبدالدائم المدينى وكانت مجاهداته فوق الحد فظهر صدقه مع تلامذته كما يورد الشعرانى فى طبقاته ومن تلامذته سيدى محمد أبو الحمائل السروى والشيخ نورالدين الحسينى والشيخ نورالدين على المرصفى وعندما أقبل عليه الناس طردهم بالقلب فلم يلتف حوله فقير ، وكان رضى الله عنه يقول : شبعنا كلاما وقال وقيل فى هذه الدار وما بقى إلا القدوم على الواحد الأحد .

محمد بن عنان

ويقول الشعرانى فى ترجمته له : «كان رضى الله عنه من الزهاد العباد ما كنت أتمثله فى أحواله إلا كطاوس اليمانى أو سفيان الثورى وما رأيت فى عصرنا مثله ، وكان مشايخ العصر إذا حضروا عنده صاروا كالأطفال فى حجر مربيهم» .

ولم يكن يعجبه أحد فى زمانه يصلح للطريق ويقول هؤلاء يستهزئون بطريق الله ولم يلقن أحد قط الذكر غير الشيخ أحمد النجدى إذا جاءه بالمصحف وقال أقسمت عليك بصاحب هذا الكلام إلا لقنتنى الذكر ، فغشى على الشيخ رضى الله عنه من قسمه عليه بالله عز وجل ، ثم لقنه وقال يا ولدى الطريق ما هى بهذا إنما هى باتباع الكتاب والسنة توفى رضى الله عنه سنة ٩٢٢هـ .

محمد السروى

وهو المشهور بأبى الحمائل ، أحد الرجال المشهورين بالهمة والعبادة ، إذا غلب عليه الحال يتكلم بلغات أجنبية كالعبرانية والسريانية والعجمية ولا يقرب من أحد إلا بعد تكرار امتحانه بما يناسبه وكان يكره أن يقوم المريد بقراءة حزب للشاذلية أو أحزاب غيرهم ويقول «ما رأيناه أحد وصل إلى الله بمجرد قراءة الأحزاب والأوراد وكان يقول نحن ما نعرف إلا لا إله إلا الله بعزم وهمة ومن أقواله «مثال أرباب الأحزاب مثال شخص من أسافل الناس أشتغل بالدعاء ليلا ونهارا راجيا من الله تعالى أن يزوجه ابنة السلطان . توفى رضى الله عنه سنة ٩٣٢هـ .

محمد الشربينى

شيخ طائفة الفقراء بالشرقية من أرباب الأحوال والمكاشفات حتى أنه كان يصف سائر أقطار الأرض وكأنه أحد سكانها وكان يخرج من بلدة شربين كل ليلة من المغرب لا يرجع إلى الفجر لا يعلمون إلى أين يذهب . توفى قبل التسعمائة والعشرين من الهجرة .

محمد الشناوى

يذكر الشعرانى فى طبقاته أن الشناوى [illegible]
من الأولياء الراسخين فى العلم أهل الكشف [illegible] ، وكان رضى
الله عنه يقول ما دخلت على فقير إلا وأتخيل أنه [illegible] أفضل منه ،
وما أمتحنت قط فقيرا ، وهو الذى ابطل البدع التى كانت تظهر فى
مولد سيدى أحمد البدوى رضى الله عنه من نهب امتعة الناس وأكل
أموالهم ، وأرشدهم إلى أن ذلك حرام ونهاهم عن أخذ الأموال من
بغير طيبة نفس من طنطا وضواحيها ، والتى كانت فى تصورهم من
الأموال الحلال باعتبار أن تلك البلاد هى بلاد سيدى أحمد وأنهم من
فقرائه . ومن ذلك الحين ابطلت تلك البدع . توفى رضى الله عنه سنة
٩٣٢هـ .

محمد الغمرى

من العلماء العاملين والفقراء الزاهدين المحققين ، سار فى الطريق
إلى الله سيرة صالحة ، وكان رضى الله عنه يقول وخدمت عند سيدى
أحمد البدوى رضى الله عنه مدة فى البوابة ومدة للوقادة ومدة فى
النقابة ، وكان قد قسم الفقراء إلى ثلاثة أقسام الكهول والشباب
والأطفال ، وجعل لكل قسم مكانا يخصه ولا يختلط بالآخر وكانوا لا
يجتمعون إلا يوما واحداً فى الجمعة فيتناقشون فيما وقع بينهم فى
بقية الجمعة لأنه كان أخذ عليهم العهد أن لا يجيب أحد عن نفسه قط
إذ وقع له مكروه بل يعفو عن الظالم أو يشكوه للشيخ يفعل فيه ما
يشاء من حيث أنهم كانوا يرون نفوسهم ملكا للشيخ يفعل فيهم ما
شاء وهم أوصياء على أجسامهم ، سينتصرون لها من حيث أنها
مضافة إلى الحق ، وما كان أحد منهم يتكدر قط مما يفعله الشيخ معه
من هجر أو إخراج أو ضرب أو جرح أو قدح ذلك بل كانوا يرون

الفضل للشيخ ولمن غمز عليهم فى ذلك لمكان صدقهم فى طلب الأدب .
توفى سنة ٨٥٠هـ .

محيى الدين بن عربى

خصه أصحاب الطبقات بالولاية الكبرى ولقبه الشيخ أبو مدين رضى الله عنه بسلطان العارفين ، وكلامه رضى الله عنه أول دليل على مقامه الباطن وكتبه الكثيرة المشهورة تشهد بذلك .

يذكر الشعرانى فى طبقاته عنه أنه كان يكتب الإنشاء لبعض ملوك العرب ثم تزهد وتعبد وساح ودخل مصر والشام والحجاز والروم وله فى كل بلد دخلها مؤلفات وكان الشيخ عزالدين عبدالسلام شيخ الإسلام بمصر يحط عليه كثيراً ، فلما صحب إبن عربى الشيخ أبا الحسن الشاذلى رضى الله عنه وعرف أحوال القوم ، عرف الشاذلى علو شأنه وسلم بترجمة بالولاية والعرفان والقطبية . مات رضى الله عنه سنة ٦٣٨هـ .

نور الدين الشوفى

يذكره الشعرانى في طبقاته على أنه شيخه ووالده وقدوته ، كما يذكر أنه خدمه خمسة وثلاثين سنة فلم يتغير عليه يوماً واحداً ، ولد بطنطا وتربى بمسجد سيدى أحمد البدوى حيث أنشأ فيه مجلسا للصلاة على رسول الله ﷺ ثم انتقل إلى الجامع الأزهر وعمر فيه نفس المجلس ، وتفرعت عنه مجالس الصلاة على النبى ﷺ فى فروع كثيرة بالمعمورة . توفى رضى الله عنه سنة ٩٤٤هـ .

يوسف العجمي الكوراني

أول من أحيى طريقة الشيخ الجنيد رضي الله عنه بمصر بعد اندراسها ، لبس الخرقة عن الشيخ نجم الدين محمود الأصفهاني وعن الشيخ بدرالدين حسن الشمشيري وتلقن الذكر وهو «لا إله إلا الله» رضي الله تعالى عنهما ، وهي سلسلة الشيخ الجنيد رضي الله عنه .

أبرز بمصر الكرامات والخوارق وكانت طريقته التجريد إذ يخرج كل يوم فقيراً من الزاوية يسأل الناس إلى آخر النهار فمهما أتى به يكون قوت الفقراء ذلك النهار كائنا ما كان .

مات في زاويته بالقرافة الصغرى في يوم الأحد نصف جمادى الأولى سنة ٧٧٨هـ .

❑ ❑ ❑

فهرست الموضوعات

مطابع جريدة السفير
٤ شارع الصحافة ـ المنشية
ت : ٨٠٣٩٦٤